حديث النهر

من روائع الآداب الهندية

ترجمة

سوريال عبد الملك

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤

حديث النهر

الألف كتاب الثانى

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

لمعى المطيعى

مدير التحرير

أحمد صليحة

الإشراف الفنى

محمد قطب

الإخراج الفنى

علياء أبو شادى

الفهـــرس

إهـــداء

إلى روح المهاتما غاندى

وإلى شعب الهند الناهض العظيم

إلى روعة الحب وزحام الجمال

فى تلك الأرجاء البديعة من العالم

سوريال عبدالملك

تصدير

فى أوائل عام ١٩٨٠ كنت مكلفا بكتابة دراما اذاعية عن كل من اختارهم من عظماء العالم ، وقد اخترت من عظماء الهند رجلين أحبهما كثيرا، لأن كلا منهما بهرني كما بهر العالم بتفرده ·· وصدقه مع النفس ، وكفاحه المذهل من أجل الخير والحق والجمال وكرامة الانسان :

المهاتما غاندى ···· ورابندرانات تاجور

وتقديرا للرجلين اللذين أنجبتهما الهند فخرا لها وللحياة ·· فقد كان على أن ألم بكل التفاصيل عن حياتيهما ·· منذ الطفولة ·· والى أن أشرقت أضواؤهما فى سماء التاريخ ·

وذات زيارة لمكتبة مركز الاستعلامات التابع لسفارة الهند بالقاهرة ·· التقيت بشاب هندى يبحث هو الآخر عن كتاب ، سألنى ان كان يستطيع أن يساعدنى فى العثور على ما أبحث عنه ، فلما عرف السبب الذى جئت من أجله ·· دعانى الى مكتبه بالطابق الثانى ، وهناك عرفت أن اسمه « شاشانك » ، وأنه السكرتير الأول لسفارة الهند بالقاهرة ، شاب يقترب من الأربعين ·· أسمر بلون اخوتنا فى صعيد مصر ، مهذب خفيض الصوت ، واسع الثقافة فى تواضع حقيقى ·· وخلف نظارته الطبية البيضاء تزدحم عيناه بالود والذكاء ·

وأهدانى مستر شاشانك عديدا من كتبه الخاصة ·· ومن شرائط الموسيقى والغنـــاء ·· التى أثرت برنامجى العزيزين الى نفسى ·· عن غاندى وطاغور ·· واللذين أذيعا فى عديد من اذاعات العالم ·· ومن القسم العربى باذاعة كل الهند · وبواسطة الصديق شاشانك ·· تعرفت على ممثل عظيم لبلاده فى القاهرة · ·سعادة السفير « مينون » الذى أصبح هو الآخر من أحب الأصدقاء الى قلبى وعقلى ·

وذات يوم ·· دعانى الصديقان الهنديان العزيزان لزيارة الهند ، كعضو مرافق للوفد المصرى الى مهرجان السينما الدولى الثامن بنيودلهى ، والذى عقد هناك فى يناير ١٩٨١ ·

وكانت هذه الرحلة الرائعة ·· الى بلاد الأساطير والمعجزات ·

المقدمة

فى حين من الدهر ••• هذه السماوات اللامعات •• لم يكن بها ما يسمع أو يرى ، هذه السماوات التى تظلنا •• لم تكن أفلاكها قد مدت بعد فى الآفاق •

كيف كان الكون فى ذلك الزمان البعيد ؟! ومن كان يرعاه ؟؟! ومن كان يخفيه عن الوجود ؟؟! •

هل كان غورا سحيقا من المياه بلا حدود ؟

فى ذلك الغور السحيق من الزمان •• لم يكن هناك موت ولا أزلية •

لم يكن هناك بين الليل والنهار ستار ، فقد كان الظلام حالكا •• وشاملا •• مثل محيط هائل بلا أنوار •

لم يكن فى الوجود الا الواحد القهار ، ولم يكن هناك من تتردد أنفاسه الا هو •

ثم ••• ارتعشت جرثومة الحياة•• تلك التى كانت راقدة فى غلافها، وتفتحت الطبيعة فى رفق •• وفى حنان •

من يستطيع أن يكشف ذلك السر ؟! من ذا الذى قال لهذا الكون كن ••• فكان ؟!

علم هذا •• عند الذى أحاط بكل شىء علماً •

« من نشيد الخليقة •• فى الهندوسية القديمة »

كان قدماء الهندوس يعبدون النار والشمس •• والقمر والأنهار •

ـ كيف كان هذا ؟

ـ كانوا يطمحون الى رؤية الخالق ، والخالق تعالى بسره عن الرؤية فى سماواته البعيدة ، فلما عذبتهم أشواقهم ·· راحوا يعبدون مظاهر قوته فى الأرض أو فى السماء ·

ـ ثم ماذا ؟

ـ ثم تخيلوا آلهة أخرى عديدة ·· صنعوا لها تماثيل من الحجر ·· ومن الخيال المعنى ، وقدموا لها القرابين ·· لعل تلك الآلهة الحجرية ·· أن ترفع القرابين نيابة عنهم ·· الى الاله الأعظم ·· المختفى بأسراره خلف ضفاف الرؤية والعلم والخيال ·

ـ ومن كان أشهر آلهتهم ؟

ـ كثيرة كانت آلهتهم ، كان منها الاله « شيفا » ، أسطورة شيقة من أساطيرهم الطيبة تقول ان شيفا صعد ذات يوم الى أعلى قمم الهملايا··فوقع بصره على النهر السماوى « جانجا » ·· جاريا بمائه فى الفضاء ، فقال له : أيها النهر اهبط ، فهبط ملقيا بأمواجه فوق رأس شيفا ، وعندئذ تاه النهر بأمواجه فى الرأس الالهى الكبير ·· واختفى ، لكن ناسكا مقربا من الاله شيفا اسمه « بهاجى ريتا » رثى لحال النهر ·· فتوسل الى شيفا أن ينقذه من الضياع ، فاستجاب له شيفا ، نثر ضفيرة من شعر رأسه ·· فانساب منها نهر جانجا المقدس ·· هابطا فى شعاب الهملايا ·· سيولا متدافعة تنشر الخير فى كل اتجاه ، لذلك أحب أهل الهند ذلك الناسك ·· الذى توسط لدى الاله القاسى شيفا ·· وأطلقوا اسمه على منبع النهر العظيم حتى الآن « كهف بهاجى ريتا » ·

هكذا سيطرت الرؤى والأشواق الى المجهول على الهندوس آلاف السنين البعيدة ، راح شعراؤهم خلالها ينسجون من الشعر أساطيرهم المتوالية ، المتزاحمة ، وراح الحكماء والنساك منهم يصيغون من حكمتهم وتقواهم ·· أطول قصائد فى تاريخ العالم · فقصيدة « المهابهارانا » تتكون من مائة ألف بيت ، وقصيدة « الرامايانا » ·· أربعة وعشرون ألف بيت ، ومئات القصائد الرائعة الأخرى ·· بتعقب أحداث التاريخ وحكمة الانسان ·· منذ وفد الآريون الى الهند فى قديم الزمان ، ثم نسجت الهندوسية لنفسها من تلك الأساطير كتابا مقدسا أسموه « البورانا » أى ·· القديم ·

ونطورت الهندوسية بعد ذلك ، لتدافع عن نفسها أمام الديانات الجديدة ··· الوافدة الى بلاد الهند مع الغزاة المتتابعين ، الى أن أصبحت الهندوسية فكرة فلسفية سامية ، هى الايمان بوجود روح كونى أعلى ،

وما هذا العالم المادى بكل ما فيه · ·الا غطاء ·· يحجب عن الانســان حقيقة الروح الأعظم والأعلى ·

ــ وماذا كان موقفهم من الموت ؟

ــ لم يكونوا يخافون الموت ، فالروح ــ فى عقيدتهم ــ تتناسخ ، والحياة نهر جار ·· أمواجه أرواح البشر ، الذى يموت ·· يعود الى الحياة مرة ثانية وثالثة والى آخر الزمان ، يعود فى صور أخرى من الخلق ، ثوابا لمن كان محسنا ·· وعقابا لمن كان مسيئا فى حياته السابقة ، ولذلك فقد نادى معلموهم باحترام نظام الطبقات كجزء أساسى من العقيدة ، وظل كهنتهم ــ البراهمة ــ يدعون لأنفسهم أنهم ــ بصلواتهم ــ يصلون الى الاله ذى القوة الخارقة ، وأنهم خلفاؤه فى الأرض ، لذلك فان «البراهما» (١) ·· كان اذا ارتكب كل الجرائم ·· حتى القتل ·· لم يكن يعدم أو يسجن ·· كان فقط ينفى الى الصحراء ، أو يقضى عليه بالعودة راهبا داخل المعبد·· مدى الحياة ·

وفى القرن السادس قبل الميلاد ·· ظهر بينهم هندوسى محارب ثائر يدعى « جوتاما » ، ترك القتال والحرب ثم هجر قصر أبيه الملك ·· تاركا وراءه زوجته الفاتنة ، وطفله الجميل وثراء والده العريض ·· وراح يدعو للثورة ضد طغيان البراهمة ، فأنكر كتبهم وتعاليمهم ، وأخذ يحارب نظام الطبقات ، وتبعه الآلاف الى كل البقاع ، يتسولون مثله ليأكلوا ، ويبشرون معه بالدين الجديد ، ولأن دعوة جوتاما كانت من أجل الفقراء ·· فقد التفوا من حوله ضد طغيان المتجرين بالعقائد ، وأطلقوا عليه اسما جديدا ساحرا : « بوذا » ·· أى « الرجل المستنير » ،وظل بوذا يدعو الى الحق والفضيلة حتى رحل ، تاركا للملايين من أتباعه قوله المأثور :

« كما تزرع تحصد ، ولن ينجيك من عقاب الســماء لا الدعوات ولا القرابين » ·

ــ وماذا كان نتاج عصر بوذا ؟

ــ فى مجال الحكم والسياسة ·· كان من نتاجه الامبراطور العادل الزاهد ·· والمصلح العظيم « أشوكا » ، وفى مجال الفكر والأدب ·· كان الشاعر الفيلسوف « بهارنيهارى » ، الذى قال يخاطب « مهاراجات » الهند ومستغلى شعبها :

« أنتم أرباب الأرض الواسعة ··

ونحن أرباب الأغانى الرائعة ··

---

(١) الكاهن الهندوسى ·

أنتم تغلبون بجبروتكم ...

ونحن نغلب بالحق والمبادىء ..

المال عندكم هو الذى ينطق ...

والحكمة عندنا هى التى تقنع ..

ان كلامى هذا لا يرضيكم ...

لكننى ... حتى اذا رحلت عنكم ...

فلن ترحل كلماتى عن أراضيكم » .

وفى نفس العصر .. ومن نتاج ثورة بوذا .. ظهر الشاعر العظيم « كاليداسا » ، فخرا للهند وللانسان ، لآلاف القرون التالية .

ـ وماذا عن العلوم ؟

ـ توصل علماؤهم فى ذلك الزمان البعيد الى حقيقة الجاذبية الأرضية قبل « نيوتن » بألف عام كاملة ، ومواكبين لحضارة مصر القديمة .. عرف علماؤهم التشريح ، وأجروا العمليات الجراحية المعقدة ، وبرعت جامعاتهم آنذاك فى الرياضة والفلك ، بل انهم حسبوا قطر الكرة الأرضية بدقة أذهلت علماء العصر الحديث ، واكتشفوا أن الأرض تدور أيضـا حول محورها أثناء دورانها حول الشمس ، وآلاف أخرى من الحقائق العلمية التى دوت انفجاراتها المشبوهة فى أوربا بعد ذلك بمئات السنين ..

ـ وكيف كان شعر كاليداسا ؟!

ـ كاليداسا العظيم ، بحر متلاطم من عظمة الفنان وعذوبة الانسان ، فى احدى روائعه « رسول السحاب » ، وعلى لسان فارس مقاتل فوق جبال الهملايا .. يخاطب سحابة راحلة نحو ديار حبيبته :

« على شطوط الأنهار ..

أنزلى ماءك يا صديقتى ..

لترقص رأس الياسمينة التى ذبلت ..

من طول العطش ..

وعندما ترين الحسان يتطلعن اليك فى اشتياق ..

امنحيهن خمارا يحجب حرارة القيظ ..

وعندما يتبخترن فى الحقول ..

ليجمعن لرؤوسهن أكاليل الزهور ..

احجبى الشمس عن خدودهن الرقيقة ..

لا تدعى الحر يحرق ما جمعن من زهرات اللوتس ..

وهن يجرين مرهقات خلف قطرات الندى ..

من سطحك الرطيب المرتحل ..

لم تكن حياة بوذا ... الا ارهاصة لمولد « الروح العظيم » غاندى مثلما كان كاليداسا منارة على الطريق ل « تاجور » ، سلك على ضوئها من بعده درب الخلود .

كانت هذه بعض موجات تتلاطم فى رأسى ، بينمـــا أزيز الطائرة اليابانية العملاقة يشــق بنا الصمت المديد .. بين السـحاب والرهبة والمجهول .. فى رحلة الى بلاد الأساطير ... والمعجزات .

منذ ساعات .. والأضواء داخل الطائرة خافتة ، عشرات القلوب من حولى أغمضت عيونها ونامت ، لكن الليل خارج النافذة .. ظل يدعونى للسهر ، كان ليلا وسيعا كثيف الصمت ... الا من همهمات ضوء القمر ، والقمر يبدو صغيرا وحيدا يستلقى على صـــدر المدى ، ابتسامته خليط من الود ومخاوف الطفولة .. وطاعة القوانين الأزلية الصارمة .. تلك التى تدور به منذ ملايين السنين التى لا يدرك أغوارها أحد .

وضاع من عينى سطح الأرض الحبيبة .. حلما جميلا ما أحسست نحوه من قبل بهذا الحنين ، وفجأة ، صعد الى أهل الأرض جميعا ، تزاحموا فى شرفات قلبى ، البيض والسود ، الصفر والملونون ، ملأت أغنياتهم رحاب الفضاء من حولى ، كانوا ينشدون بملء سمعى وأحلامى :

« أمنا الأرض السعيدة ..

أرسلتنا اليك بالشوق والمحبة والسلام » .

وأيقظنى خطو المضيفة الرقيق .. زادت يقظتى مع ابتساماتها المفردة لكل الرفاق ، زهرة بيضاء تفتحت فى سحر خمائل اليابان .. ثم سمت حبا وجمالا الى ما فوق السحاب .. لتحرض المسافرين بفتنتها الوديعة .. على عشق الحياة ونسيان الخطر ، اقتربت منى كحلم رائع يتجسد ..

ـ نعمت مساء يا سيدى .

« نعمت جمالا ..... !!!! » .

ـ لم أشأ أن أوقظك وقت العشاء .. هل أحضره لك الآن ؟

ـ كم يبلغ ارتفاعنا فوق الأرض الآن ؟

ـ قريبا من الثلاثين ألف قدم ·

ـ كل هذا ؟

لملم السحر فى عينيها دوار الخوف من رأسى وقالت :

ـ لكى نكون أكثر ارتفاعا من الهملايا ·

الهملايا !! يا الهى !! كم انتصر الانسان على المكان !! لكنه ما يزال أكثر وحشية من الوحوش ·· يتربص بأخيه فى البر والبحر والفضاء ·· ويقتل فى أحشاء الطبيعة أشواق الحياة !!!

وتذكرت قولا للمهاتما غاندى : « ان التدمير ليس شريعة البشر ، ولا يجب أن يكون ، ان كل قتل أو أذى ·· لأى سبب ·· هو جريمة ضد الحياة ، ان الحق يا اخوتى ينتظرنا على طريق الحب ، وان الحق الذى طريقه الحب ·· هو الله » ·

وعبرنا شبه القارة الهندية كلها دون أن نهبط فى أى من مطاراتها ، قيل لنا ان درجة الرؤية ـ بسبب الضباب الكثيف ـ لا تسمح بالهبوط الا فى « بانكوك » عاصمة تايلاند · واستمرت الطائرة العملاقة تنهب بنا الفضاء ساعات أخرى نحو الشرق البعيد ·· حتى هبطنا مع خيوط صباح جميل ، قضينا هناك يوما واحدا كيفما اتفق ، لكن آثار شريعة الغاب كانت واضحة على وجوه أهل البلاد ، كان يمكن أن تكون « تايلاند » هذه الأرض الخصيبة الخضراء مرتعا لسعادة الانسان ، لكن الهزال يغلب على كل شىء · لماذا تبدو الأرض فقيرة بمن عليها ؟ · رغم ما أغدقت عليها السماء ؟! وأجابتنى أصداء التاريخ المهان ، كانت هذه الدولة بأكملها الى عهد قريب ·· استراحة وملهى ومخزنا ومنهبا لجيوش فرنسا ·· ثم لجيوش أمريكا من بعدها ·· ومنهما تجربان منجزاتهما من القنابل والأسلحة الكيماوية وقاذفات اللهب ، فى أرض الدولة المجاورة المنكوبة « فيتنام » ، لكن فيتنام مزقت ثياب ذلها ·· وروعت بالاصرار كل اللصوص القادمين اليها من وراء البحار ، حتى جثوا تحت أقدامها الدامية العنيدة ·· يطلبون الحماية حتى يرحلوا بجرحاهم ·· تاركين هناك تلالا من الأشلاء والجماجم البريئة ، لكن تايلاند المسكينة ·· ظلت تلعق جراحها الغائرة حتى الآن ·· دون أن تقوى تماما على النهوض من سنوات الاذلال والمعاناة والنزيف ·

مرة أخرى ·· كان الوقت ليلا ، كثير من رفاق الرحلة كانوا هنودا ، ما ان لامست عجلات الطائرة أرض الهند فى سلام ·· حتى انطلقوا يصفقون ·· رجالا ونساء وأطفالا تزاحموا على النوافذ بأزيائهم الوطنية الجميلة ·· يهزجون بأناشيد الشوق والفرح ·· ويتعجلون بالعيون عناق أرضهم فى عشق غريب ···

تفجر فى قلبى الحنين بحارا لبلادى ، أقسمت بالسماوات يا مصر وبالأراضى ٠٠ لأغنين لك أينما كنت أحلى الأغنيات ٠

وقطعت بنا السيارة عشرات الأميال فى الليل المضاء ٠٠ نحو المدينة، الأشجار جيوش سلام متراصة على جانبى الطريق ٠٠ متعانقة فى كل اتجاه بملء الليل والمدى ، وعلى آماد البصر فى ضوء القمر كانت الزهور وأبسطة الخضرة تفترش حدائق لا تنتهى ٠٠٠٠ أخطأ الذين أطلقوا اسم الهند على هذه البلاد ، كان أكثر صدقا أن يسموك « الأرض الخضراء » ٠

ـ أما تزال المدينة بعيدة ؟

أجاب السائق ضاحكا :

ـ نحن الآن فى قلب نيودلهى ٠٠

ـ نيودلهى ؟ وأين بيوتها اذن ؟

كانت البيوت عن يمينى وعن يسارى ، لكن الشوارع والميادين واسعة الى حد البذخ ، ومعظم البيوت من طابق واحد ، كل بيت يرقد داخل حديقته الخاصة ٠٠ بعيدا عن مدخلها بعشرات الأمتار ، مختفيا عن البصر مرة خلف أشجار الشارع الكثيفة ٠٠ ومرة أخرى خلف أشجار الحديقة ٠٠ والزهور الزاحفة على الجدران ٠

ووصلنا الى ساحة الفندق ، هناك بدأت المبانى تشرئب قليلا بين زحام الشجر ، وصعد كل منا الى غرفته ٠٠ لينام سويعات الليل الباقية ، لـكن ٠٠٠

لكن غرفتى تطل على ميدان فسيح مذهل الجمال ، انطلقت من حدائقه أصداء أسطورة سكرى ٠٠ تبشرنى بأن الله قد أعفى المحبين من عقوبة النوم ، الأغصان أكف ممدودة الى فى الشرفة بالتحية والسلام ، الوجوه البديعة ٠٠ التى خلقها الله فى هذا الركن البديع من العالم ٠٠ ماتزال تعبق أرجاء الفندق من حولى بعشق الحياة ، و ٠٠٠٠

وهذى نداءات أول فجر يزحف الى قلبى ٠٠٠ عبر حقول وغابات آسيا ، وأبخرة الأساطير تطفو على سطح الذاكرة ، والجمال قطرات بملء الأرض والفضاء ٠٠ تتساقط حبا على جدران الظمأ ٠٠ لترطب العناء فى شعاب الروح المتعبة ٠

ولـــــكن ٠٠٠

لكن عملا متواصلا ينتظرنى فى الصباح !! وفى طريقى الى النوم ، ومن خلف أسوار السنين القريبة ٠٠ سمعت صوت تاجور ٠٠ ينشد اغنية للانســـان :

« من بلاد الهند يا أحبائى ··
أبعث اليكم بأشواقى ··
يا من تسمعوننى بعد مئات السنين ،
لعل اغنياتى أن تعانق فى القلوب اغنياتكم ،
وهمهمات النحل الراقص فوق الزهور
لعل أغنياتى أن تعانق حفيف الأشجار ··
فى كل العالم ··
بعد مئات السنين » ·

وأغفى الشاعر المحب العظيم قليلا على قارعة الزمان ·· ثم اتكأ على سواعد حبى ·· ونهض من أحراش الموت ، ومرة أخرى ·· عاد الى كلكتا يشدو لرفات معبودته الحبيبة ·· التى رحلت عنه خلسة وهو يهيىء لها المحراب :

« انتظرتك طويلا فى شهور الربيع !!
والآن !!
تأتين على أجنحة العاصفة ؟!
وفى ظلام المطر ؟!
اغفرى لى هذا الانين ··
وعلى ضوء الشموع تعالى ··
تعالى الى كوخى ··
الذى شيدته لك من أغصان الحنين ··
ومن أوراق الشجر » ·

كنا مدعوين الى هناك لحضور مهرجان دولى للسينما ، كان المهرجان لقاء حب كبير ، بين مئات من صفوة العقول والقلوب والوجدان ، من أولئك الباحثين فى كل أرض عن خلاص للانسان ، وسط غابات الشر وساحات الألم ، أعضاء كل وفد يتكلمون فيما بينهم بلغتهم ، وبلغة عالمية مشتركة مع الآخرين ، وعندما تقف اللغة سدا ·· فان أخوة الانسان للانسان كانت تهدم السدود فيتصل الحديث ، بفتات كلمات شائعة بين الشعوب ، بلقاء حميم بين العيون ، بلفتات الود الذى يعطر المكان ، ببسمة تفوق بلاغة كل اللغات ، بتحية شوق من بعيد أو سلام ، فتعود خيوط اللقاء تتعانق

وتتشابك أنفاس المحبة ، تترامى الضحكات ، حتى لينتابك شعور جارف بأن كل صحف العالم واذاعاته كاذبة ، لا يمكن أن يكون هذا الانسان ، فى أى مكان عدوا لأخيه الانسان ، لابد أن كابوسا ثقيلا يسيطر على رجال الاعلام أينما كانوا ، فهم لذلك بالفزع يكتبون ويثرثرون ، يطيعون شيطان الكابوس فيكذبون ، أيها الأحباء من خولى : هل تصدقون ؟ الآن ؟ .. بينما يجمعنا كل هذا الاخاء ؟ يتحارب هناك اخوة لنـــا كما تتحارب الوحوش؟ يتسابكون بالمدافع والقنابل والدموع والأنين؟!!! لماذا اذن نضحك الآن معا ؟ نحن هنا سعداء ، فلابد أن يكون العالم كله سعيدا !!! وعناوين هذه الصحيفة التى فى يدى أكاذيب من صنع الكابوس ، ليس هناك حروب ، لا قنابل نووية ، ولا عجز فى الغذاء أو الدواء ، ولا سفينة فضاء توشك أن تحترق وتسقط فوق الأبرياء ، انظروا بماذا يصرح هذا القائد فى الصحيفة : « قتلنا فى معركة الأمس ألفا من الأعداء » ، من هم أعداء هذا المجنون ؟ سكان كوكب آخر ؟ لكنا نتمزق شوقا للقاء اخوتنا فى كل الكواكب والمجرات !!

ودوى تصفيق مفاجىء ، رفعت رأسى عن أكاذيب الصحيفة ، كان وزير الاعلام الهندى قد صعد الى المسرح ، رجل ملون وسيم فارع ، واحد من الواقعين تحت ضغط الكابوس ، لكنه يبتسم ابتسامة تغمر القاعة صدقا وطيبة ، وتقترب منه ممثلة هندية ساحرة ، ترتدى ساريا بلون الأحلام الجميلة ، أضاء الوزير والساحرة شعلة الافتتاح ، دوى التصفيق فى أرجاء العرس الكبير ، همس لى الكاتب الأوربى الجالس عن يمينى : « أنا أعرف هذا الوزير من مؤتمرات سابقة ، رجل مثقف وفنان » ، أفقت من بعض خيالاتى ، وتذكرت قولا لكاتب مجهول يقول : اذا ارتقى الحيوان صار انسانا ، واذا ارتقى الانسان صار فنانا .

وبدأ الوزير الفنان كلمة الافتتاح :

« أيها الأصدقاء ، ان هذا العالم أسرة واحدة ، ولذلك فان العالم يوما سينبذ الحرب والقتال » .

يا الهى !! اذن ما يزال هناك قتال ؟!! يالفجيعة الخيال !! وماذا عن الغذاء والكساء والدواء ؟ ماذا عن لعب الأطفال يا تجار الحروب ؟ ماذا عن بسمات الهوى فى عيون المحبين ؟!

وترامى الى سمعى صوت من ربى « شانتينيكيتان » ، كان تاجور العظيم هناك ينشد فى عرض الحقول ، وطيـور غابته الحبيبـة تردد من خلفه النشـيد :

« عصرا بعد عصر يا الهى ··
وزمانا بعد زمان ···
يجيء رسلك بالمحبة والسلام ،
والكراهية الدفينة فى ظلام الصدور ···
ماتزال تبكى عبيدك الطيبين ···
لكنى أحنى رأسى اجلالا لحكمتك ··
فسوف يظل أشرار العالم ···
يضربون بيأسهم جدار المحبة ··
ولقد شاء عدلك ألا ينكسر الجدار » ·

وتوالى عرض الأفلام ، من كل القارات ، صباحا وظهرا وعصرا وليلا ، ازداد الغرباء تقاربا ، تآلفوا ، تصادقوا ، تزاوروا حيث يقيمون فى أجمل فنادق المدينة ، أكلوا وشربوا وضحكوا معا فى عديد من المآدب ، حتى بدا العالم ـ حقيقة ـ وكأنه أسرة واحدة ·

ذات حفل عشاء فى الفندق الأسطورة « تاج محل » تناثر أعضاء المهرجان ، جلوسا ووقوفا وتجوالا فى الحديقة المترامية ، قلت لصديقى « محمد أفضل » الشاب الهندى المثقف الفنان ·· المشرف على القسم العربى باذاعة كل الهند :

ـ نحن مدعوون غدا لزيارة « أجرا » ، هل تأتى معنا ؟

ـ كنت أتمنى لولا زحام العمل ·

ـ وأين تقع آجرا ؟

ـ نحو مائتى ميل الى الجنوب ··

ثم أضاف مبتســما :

ـ ومعجزات أجدادكم أيضا تقع فى الجنوب ، الأهرامات والمعابد ، ومنابع النيل المسافر ·

ـ ولماذا تصفه بأنه مسافر ؟

ـ لانه دائما مسافر وزاده الخيال ··

وعلى طبول النافورات العديدة المتناغمة انطلق صوت صديقى هادئا عميقا يغنى :

« مسافر زاده الخيال ، والسحر والعطر والظلال ، ظمآن والكأس فى يديه ··· » ·

سألته مندهشا :

— هل تعرف لمن هذه الأغنية ؟

— لمحمود حسن اسماعيل وعبد الوهاب ٠

— كم مرة زرت مصر اذن ؟

— ولا مرة ، ، حلم عمرى أن أزور بلادكم ٠٠

— وأين تعلمت هذه العربية السليمة ؟

— فى جامعة لاكناو ٠٠

— وأين جامعة لاكناو ؟

— على رافد من روافد نهر جانجا ، الى الجنوب من أجرا بضع مئات أخرى من الأميال ٠

— ان الأمر يا صديقى يحتاج الى حديث طويل ، ولكن !! هل تستحق زيارة أجرا عناء السفر ؟

سرح الشاب الهندى الرقيق بعينيه وخياله بين أشجار الحديقة الحالمة ٠٠ وقـــال :

— منذ حوالى أربعمائة عام ، كانت أجرا عاصمة للهند المغولية المسلمة، وقد شهدت آنذاك أعظم قصة حب ووفاء فى التاريخ ، كان من آثارها هناك حتى الآن ما سوف تراه غدا ، أروع معجزات العالم ابهارا للعين وللخيال ٠

— ما هى تلك المعجزات ؟

— هى راقدة هناك فى انتظاركم ، لكنى أشفق عليك عندما تغادر أجرا مع المساء ، فسينتابك شعور قريب من شعور آدم ، عندما طرد من جنات السماء ٠

— أقول لك الحق يا صديقى !! منذ جئت الى بلادكم أحس أنى فى عناق حميم ، بين أذرع الجمال والتاريخ والأساطير والمعجزات ٠

قبل أن تشرق الشمس ، كان الأتوبيس الحكومى الفاخر يشق بنا الطريق الى أجرا ، ما أن أصبحنا خارج نيودلهى حتى امتدت رحابة المدى، أكثر انفساحا فى الأرض والمشاعر ، وأعمق زرقة فى السماء ، ترامت الخضرة من حولنا كأنها مسافرة الى نهاية العالم ، وبعيدا بعيدا عند مهابط الأفق ، كانت رياح الشتاء تلاعب أعالى الشجر ، تداعب بها وجه السماء تارة ، وتارة تهش بها قطعان السحب ٠

وجاء صوت المضيفة عبر مكبر الصوت الرقيق :

« أيها السيدات والسادة ، أسعد الله صباحكم ، نحن الآن على بعد ستة أميال من العاصمة ، وهذا نهر « جامونا » ، واحد من روافد نهر جانجا العظيم ، الذى ينحدر من منابعه الشاسعة فوق الهملايا » .

تطلعنا الى النهر حتى عبرنا من فوقه الجسر ، نهر صغير داكن اللون ، ماؤه القليل يجرى فى وداعة كأتباع بوذا ، لكن المضيفة عادت الى الحديث :

— (عندما يذيب الصيف بعض الثلوج على قمم الهملايا ، فان هذا النهر الزاهد المستكين ينقلب الى مسافر هادر متخبط عربيد ، و .. وهنا أيها الأصدقاء ينتهى اقليم نيودلهى ، وتبدأ ولاية جديدة) تطلعنا الى لافتات الطريق .

« أهلا بكم فى ولاية هاريانا » .

وعاد صوت المضيفة فى المكبر :

— عدد سكانها نحو خمسة ملايين فقط .

قلت فى نفسى : هذا عدد يمكن اهماله فى علم الأرقام ، الى جانب ستمائة وثمانين مليونا يسكنون الهند الآن ، الى أين تمتد الأرض اذن لتحمل كل هذه الجموع ؟!

— ولدينا أيها الأصدقاء عشرات الأنهار تشق بلادنا طولا وعرضا .. ولأن أرضنا تمتد من صقيع آسيا فى الشمال ، الى القيظ الشديد قرب خط الاستواء ، فاننا نزرع كل محاصيل العالم ، وقد وصلت مساحة أراضينا المنزرعة الى ثلاثمائة مليون فدان ، عدا زراعات الجبال والغابات والمراعى .

يا الهى !! كل هذا فى دولة واحدة على كوكبنا الصغير هذا ؟ فماذا عن بلايين الكواكب فى عوالمك المنظورة والمختفية فى هول المجهول ؟ لست أطمع فى جواب منك لسؤالى فالرأس لايحتمل ، لكنى أعشق فيك القدرة على الخلق والابداع المروع ، وأحنى رأسى أمام وحدانيتك فى امتلاك هذا الكون الجميل .

مرت ساعتان ، والسيارة تجرى بنا على طرقات رحبة فى أرض الله الواسعة الرائعة ، ثم انحرفت قليلا عن الطريق وتوقفت ، هتفت المضيفة فى عذوبة :

تفضلوا بالنزول .

ونزلنا بالفضول ، استراحة حكومية أنيقة ، تحيط بها الأشجار فتخفيها عن الطريق ، وتناولنا الافطار ، المضيفون كرماء مهذبون ،

يرحبون بنا صادقي المشاعر كأصدقاء قدامى ، ثم دعينا الى الخارج ، الى سطح ربوة مجاورة ، وهناك فوق حرير الحشائش انطلقت بضع زهرات من صبايا الهند ، يحكين بالرقص البديع قصة من أساطير الحب السعيدة ، وتلهث القلوب الآتية من وراء البحار خلف براعة التعبير ، وبريق الحلى وحلاوة القسمات ، وطيبة الجمال فى العيون الباهرة ، وانتهى السرد الجميل لأسطورة الحب الوديعة ، انفردت احداهن برقصة سريعة ، متقافزة ملء خضرة القمة والسفح ، ضاحكة تحتضن قلوبنا ، ثم رانية الى أعلى تقبل وجنات السحاب ، وتهادت زميلاتها من حولها ، رقصا وغناء وبسمات بعرض الحياة ، وانسابت الموسيقى من بين الشجيرات القريبة ، حتى اكتسى الفضاء من حولنا بغلالة حلم جميل ٠

لم أكن أعرف معنى لكلمات الغناء ، لكن القلب ارتوى دفئا وعطرا وفرحا ، صفقنا لهن فأقبلن علينا بالورود ، وبضحكات أحلى من الورود ، ورحنا نتخاطفهن لالتقاط الصور ، تذكارا لساعة من أحلى ساعات الوجود ٠

وعدنا الى مقاعدنا ، لنواصل الرحلة الى أجرا ٠

وصلنا الى مشارف مدينة صغيرة ، هنا حديقة تبلغ مئات الأفدنة ٠٠ المبانى والأسوار اسلامية الطراز ، وعلى مرمى البصر قباب ومآذن شاهقة ، ثم قلعة حمراء هائلة ، وانساب صوت المضيفة فى مكبر الصوت :

— أيها السيدات والسادة : هذه مدينة « سكندرة » ، نسبة الى الاسكندر ، الذى اختارها عاصمة لملكه القصير فى الهند ، أما القلعة والمساجد فقد بناها السلطان العظيم أكبر الذى حكم الهند بعد الاسكندر بمئات السنين ٠

وعدنا بعد التجوال فى « سكندرة » الى مقاعدنا لنواصل الرحلة الى أجرا ٠٠ وعاد صوت المضيفة :

أما شاه جاهان حفيد السلطان أكبر ، فقد اتخذ « أجرا » عاصمة لملكه ، حيث شيد هناك « تاج محل » ، تخليدا لزوجته وحبيبته ممتاز ، ذلك البناء الذى عاد سائح أوربى شهير من زيارته ليقول لأصدقائه : اذهبوا لزيارة الهند ، ان رؤية « تاج محل » وحدها تستحق عناء السفر الى نهاية العالم ٠

كيف يكون هذا البناء الذى ألهب خيالى ؟! ومن هى ممتاز التى بنى لها السلطان أجمل عجائب الدنيا ؟!

لكن المضيفة لم تجب ، ابتسمت فقط وقالت :

— بعد نصف ساعة سنكون فى أجرا ، وهناك سترون مالم يرق الى وصفه الشعر ، ولا الرسم ، ولا الموسيقى ٠

ومدت يدها الى جهاز التسجيل ، فانبعثت أنهار موسيقى تذيب تلال الشجن ، وتوشى أردية الطبيعة والخيال بلآلىء الأمل ٠

وخارج النافذة تقافزت فى الحقول عيناى وروحى وذكرياتى ، ثم طارت كلها فوق الجبال والسهول والبحار ، الى حقول قريتى الصغيرة ، حيث مراتع الطفولة وعناء الأحلام فى بلادى البعيدة ، وعلى أنغام الموسيقى التى تزفنا الى أجرا ، وجدتنى هنـــاك فى حقول قريتى الفقيرة ، أعبر القنوات وأداعب الفراشات وأغصان الشجر ، مرتلا مع تاجور على جسور الجمال :

« أين يكون حبك !
ان لم أكن أنا مهبط ذلك الحب يا الهى !!
يامن أشركتنى فى ملكوتك العظيم ٠٠
نشرت بهاءك من حولى لتأسر فؤادى ٠٠
ان نفسى تعيش فى الخلاء ٠٠
بين الرياح والأشجار والمطر ٠٠
مستجيبة من أعمق أعماقها ٠٠
لتراتيل النور والظلام ٠٠
وهمهمات السحر ٠

من طريقنا الرحبة أخذت تتفرع طرقات أخرى تباعا ، لتمتد هنـــا وهناك بين المزارع ، الى أن تتبدد خلف لمعانها قدرة البصر ٠

وانعطفت بنا السيارة شرقا ، لمحت اللافتة عنـــد رأس المنعطف « أجرا » ، لافتة بديعة الشكل والألوان ، متكئة بقوائمها المرمرية فى دلال ، على صدر اكليل ندى من الزهر والأغصان ، ومن خلف اللافتة امتدت الخمائل ، بحرا وسيعا كريم الخضرة عميق السكون ، الا من حفيف أشجار متزاحمة الظلال ، وزقزقات الطير يتسابق فرحا بالحياة بين أعالى الشجر ، وفى عرض الخمائل تمهلت بنا السيارة حتى توقفت ، سبقتنا المضيفة الى الهبــوط ، ثم استدارت تستقبلنا بصـــدرها المشرع وابتساماتها المضيئة ، ململمة أطراف ساريها من أصابع الريح العابثة ٠

هذه حوائط فرعونية الضخامة والشموخ ، ارتقينا السلم الى بوابة عالية ، الأرض تحت أقدامنا بيضاء ملساء ناصعة ، وسـحر جارف مخير يتدفق على وجهى مع النسيم الرطيب ، كان علينا بعد عبور البوابة أن نهبط سلما آخر ، لكن اتجاه السير زاغ فجأة من كل العيون ، كل منا جذبه خيط من الدهشة ، ثم غلالة من الذهول ، فلما أفاق ، وجد نفسه قد خطا خطوات مسحورة ، فابتعد عن الآخرين ، سكتت الألسنة ، وتجمدت بقايا الكلمات ، فهناك فوق أبسطة أسطورية من الجمال والجلال ، كانت قد لاحت أضواء المعجزة ٠

ــ تفضلوا بالسـير ٠

وأفقنا ، كانت المضيفة تتأملنـا مبتسمة من بعيد ، تبعناها على ممشيين بين الحدائق ، تتوسطهما بحيرة صناعية فاتنة ، قاعها وجدرانها من أبهى الأحجار الكريمـة ، ومياهها تترقرق مرايا بلون السماء ٠٠ تراقص صـور السحاب والنـاس والجمـال المطبق ، غرقنـا بين الحشائش والأشجار والظلال ، اشتهيت اشتهاء طفوليا دفينا ، أن أتمدد على صدور تلك الحشائش دهرا من الزمان ، لكن « تاج محل » كان قد أصبح على مرمى البصر ، أسطورة خرافيـة البريق ٠٠ تنادينا الى حلم مزلزل الفرح ٠٠ وشته بعض أطياف الحقيقة ٠

ــ أيها السلطان شاه جاهان !! كيف قيدت هذا الحلم على أرضنا ؟

ــ منذ البداية ، أفضل ان أحكى منذ البداية ٠

ــ بل منذ ما قبل البداية ٠٠

ــ كنت ما أزال أميرا عند مطلع الشباب يوم أحببتها ، لا ، يـوم عشقتها ، لا لا ، عندما صحوت من تيه الصبا على وجـه ممتاز ، فجرا طاغيا فى سمائى العطشى ، فلما التقى هوانا لم تعد عيناى تريان الليل ، تسعة عشر عاما الى جوارها أميرا وملكا لم يمر الليل بأرضى ، ولم يهبط المساء على عرس حبى لممتاز ٠

ــ هل كانت احدى أميرات القصر ؟

ــ ليس تماما ، فقد كانت عمتها الفارسية هى زوجة أبى السلطان ٠

ــ ثـم ؟

ــ ثم أنجب حبنا ثلاثة عشر ولدا وبنتا ، لكنها تعثرت فى حبائل الولادة الرابعة عشرة ، فأغمضت عينيها عن بكائى وعذابى ورحلت ٠

ــ بعد كل هذا الانجاب كان لابد أن يقهر الجمال ويرحل ٠

— ووعدتها أن أملأ باسمها أسماع الزمن ، فجمعت عشرين ألف عامل ومهندس وفنان ، ظللت أرقبهم عشرين عاما ، ليلا ونهارا ، حتى شيدنا لحبيبتي هذا الضريح ؟

— لم يعد ضريحا ياصديقي السلطان ، غيروا اسمه من بعدك

— من بعدى ؟ ماذا تسمونه الآن ؟

— بكل أسماء حبيبتك ··

— كان اسمها القـديم الذى جاءت به زائـرة من بلاد فارس هو « آرج ماند » ، فلما تفتح بيننا صـباها أسميتها ممتـاز ، ثم « تاج » ، فلما تفجرت بنابيع سحرها أسميتها باسم زوجة أبى السلطان « نورجاهان » ، نور العالم ، وفرحا بحبها وزهوا أسميت نفسى « شاه جاهان » ، نعم يا جميلة الجميلات ، وأنت بجوارى كنت أنا ملك العالم ، لأنك كنت لى ، وأنت كل هذا العالم ·

يالوفائك أيها السلطان !! يا لحبك الجليل !! لقد تحير الشعراء من بعدك فى تسمية بنائك العظيم ، جسر الحب ؟ أم عرش الجمال ؟ أم بـوابة الحـدود ؟ لكن تاجـور العظيـم أسماه أصـدق الأسماء : « دمعة · على خد الزمن » ، نعم ياصديقى ، هذه لؤلؤة من الدمع الصادق على خد الزمن ، هذا أبهى ما صنعت يد الانسان ، ما أضعف الكلمات عن وصف المشاعر !!! لالئء القبة بألوانهـا العديدة المبهرة تعكس كل أضواء الكون ، سحرا يربط بين جمال الأرض وجلال السماء ، اذكرنى اذا شئت ؟ واذا شئت النسيان فانس !!؟ لا يا ممتاز !! هذا ادعاء شاعر لايفهم كثيرا فى الحب ، لم يكن سلطانك ياسلطانة الجمال يريد ، ولايستطيع أن ينسى ، ها هى آيات القرآن ترصع لك الجدران والسقوف ، بأثمن الجواهر تتلألأ حولك المآذن والقباب ، بأروع ما صنعت مصر فى زمانك من قناديل ·· يضاء لك المكان منذ مئات السنين ، وأرضك تتفجر نماء واثمارا واخضرارا ، ونحن هنا أسرى غرامك ، صـاعدين جائلين هابطـين ذاهلين ، لا الكلمات ولا الألوان ولا الشـعر ولا الموسيقى تستطيع أن تصور ما هنا من جمال ، منارات بيتك عرائس شاهقة فى أركان الحدائق ، ومسجدان بديعان تحرسك مآذنهما من اليمين والشمال ، وقصور حبك القديم باقية ترنو اليك حانية من فوق الربى ، اسمعى !!! آذان العصر يترامى عبقا فى فضاءاتك !! انظرى !!! وامتلأت الحدائق أيضا بالمصلين ، طيرانا وابحـارا جئنا اليك من وراء المحيطـات والجبال ، اختلفت لغاتنا

وألواننا وسماتنا ، لكن الأرض واحدة ، والسماء واحدة ، وواحد متعال قادر خلق لنا هذا الكون طلسما مشوقا بلا ضفاف ، البداية واحدة مهما اختلف الزمان • والمكان ، وواحدة هى النهاية ياممتاز ، مهما شق أو طال السفر •

وشدتنى روعة الطبيعة الى التحديق فيما وراءها ، اذا كان الانسان المقيد قد استطاع أن يزرع ويصنع كل هذا الجمـــال ، فأى جمـــال سيحتوينى يا الهى عندما تفك قيودى من المكان والزمان !!!

ولم يقبل الليل فى موعـده ، فقبل مغيب الشمس كان القمـر قد توسط الفضاء فتيا باسما ، يتبادل تحايا الضوء مع لالآلىء القباب ، نصف ليل هذا أم نصف نهار ؟! ما كل هذا الفيض من السكينة والفرح ؟! ما الذى يجعلنى أحس هنا بأنى مع الكون كله فى عنـــاق منذ ما قبل الوجود ؟!

ودرت مع شرفات ممتاز الشاهقة ، أتحسس الجمال فى الأرض والسماء وأتحسس عقلى ، فوجئت بهم خلف الجدران الشرقية البعيدة ، ضبطتهم جميعا فى خلوة الغرام ، القمر والمآذن والقباب ، وأشـــجار النخيل الباسقة والنجوم الهاربة ، كانوا معـا يستحمون عرايا متراقصين متعانقين فى نهر هناك لم ينبئنا بأمره أحد ، بركان جديد من السـحر زلزل قلبى وقلب الليل المرتجف ••

أيها الرفاق تعالوا ، مدوا أيديكم ، أمسكوا معى بهذا الحلم الرائع قبل أن يتبخر فى الفضاء ••

وتعالت نحوى صيحات الرفاق ، لكنهم خذلونى ، وتركوا الحلم الحبيب يرفرف نحو السماء ، فلم تكن صيحاتهم الا نداء للتجمع والرحيل صدقت يا صاحبى الهندى الرقيق ، أنا الآن فى حاجة الى اشفاق جميع البشر ، أنا الآن آدم يخرج قسرا من فردوسه الحبيب ، وها رفاق الرحلة ينتزعون قدمى من جزيرة الحب ، يسرقون من عينى اكليل الفـــرح ، يتعجلون قلبى الراقد على صدر الجمال ، ويهشمون فى رأسى ما توهج من مرايا الخيـــال •

لا مفر يا حبيبتى من الرحيـــل !! نعمت مساء يا طيور الخمائل ، نعمتم مساء يا كل الراقصين فى النهر والراقصات ، وسعدت مســـاء وفجرا وصباحا ، حتى أعود اليك يوما يا أسطورة الغـــرام ، يا عرش الجمال ، يا بوابة الخلود ، يا دمعة تبتسم على خد الزمن •

أحببتك ياليل الهند الوسيع ، أحببتك يا شتاءها المترع بالضباب والسحب ، ياحقولا هاجعة فى غلالات القمر ، بحارا من الخضرة والثمر ،

أسقطها الخالق يوما عند منابت الأزل ، فتدفقت بالخير ســـاعية الى أكف الأبد ، يا قمرا هناك يزف بالشعر قوافل السحب ، يا ســماء موغلة في البعد وفي الجلال !! هل يطمع الغريب العاشق فى جواب ؟!! ما عناصر هذا العطر الغامض الذى أسكر قلبى ؟ بقايا السحر من أجرا ؟! أم رجع دبيب الفجر فوق جبال الهيملايا ؟! أطياف الجمال المزلزل فى العيون ؟! القلوب الهادرة بالحب ؟ أم زحام الفتنة فى وجوه العذارى ؟! الود والبساطة ؟ ملائكية الصدق أم حكمة الزمان فى المعابد القديمة ؟ يا ٠٠ يا !!!! كم أحببتك هنا يا ليل والحب قدر ، داء العاشقين ودواؤهم هو الحب يا ليل وهو زاد السفر ٠

ولاحت أخيرا أضـــواء دلهى فى البعد العميق ، لكن الســـيارة توقفت ، ودعينا للهبوط ، كانت هناك بضع سيارات أخـــرى تنتظر ، وجمع يرقص ويغنى حول نار عالية بين شواهق الشجر ، استدفأنا بينهم بدفء المرح وتحايا اللهب ، ثم عدنا نطوى الطريق والليل والذكريات ، حلما قصيرا الى خمائل دلهى ٠

لماذا كل ما فيك يا هذى البلاد مترام كخيالات الأساطير ؟! الطرقات والمدن !! الحدائق وأصداء الغناء !! التاريخ وقمم الجبـال !! الحقول وظلال النخيل !! الأنهـــار وأعماق العيـــون !! يا بلادا تشدنى اليها بحبائل عشق غريب !!

وقفز الى سطح الذاكرة طيف فتاة كالأمل ، كانت مدعوة معنا ذات ليلة قريبة الى حفل في فندق « أشوكا » ، الفندق معجزة عمرانية فوق ربوة هادئة بعيدة في ضواحي العاصمة ، قاعاته سحر ، وتماثيله معجزات من عصارة الفن والتاريخ والعقائد ، وفى حدائقـــه تزهو الطبيعة على كل ما صنع الانسان ٠٠ لكن الفتاة كانت أبهى جميع المعجزات ٠٠ وجها هاربا من فتنة المجهول ، صوتها عناقيد أنغام سكرى تنفرط فى سمعى ، كلما أسبلت جفنيها ، خفت ضوء عينيهـــا المدوى ، وتباطأ حنـوا خطو الحياة ، استسلمت يدها الكنز لمئات الأكف الجائعة الى الجمال ٠٠

وجلست اليها أخيرا عند ضفاف الزحام ٠٠

— مـــن أين ؟

— من بومباى ، وأحيانا أعمل فى ستوديوهات مادراس ٠

— تمثلين فى السينما ؟

— أخرج أفلاما للأطفـــال ٠

— ولا تمثلين ؟!

ـــ أعشق فقط صنع الأفلام للصغار ٠

ـــ متزوجـة ؟

ـــ ليس بعـد ٠

ـــ ليس بعد ؟ نعم ، فمن العسير أن تتزوج الأحلام بالبشر !! كل ما فيك ملائكى الا الأنانية !!

تلألأت فى بحار عينيها بسمة أرعشت شفتيها الحالمتين ، وتمتمت فى بهـــاء :

ـــ لماذا تتهمنى بالأنانية ؟

ـــ لأنك لاتمثلين للسينما فتحرمين أهل الأرض من رؤية هذا الجمال !!

حدقت فى عينى بانبهار طفولى العذوبة ، ثم ابتعدت بنظراتها الى أشجار الحديقة وقالت :

ـ هل ؟ هل أعجبتك بلادى ؟

ـ لا ٠٠

وعادت الى عينى عيناها معاتبتين :

ـ لمـاذا ؟

ـ لأنها أسرتنى حبا وعشقا ٠

اهتز صدرها بضحكة سعيدة خافتة ، وقفزت فتنة قسماتها وهى تضحك الى سماوات من الخيال ٠٠

ـ ومن أين جئت الى هذا الأسر ؟

ـ من بلاد الفراعنة ٠

احتضن شهقتها شلال من الفرح وهتفت :

ـ أووه !! من بلاد النيل واخناتون وخوفو وايزيس !!

ـ ؟!!!!

ـ والأهرام ومراكب الشمس وأوزوريس ٠

ـ كم مرة زرت بلادى ؟

ـ لم أزرها بعـــد ، لكنى عرفت الكثير عنهـــا من الكتب ، ومن وجـــه ناصر ٠

ـ يرحمه الله ، كان يحب بلادكم ويزورها كثيرا •

ـ وكان نهرو يقدمه الينا كلما جاء •• فتتزاحم الملايين لسماعه في أكبر الميادين ، ان لدينا أفلاما طويلة رائعة لتجواله في كل أنحاء الهند •

ومدت يدها الى ب « كارت » أنيق وهى تقول :

ـ بعد انتهاء المهرجان •• سأسافر أسبوعا واحدا لتصوير فيلم على شواطىء « كيرالا » فى أقصى الجنوب •• وهنا أرقام تليفوناتي في نيودلهى ومادراس وبومباى •• أرجو أن تتصل بى فى مادراس لأدعوك الى رؤية أكثر بقاع العالم زحاما بالمعابد والفنون والجمال •

ترى !! هل يهب الله لبعض البشر قلوب الملائكة ؟! ما هذا الفيض من الود والبساطة وحلاوة التآخى والجمال !! حتى أنت يا حلما من لآلىء المنى ؟! حتى أنت يا رحيق الورد والأساطير وظلال الأمنيات ؟! لقد عرفت الآن يا « سواراجا » لماذا يكثر الشعراء فى بلادكم ، والعشاق والسعداء وأشباه الأنبياء ••

الفندق بعد منتصف الليل ، هذا موظف الاستقبال ، مشرق الابتسامة كعادته ودافىء التحية ، ناولنى مفتاح الجناح الذى أسكنه ، ثم كومة الرسائل اليومية المتزايدة ، ومن مكان خاص ، وباهتمام شديد ، قدم لى مظروفا فاخرا وهو يردد باعتزاز :

ـ من مكتب « شريماتى » (١) انديرا •

فتحت المظروف على عجل • كان بداخله دعوة رقيقة الى العشاء من السيدة رئيسة الوزراء ، أفقت بالمفاجأة السارة من ارهاق الرحلة الى أجرا ، وفى « كافيتيريا » الفندق ، مع أصدقائى من الموظفين وضباط الاتصال بوزارة الاعلام ، سهرت ساعات أخرى من الليل البهيج •

ومع الصباح بدأ يوم مزدحم آخر من أيام المهرجان ، وفى المساء سعينا الى سينما « شيللا » الرائعة بدلهى القديمة ، حيث كان يعرض لصلاح أبو سيف فيلم « السقا مات » ، صفق الهنود بحرارة لأبطالنا ، تماما كما صفق لهم أهل السيدة والمغربلين وباب الوزير ، فهنا وهناك نفس التاريخ والمعاناة ، هنا وهناك كان نفس المستعمرين الذى ظلوا يسرقوننا مئات السنين ، تاركين خلفهم هذا الفقر والجهل وأمراض الغضب •

---

(١) كلمة بلغة الـ (هندي) بمعني : السيدة •

وخرجنا من العرض الى جولة حرة فى أحياء دلهى القديمـة ٠٠ ركبنا عربات « الريكشو » التى كان يجرها الانسان فى عهود القهر ، والتى أصبحت الآن « تاكسيات » شعبية بمحركات ، تتسع الواحدة منها لشخصين ، وبنصف أجرة السيارة التاكسى ٠

المساجد العتيقة العديدة فى دلهى باقية منذ مئات السنين ، وهذا مسجد قطب ، الذى يطلقون عليه هناك « قطب منار » ، والذى بنـاه قطب الدين أيبك بعد ان اجتاحت جيوشه مدينة دلهى ، لعل ذلك المسجد هو أعظم مسجد فى العالم ، فمئذنته هى أعلى المنشآت الهندية حتى الآن ، ولذلك فعندما تهددها السقوط بفعل الزمن ، سارعت حكومة الهند فدعمتها بدعامات شاهقة من الصلب ، تضمن بقاءها مئات أخـرى من السنين ، ومن المشاهد الأسطورية المرحة التى لاتتوقف عند قطب منار ، تلك الأفواج المتتالية من شباب الهند والسائحين ، يحتضنون بأذرعهم منطقة معينة من المئذنة ، فاذا التقت الذراعان أو تلامست الأصابع خلف المئذنة ، هلل الشاب أو الفتـاة ، فذلك فأل حسن فى الحب والزواج وتحقيق الأمانى ٠

ولعل دلهى من المدن القليلة فى العالم ، التى يستمتع سـكانها بكل هذه الحدائق والملاعب ، والآثار الباقية منذ أعمق عصور التاريخ ، ودور السينما والمسارح ، وساحات الرقص والغناء ، والمعابد الهندوسية والبوذية ، والمساجد والمعاهد ، مظللة بملايين البلايين من أغصان عميقة الخضرة ، و ٠٠ وركبنا عربات الريكشو الحديثة ، عشرات الأميال فى قلب الليل الهادىء والحدائق النائمة ، الى حيث نقيم ضيوفا فى فنادق نيودلهى ٠

عبرت سيارتنا أحد أبواب الحديقة الى الباب الداخلى للقصر العتيق الذى تسكنه رئيسة الوزراء ، فوجئت بأن أبواب الحديقة مفتوحة أيضا لسيارات الأجرة وللراجلين ، دون أى اعتراض من أحد ، فلم يكن هناك عند الأبواب الخارجية ، ولا على امتداد الحديقة حراس من أى نـوع ، ورافقنا موظفو القصر صاعدين السلم الرخامى العتيق الى صالة الاستقبال ، صالة بالغة الرحابة ، والأثاث بالغ الأصالة والبساطة والجمال ، وعند الأركان البعيدة لمحت مواقد عديدة مشتعلة ، فوقها قدور ينضجون فيها طعام العشاء ، تقدم الينا شبان باسمون مهذبون بأكواب العصـير ، من كل فواكه الهند بسهولها وجبالها ، وآخرون تقدموا الينا بالسجائر والسيجار ، وتناثرت بين الجميع تحيات وضحكات وأحاديث ٠

كنا مانزال وقوفا فى انتظار ابنة العظيم نهرو ، عندما فوجئت بها داخل القـاعة ، وقد صافحت عديدا من الضيوف الذين اصطفوا سريعـا

للقائها ، وأصبحت على مقربة منى ، سيدة بسيطة المظهر ، قصيرة ، رقيقة الخطو ، آسرة البسمة ، ابيضت خصلة من شعرها فوق الجانب الأيمن من جبينها العريض ومددت لها يدى ، بينما عيناى على عينيها المتخمتين ذكاء وثقافة واصرارا ، بادلتها كلمات الود والابتسام ، ثم تابعتها ببصرى حتى نهاية الصف الطويل ، الى أن عادت لتجلس على أحد المقاعد المتناثرة وسط القاعة ، كنت قريبا منها عندما انزلق شالها الحريرى الأبيض ، فسقط على أرض القاعة ، توقعت أن تنحنى احدى السكرتيرات أو المعاونين لالتقاط الشال ، لكن أحدا منهم لم يفعل ، انحنت انديرا فى هدوء والتقطت شالها ، ثم نفضته بكلتا يديها ، وطوته كما كان ، وأعادت به تطويق كتفيها ، وهى مستمرة فى الحديث مع واحدة من أعضاء الوفود •

« كان لابد أن تكونى هذه المرأة الرائعة التى أراها الآن ، بعد سنوات النضال الى جوار أبيك ، فى البيت والشارع والسجون ، وبعد سنوات المجد الى جوار معلمك الحكيم الأسطورة ، مسيح الهند ومخلصها العظيم « بابو غاندى » ، لتقودى من بعدهما مئات الملايين من ضحايا السنين الكالحة السوداء ، بعد رق المهاراجات واستعباد البراهمة لشعبك الكادح الطيب ، وبعد ملاحم الاستعمار الدنس ، تنكيلا واذلالا وقتلا ونهبا لثروة الجائعين والمرضى من أبناء الحضارة العريقة ، عظيمة وأنت تحملين طبقك الفارغ ، وتذهبين معنا لتأتى بعشائك من فوق المواقد ، عظيمة وأنت ترحبين بكل منا ، وتسألينه عن أية عقبات قابلته فى الهند لتذليلها ، ثم وأنت تستأذنيننا ببساطة مذهلة ، لكى تنصرفى الى اجتماع لمجلس الوزراء » •

وعدنا الى الفندق ، استقبلنى أصدقائى مندوبو وزارة الاعلام الهندية ، الذين يعملون بمكتب خاص بالفندق لخدمة الوفود ، سألنى أحدهم :

- فيم كنت تتحدث وتمرح مع مسز « انديرا » ؟

حدقت فيه مندهشا ، هل كان متخفيا بيننا فى حفل العشاء ؟ هل الضيوف هنا مراقبون لسبب أو لآخر ؟ لكن موظف الاستقبال بالفندق أقبل مهللا من بعيد :

- لقد رأيناك على شاشة التليفزيون ، منذ بدأ الحفل حتى سقط الشال من على كتف رئيسة الوزراء •

ذات ليلة ، وقد اقترب موعد السفر ، أحسست بأن مغادرة تلك البلاد اصبحت شبحا كئيبا •

كان قد زارني بالفندق في ذلك اليوم وحده : صـــديقي الهندي العزيز محمد أفضل رئيس القسم العربي بإذاعة كل الهنـــد ، والاذاعى المثقف الانســان محســن عثماني ، ثم الأســمر الضــاحك الوســيم « فيجاي تشاندر » ، وهو ممثل عظيم من ولاية مادراس في أقصى الجنوب، كنت قد شاهدت له فيلما رائعا باسم « المسيح والشيطان » ، قام هو بانتاجه وبطولته في دور المسيح ، ثم مخرج ودود يعمل بولاية البنجال ، أخذني بقوة الود في سيارته ، لأتناول العشاء مع بعض أفراد أسرته ، المقيمين في ضاحية ساحرة من ضواحي نيودلهي ٠

وفي اليوم التالي ، استطال شبح السفر حتى شحبت له نظراتي ، وأنا في مكتب المستر « فاسنت ساتي » وزير الاعلام والاذاعة ، ودعوته الكريمة لي لزيارة كلكتا في الجنوب ، وكشمير في الشمال ، وعلى مدى ساعات عديدة ، في أيام متفرقة من الزمن الباقي ، عاد الأصدقاء الاذاعيون يستضيفونني أمـام الميكروفون ، لأســجل قصصي المؤلفة والمترجمـة ، وأحاديث عن الأدب والأدباء المصريين ، وانطباعاتي عن زيارتي لبلادهم ٠

وفي الفجر كان موعد الطائرة ٠٠

يا أصدقائي في بلاد الأساطير والمعجزات ، دعوني أذهب وحدي الى المطار !! لاتزيدوا التهاب عيني بدمعات الفراق ، أتوســل اليكم أن تدعوا لي حقيبتي أرتبها وحدي ، وأحملها الى خارج الفندق !! تغضبون مني ؟! لا يا ملائكة الأرض المكدسين في هذا الركن البديع من العالم !! وناولني أحدهم خطابا ، ما ان هممت بفض غلافه ، حتى هتف بي في مرح :

ــ ليس الآن ، عندما تصبح وحـــدك في الطائرة ، لعلك تتسلى بقراءة عواطفنا ٠

وامتلأت يداي بخطابات الآخرين ٠

الليل غارق في حلمه الأبدي العتيق ، وضوء السيارة يسبقنا فيلتهم الضباب ، وشريحة قمرية شاحبة ، ترتعد على بوابة الأفق ، وتنهدات الأشجار تلفح قلبي على امتداد الطريق ، ولآلىء الضوء ممتدة هنا وهناك بلا انتهاء ، لست أدري لماذا تذكرت آنذاك ، أن كوكبنـــا المسكين يدور بأثقاله في الفضاء حول الشمس ، وأن الطائرة بعد قليل ، ستدور بي دورة أخرى مركبة حول الأرض الدائرة ، وأن أسرتنا الشمسية كلها ، تدور بنا دورات قدرية أزلية حول طرف مجرتنا ، وأن الدورة الواحدة من هذا الهول تستغرق مائتي مليون عام ، وتذكرت برجفة عاتية ، أن كل مجرات الكون مهاجرة بأثقالها الى الأبد في أعماق الخواء ، نحو مصيرها الخرافي عند ضفاف الحلم والمجهول ، وأن الحقيقــة والحلم يتصــافحان

فيما وراء الخيال ، والبداية والنهاية تتبادلان المواقع على محيط دائرة الزمن ، وكل الأسرار ستظل فى حوزة السر الأعظم ، وكم أنت رائع أيها الانسان !! يا أيها الخلق المعجز !! المعذب فى بهاء المعرفة وفى كهوف الطلاسم !!

و ...

وأيقظتنى نهاية الطريق وضجيج المطار .

قاومت ارتعاش القلب والعقل والدوار ..

حتى وجدتنى ألوح للأصدقاء الهنـــود ، الذين وقفوا يلوحون لى وداعا من خلف الحواجز ..

هأنذا مرة أخرى أسبح فى الفضـــاء معلقا بين السحاب والخوف وأشباح المجهول ..

يا الهى !!!!

كم انتصر الانسان على المكان !!!

الى أين ستسمح له بالصعود فى أغوار كونك الرهيب ؟!

يا أنت !!

يا من تعاليت حتى على شقاء الخيال !!

يامن أحلم بأن أرى جماله يوما ، ولو من شرفات العذاب !!

يـا الهى !!

فى فضاءاتك الغامضة ، أستودعك وجودى الغامض !

يا أبانا العظيم !!

يا من سيطفىء حبه من حولى حرائق الجحيم !

لكى أحيا فى بهائك سر الخلود ..

فأنا .. يا أنت ..

أنا ظلال سرك المقدس ..

أنا الانسان ، الذى صنعته بوحا بوجودك واقتدارا .

ثم أرقدته يداك حبا فى رحم الزمان الأبدى السحيق ..

أساطير من الهند

رفيق الفرح والألم

أطلق صـــياد شرير سهمه المسموم ، لكن السهم أخطأ الغزال ، واستقر فى جسد الشجرة الهائلة .. التى كانت يمرح فى ظلها الغزال ،

وسرى السم فى أنحاء الشجرة حتى تساقطت أوراقها ، وتغير لون جسدها ، وبدأ يعتصر قواها الجفاف .

كان هناك ببغاء ، يسكن فى احدى تجاويف الشـــجرة منذ زمن طويل ، وكانت حياته قد ارتبطت بحياتها ارتباطا وثيقا ، لذلك لم يستطع أن يهجر مسكنه ، رغم ما حل به من دمار ، ظل يتنقل بين أغصان شجرته الذابلة ، باحثا دون جدوى عن طعام أو شراب ، ثم يعود الى مسكنه حزينا مقهورا ، الى أن حوله الحزن والقهر والجوع الى هيكل ضعيف ، ورغم ذلك فقد صمم الببغاء الوفى على أن يستسلم للفناء مع رفيقته القديمة ، الشجرة التى طالما آوته وقدمت له كل ما يحتاج .

ومن طاقة الوفاء ، والثبات والصبر ، والرضا فى الفرح والألم ، ومن روح الحب والتضحية ، من كل هــذه الفضائل كانت قد تولدت فى الفضاء اشعاعات لفتت أنظار الاله « أندرا » ، فأسرع ليرى ما يدور هناك ، ووقف أندرا أمام الطائر المحب الحكيم وقال :

ـ أيها الببغاء العزيز ، لم تعد هذه الشجرة مثمرة ولا مورقة ، ولم يعد لها أغصان تتنقل عليها ، وهناك بالقرب منك غابة هائلة ، وبها آلاف الأشجار الجميلة ، المثقلة بالفواكه والأزهار ، وفى جذوعها ما لا حصر له من التجاويف ، التى تظللها الأوراق ، أما هذه الشجرة فلا أمل فيها ، ولن تكون قادرة على أن تعطى أزهارا ولا ثمارا ، وأنت طائر عاقل حكيم ، لماذا لا تنتقل الى أشجار الغابة الخضراء ؟!

أجاب الببغاء فى نبرات واهنة مؤثرة :

ـ سيدى أندرا ، يا ملك الآلهة ، لقد ولدت وكبرت على أغصان هذه

الشجرة ، في كنفها اكتسبت أحاسيس ببهاء الحكمة وجمال الحياة ، هي التي رعتني منذ طفولتي ، حتى صرت قادرا على التحليق عند السحاب ، هي التي وهبتني أحلى الثمار لأتغذى ، وحمتني من كل أعدائي ، كيف التمس الفرح بعيدا عنها ؟ كيف استمتع بالحياة وهي تذوى وتتألم ؟ لقد قاسمتها الأفراح كل أيامي ، لا يا ملك الآلهة ، سأبقى معها لأقاسمها المعاناة أيضا ، ستبتهج روحي بالألم الى جوارها ، ولكن !! كيف تكون ملك الآلهة وتنصحني بهذه النصيحة الخاطئة ؟ عندما كانت شجرتي غنية بأسباب الحياة ، بنيت حياتي من حياتها ، والآن !! عندما يصيبها الوهن !! هل يليق بي أن أهجرها ؟ ! وأتركها وحيدة مع قدرها التعس ؟ !

عند ذلك ، كان قلب « أندرا » قد امتلأ بالتأثر والاعجاب فقال :

ـ أيها الببغاء الطيب ٠٠ اسألني الآن ما تشاء ٠

أجاب الببغاء متوسلا :

ـ هب شجرتي من البركة ما يعيدها خضراء كما كانت ٠٠

وبر أندرا بوعده ، فروى الشجرة بمطر من ماء الحياة ، وفي الحال دبت فيها الخضرة ، وأخذت تستيقظ من الموت وتكتسي بالأوراق ، ثم بالأزهار ثم بالثمار ، الى أن استعادت جمالها وعنفوانها القديم ٠

وهز الفرح قلب الببغاء وجسده ، فطار ، وحط على كتف أندرا مغردا بالشكر ، عند ذلك كان أندرا قد قرر أن يكافيء الببغاء على وفائه وتقواه ، فطار به نحو السماوات ، حيث وهبه هناك حياة خالدة بلا ألم بين أشجار أكثر جمالا واخضرارا واثمارا ، وجنات بلا صيادين ولا سهام ولا سموم ٠

« السماء لا تعرف العجز »

فى كتاب « الجيتا » وهو أحد الكتب المقدسة فى الهندوسية القديمة ، يقول كريشنا :

« ان هؤلاء الذين يعرفوننى ، فيتركون الحياة خلف ظهورهم من أجلى ، هؤلاء الذين يعترفون بى رسولا من الروح الكونى الأعلى ، الذين يفكرون فى السماء بروح نقية . من أجل أولئك الذين يركزون أفكارهم بعيدا عن الأرض ، أتيت أنا منذ الأزل ، أرسلنى الاله الذى يستطيع أن يخلص روح الانسان من أمواج هذا العالم الذاتى ، جئت من لدى براهمان الخالد ، الأصل ، الدائم .. الأزلى الأبدى الذى لا يموت ، ولا يبلى نعيمه الذى أعده لمحبيه » .

بهذه الكلمات التى جاءت فى كتاب كريشنا ، تسقط عقولنا فى بحر لا نهائى من السكينة ، حيث لا نسمع سوى هذه الكلمات ، التى تتساقط فى أعماق الروح كالمياه العذبة ، قطرة وراء قطرة كرذاذ الحنان .

لم يدع كتاب الجيتا شيئا مما تحتاجه القلوب المضطربة ، حتى الذين يرتجفون خوفا من الجوع .. وعدهم كريشنا وعدا حانيا يقول :

« أنا أحمل اليهم بنفسى كل ما يحتاجون اليه ، اينما كانوا فى المكان أو فى الزمان » .

عن هذا الذى قاله كريشنا فى كتابه « الجيتا » تحكى أسطورة جميلة فى قرى الهند حتى الآن ، تقول الأسطورة :

ان كاهنا برهميا ، جلس ينسخ هذا النص من كتاب كريشنا ، لكى يوزعه على رعايا المعبد ، وعندما وصل الى الكلمات التى تقول « أنا أحمل اليهم بنفسى كل ما يحتاجون اليه » ، لم تعجبه كلمة « أحمل » ، شعر نحوها بالشك ، فقال فى نفسه : لا يمكن أن يحمل كريشنا الطعام بنفسه ، والتفت الى زوجته يستشيرها :

ـ ألست ترين أن هذه الكلمة محرفة ؟ انى أعتقد أن كريشنا لم

يقل « أحمل » بل قال « أرسل » ، أجابت زوجته فى انزعاج :

ـ أيها الكاهن !! ابتعد عن الشك فى كتابنا المقدس !!

ـ انى لا أشك فقط ، انى أؤمن بأن الكلمة حرفت ٠

وتنـــاول المحاة وكشـط كلمة « أحمل » ، واستبدلهـا بكلمة « أرسل » ، وأحس بالارتياح ٠٠ فنهض خارجا نحو الحمام المقام فى الخلاء ، ولكن زوجته اعترضت طريقه فى اضطراب وقالت :

ـ والطعام ؟ ! ألم أخبرك اليوم أكثر من مرة ، بأن البيت خال من أى شيء يؤكل أو يطبخ ؟!

ابتسم الكاهن باستخفاف وقال :

ـ دعينا ندعو كريشنا أن يفى بوعده ، لعله « يحمل » لك طعاما وأنا فى الحمام !!

وأفلت من غضب زوجته واختفى فى الخلاء ٠

مرت على الزوجة لحظات ثقيلة ، وهى ما تزال فى مكانهـا ذاهلة دامعة ، الى أن سمعت صوتا عند الباب يناديها باسمها ، كان هناك صبى جميل يقف بالباب حاملا سلة ملأى بأشهى الطعام ٠

ـ من أرسل الى هذا ؟

ـ زوجك الكاهن طلب الى أن أحمل اليك الطعام ٠

ووضع الصبى السلة بين يديها ، لكن الزوجة انتابها فجأة رعب فظيع ، فقد لمحت جروحا غائرة فى صدر الصبى ٠٠ فى اتجاه قلبه تماما ٠

ـ يا الهى !! من طعنك بهذه القسوة يا طفلى الفقير ؟ !

أجاب الصبى الجميل فى هدوء :

ـ زوجك الكاهن ، قبل أن يدعونى لحمل هذه الطعام ، طعننى بسلاح صغير حاد ٠

أخرست الدهشـة زوجة الكاهن لحظات ، ثم هرولت بالسلة الى داخل البيت ، لكنها عندما عادت ، كان الصبى الجميل قد ذهب ، ووجدت زوجهـا عند البـاب عائدا من الحمام ، نسيت الطعام الشهى فى غمرة سخطها على زوجها وصرخت فيه :

ـ لماذا طعنت رسولك الجميل الذى حمل الى الطعام ؟ !

نظر اليها الكاهن دون أن يفهم شيئا ، واستطردت الزوجة تصرخ فيــه :

ـ ذلك الصبى الذى أرسلته الى بالطعام !!

والتقت عينا الزوجة بعينى زوجها المشدوه ، وفى لحظات فهم كل منهما من الذى حمل الطعام ، ومن الذى جرح قلب كريشنا ، عند ذلك عاد الكاهن سريعا الى النسخة التى كان ينقلها من كتاب الجيتا ٠٠ ومحا كلمة « أرسل » وأعاد كتابة الكلمة الأصلية مكانها « أحمل » ، ثم أكمل كتابة النص ، وجلس يقرأه كاملا ٠٠ دون أن يشك هذه المرة فى كلمات كريشنا :

« هؤلاء الذين يتكلون على ٠٠ تاركين وراء ظهورهم هموم هــذا العالم ٠٠ أحمل اليهم بنفسى كل ما يحتاجون اليه ، اينما كانوا فى المكان أو الزمان » ٠

هكذا كان الايمان بالسماء فى الهند القديمة ، ورغم تغير الديانات وتعددها ٠٠ فان الايمان بالسماء ما يزال راسخا فى القلوب ، من أقصى الجنوب فى كيرالا ٠٠ حتى قمم الهملايا فى أقصى الشمال ٠

« الأرنب على سطح القمر »

منذ قرون بعيدة مضت ، وفى الأرض الفقيرة التى ولد فى رحابها بوذا ، كانت هناك غابة واسعة ، ترقد تحت أقدام الجبل ، وكان يعيش فى تلك الغابة ثلاثة أصدقاء : قرد وثعلب وأرنب ، وكانت تربطهم صداقة حميمة وتوافق تام ٠

وذات يوم ، هبط اله من السماء الى تلك الأرض التى ولد فى رحابها بوذا ، كان الاله متخفيا فى زى شحاذ مسكين ، وراح يتجول عبر القرى والمدن والبلاد ، ولكن أحدا من الناس لم يرث لحاله أو يقدم طريقى الطويل ٠

وتصادف أن التقى الشحاذ بمجموعة من الشحاذين ، وسمع منهم عن الأصدقاء الثلاثة الذين يعيشون فى الغابة البعيدة ، فقرر أن يزورهم ٠

وعند مدخل الغابة وجد حجرا كبيرا ، فأسند ظهره اليه حتى يستريح ، بعد أن هده السفر والجوع والتعب،وأطل أحد الأصدقاء الثلاثة من داخل الغابة ، فرأى الشحاذ ، فنادى صديقيه ، وخرجوا اليه جميعا ، وهو جالس شبه غاف وظهره الى الحجر ٠

قال لهم الشحاذ :

ــ أنا رجل فقير معدم ، منذ أيام لم أتناول طعاما ، ولما سمعت أنكم أكثر عطفا من البشر على أمثالى من المساكين ، جئت اليكم من بعيد لكى تساعدونى ٠

عند ذلك تحركت نحوه عواطف الأصدقاء الثلاثة ، جرى القرد بعيدا حتى اختفى داخل الغابة ، وعاد بكثير من الفواكه أعطاها للشحاذ ، وأسرع الثعلب الى نهر قريب ، وعاد الى الشحاذ ببضع سمكات ، وهرول الأرنب هنا وهناك فى أرجاء الغابة ، لكنه عاد بلا شىء ، وقال الشحاذ للأرنب :

ــ يا سيدى الأرنب ، انك عطوف على الفقراء مثل صديقيك

أرجوك أن تساعدني بشيء مثلما ساعداني ، لأستعين به على الجوع فى طريقى الطويل ٠

قال الأرنب :

ــ سامحني يا سيدى الشحاذ ، أنا أحس نحوك بالعطف مثل صديقى ٠٠ لكن ليس لدى ما لديهما من ذكاء وحكمة ، وهذا يؤلمنى كثيرا ٠٠ و ٠٠

وتوقف الأرنب عن الكلام ، تغيرت قسماته ، وبدا كأنه يفكر تفكيرا مضنيا ، وفجأة لمعت عيناه فرحا ، فقد اهتدى الى الحل ، قال لصديقيه :

ــ أرجوكما أن تسرعا وتحضرا لى بعض الأغصان الجافة من الغابة ، وتكوماها هنا بجوار الحجر ٠٠

وذهب القرد والثعلب وجاءا له بما طلب ، ونفذا بعد ذلك كل ما أشار به الأرنب ، كوما الأغصان الجافة كما تكوم للحرق ، وعاد الأرنب فطلب من صديقه الثعلب أن يضرب حجرين صغيرين ببعضهما حتى تتولد شرارة نار تشعل الأغصان الجافة ، ففعل الثعلب ذلك ، وتقدم الأرنب فعانق صديقيه شاكرا ، وقبل أن يدرك الصديقان ما يدور برأس الأرنب ، كان قد قفز داخلا فى النار ، ومن هناك التفت قائلا للشحاذ :

ــ لم أستطع أن أقدم لك شيئا يا صديقى ، والآن ، أرجوك أن تنتظر حتى تنضج النار جسدى ، ثم خذه طعاما لك فى سفرك الطويل ٠

أدارت المفاجأة رأس الشحاذ ، وملأ قلبه الرعب والأسى من أجل الأرنب الطيب ، فقفز خلفه فى النار ، وعاد به سريعا ، لكن النار كانت قد شوت جسد الأرنب نصف شواء ، فحمل الشحاذ جسد الأرنب ٠٠ وضمه الى صدره ، وقربه من قلبه فى حنان ، وفجأة ، وسط الدهشة العميقة التى أذهلت القرد والثعلب ، طار الشحاذ بالأرنب ، واختفى به سريعا فى الفضاء ، حتى هبط به على سطح القمر ، وهناك بنى الاله قصرا جميلا ، أسكن فيه صديقه الأرنب ، الذى ضحى بنفسه من أجل كائن آخر لا يعرفه من قبل ٠

ومنذ ذلك الزمان البعيد ، ما يزال الأرنب الطيب هناك ، يبتسم لنا سعيدا بقصره على سطح القمر ٠

قصائد حديثة من الهند

(الغــــزال)

لشاعر كشمير : غلام أحمد

كيف أحكى لك ؟ !
لا شيء يا جميلتى ... ،
سوى أنك أوقعتنى فى شباك الهوى ...
ثم جريت بى يا غزالتى فى القفار البعيدة
كيف أحكى لك ؟
لا شيء يا جميلتى .

***

مثل طائر السمان ...
ارتميت بى فى الغابات الكثيفة ،
أسقطت منى زهرتى ...
فسرقت وريقاتها الرياح ...
واحدة اثر واحدة ،
كيف أحكى لك ... ؟
لا شيء يا جميلتى .

***

انتظرتك صابرا كنهر الجليد ،
أحرقتنى أشواقى اليك ،

وعندما تطاير الندى ...
ولم أجد قطرة حب من حولى ...
ألقيت بنفسى فى النهر المقدس .

***

وسمعت صوت الحكمة القديم :
« اذا شئت أن تدرك .. فعليك أن تعانى »
صار قلبى كقلب السماء ...
جمعت منه أشلاء خوفى ...
وأحرقتها حتى الرماد

***

وتسللت من عالم الحب نسمات رقيقة ،
رقرقت سطح الرغبة الساكن فى معبدى
ضفائر ظلت تدور وترتعش ..
حتى لم يبق فى قلبى الا الدمار .

***

لماذا يا نسمات الهوى ؟!
افزعت الزهرة فى قلبى ؟
لماذا جعلت الصقر يجاور البلبل ؟
كيف أحكى لك يا حبيبتى ؟
لا شيء يا جميلتى ..... !!

***

جئت لكى أقدم كل ما أملك ،
ما تناثر من حطام القلب المهدم ،
ولكن !! كيف أحكى لك ؟!
وماذا أقدم ؟

***

هذا حبى ناصع كالياقوت ،
وهذا كل ما أملك ·

***

رنوت طويلا الى الدرب الطويل ،
حيث جريت بصيدك واختفيت ،
لكنى وجدتهم يراقبون عينى ،
انهم يقتربون الآن يا حبى ،
يوشكون أن يمسكوا عن الخفقان قلبى ·

***

كيف أحكى لك يا حبيبتى ؟!
لا شىء يا جميلتى ،
سوى أنك أوقعتنى فى شباك الهوى ،
ثم جريت بى يا غزالتى فى القفار البعيدة ،
كيف أحكى لك ؟!
لا ·· لا شىء يا جميلتى !!

***

(الغريــق

للشاعرة الهندية : انديرا سانت

Indira Sant

هى :

واحد هو الذى يصغى الى .... أنت

واحد هو الذى يفهمنى .... أنت

لذلك أحيا بجوارك كل أيامى .

***

هو :

شىء أحمق بلا معنى لامسنى ..

فخفف الأثقال عن قلبى ،

وعندما تفجر ادراكا ...

راح يقهقه زهوا

ساخرا منى

***

هى :

غواص أنت تجوب الآفاق !!! ؟

وتحلق أيضا فى الأعماق !!! ؟

احك لى اذن عن الضحالة فى البحيرة !!

***

هو :

غصة سدت هناك حلقى ،

كان القاع قريبا ينشر الظلمة ،

وتهادت المياه السوداء نحوى ...

حتى عانقت عند قدمى ألوان الشواطىء .

***

هى :

لكننى أغرقتك معى فى نفس البحيرة .

أغرقتك حتى هامتك ...

لأن هامتك العالية ...

كم شكت لى من وحشة الرفعة ..

وكم بكت لى من طول العطش !!

***

(حديث النهــر)

لشاعر كشمير : عبد الأحد آزاد

في فقاعات أمواجي ...
تجد لها منفذا أشواقي ،
في اضطراب مياهي ... ،
في هديري ...
هائم أنا صوب أهدافي البعيدة .
هناك حيث أعانق موسيقى الوجود

***

نهارا وليلا .. أنا لا أكف عن السفر ،
عبر الأخاديد والوهاد ... وفوق الصخور ..
أنا لا أتمهل في انتظار التحايا
لا أتوقف من أجل اللعب ،
فموطني على طول الطريق ...
مع الرياح والطيور
مثلما هو طريقي مع الليل والنهار ..
وفقاعات السفر

***

المديح لا يدغدغ موجى ..
والذم لا يلعثم خطوى ..
فهناك هدف بعيد ..
من أجله جئت الى هذا العالم ،
وأنا مسافر حتى ألقى ذلك الهدف ...
فأنا لست مقيدا مثل البشر
لا بمخاوف القول .. ولا بأشباح السلاسل .

***

مندفع أنا للأمام نحو رياض الأبد
لست أعرف الرجوع الى الوراء
أنا لا أتزين كالزهور ..
ولا أبنى أعشاشا كالبلابل
لأن ابتهاجى في دوامات الصخب
في ثورات الأرض من تحتى
وفى صرخات الزلازل

***

أنا فى طريقى أنظف جوانب جسبورى
أسوى الأرض العالية بالأرض التى لم ترتفع
أقفز من فوق جنادل الزهو
والعوائق العنيدة ألقى بعنادها بعيدا
أنا لست أبحث عن معارك
لكنى اذا لقيتها .. لا أتهاون فى مصيرى

***

أجرح جسدى فوق سدود الطبيعة
وفوق السدود التى أقامها البشر
ثم أعود فاجمع شتات كيانى
وشظايا نفسى المتناثرة
لكى أهزم الصخور ثانية
وأفتت أجساد التلال
لكى أهيم حرا فى غاباتى البعيدة

***

أنا الذى يهب للسحاب أجنحة
أنا الذى يغفر خطايا المطر
انه أنا الذى يعطى السماء ثيابها
أرجوانية ورمادية وزرقاء
انه صوتى هذا الذى يدمدم فى الرعد وفى الرياح
وكل ما يشتعل فى سماء الشتاء من لهبى

***

على سطوح أوديتى
أنشر أبسطة المخمل الأخضر .. لأصدقائى
لتستريح أطرافهم المتعبة وظهورهم .
وليمرح أيضا عشاق الجمال .
الجميع يأتون الى
يجلسون .. يمرحون
يستحمون ويشربون
أعطيهم السعادة والفرح ..
والحرية بلا حدود

***

لكنى لا أقوم بخدمة أحد ،
الهندوس والمسلمون ..
الشحاذون والأثرياء ..
المهاراجات والمنبوذون ..
كلهم يأتون الى ليستريحوا ..
وليسألونى بلسما للروح التى أصابها العطب .
الجميع نحوى يتدفقون
ضارعين الى مياهى والى جسورى .

***

أنا لن أستريح ..
حتى يتخلص العالم من تلك الحواجز
الحواجز التى تفصل الانسان عن الانسان
أنا لن استريح ..
حتى تتخلص الأرض من تلك الوهاد ..
ومن جحور الخداع
تلك التى تشوه وجه العالم الناعم الجميل
أنا لن أستريح ..
حتى أحطم ذلك العذاب
الذى يتلظى نارا جائعة ..
نارا تحرقنى وأنا المياه الجارية

***

ان أقوى الجبال تعرف بأسى
فأنا أشق قلوبها ..
أكسرها

لكنى بأيادى الحانيات
أغسل أجسام الصبايا الجميلات
فتيارى المتدفق ..
ودوامات أمواجى ..
فى اشتياق قديم الى الحب ..
والى جسد الحقيقة

***

أمنياتى أن أكون مسافرا رقيقا ،
أن ألهو فى شعاب الخمائل ،
أن أحمل الماء فى جداولى ...
الى زهرة السوسن العطشى ..
ثم أتمهل عشقا واشتياقا ..
لألقى نظرة على زهرات اللوتس
وهى تتفتح بسمات للشمس ..
فى وسط البحيرة .

***

« الأفق »

قصيدة حب لم تكتمل

للشاعر الهندى : سوريش كوهلى
Soresh Kohli

فصل حبيب يأتى بعد الربيع ..
لا ، ليس هو الصيف ..
هو فصل قصير يأتى على أجنحة الحنين .
ليمشط شعر حبيبى على مهل ..
ومع أنامل الريح يجدله ضفائر ..
فى طمأنينة وأناة ..
دون أن يكترث بناموس الفصول

***

هو فصل يجوس بين عرى الجبال
فيأسر سحره وقار الجبال
ترنو لمرآه ألسنة الصخور ،
يرتجف التيه العتيق فى البرية ،
وكأنما بأمر من السماء ..
تتوقف القمم عن الغناء
تكف الحياة عن الخطو من مكان الى مكان ..
وتبدو الصخور ذاهلة
ثم تجثو وتحتضن السكون .

***

حين يأتى ذلك الفصل الحبيب ٠٠
تندفق نافورات الضوء فوق الهملايا ٠٠
تتساقط الأوراق غزيرة من الأغصان ٠٠
كعباءات بلا عدد تفرش الأراضى ٠٠
يتسلق شذا الأنغام جذوع الشجر ٠٠
يفيض النغم فيبلل حفيف الأضواء ٠٠
ويتسلل مذاق الشهد الى حنايا الروح ٠٠
كبار عذب البرودة تحت اللسان ،
تستيقظ النباتات سكرى
تنتفض فى الوديان رانية للأفق
تقفر الأخاديد من دبيب الوحوش ٠٠
فليس لها بعد طعام هناك ،
تتلفت القنافذ مذعورة حتى يصيبها الدوار ،
تشتبك مياه الأنهار مع قوافل الرياح ٠٠
لتندفع نحو عطش البحرات البعيدة ،
فى ذلك الفصل الحبيب
تختبىء الفصول فى أحضان الثمار ٠٠٠
أو فى أرحام البقول ٠٠٠٠
أو فى وداعة الحملان قبيل الصباح ٠٠
وهى مستلقية على ضفاف الجداول ٠

***

وصعدنا نستقبل الربيع
بأيدينا صغار السمك والزهور
تمخرت برودة الثلوج ،
ومن أفواه الرياح ٠٠٠
تساقطت الأمطار الأبدية ٠٠
فالتقينا بالفصل الحبيب ٠٠
الفصل الذى ولد من بطن الشمس ٠٠

بعد أن حملت بجنين النار ..
بعد أن – ذات ليلة – مات القمر
واختفى بعيدا بعيدا وراء البصر

***

وبحثنا عن الربيع ..
تسلقنا الصخور وارتقينا الجبال ،
وعندما ابتلت ذراعاى بالنور المذهب ..
عندما جاء ضوء الشمس يصافح القمر ..
لقيت فتاتى الغجرية الساحرة ،
لم أدرك شيئا مما أرى
كنت معلقا بين الحياة والموت ،
بين عالمين متناقضين ..
لم يكتمل أحدهما بعد ،
لكنى .. عندما هبط الصمت الوسيع ..
أدركت كل ما رأيت ،
لست أعرف كيف أصوغ الكلمات ..
كيف أحيي الفصل الحبيب ،
ليس هو الصيف الذى يأتى بعد الربيع ..
بل شهر تزهو فيه الطبيعة بالعرى والألق
تزداد براءتها غموضا ..
ثم تخطو نحو أبواب الدرب الجديد ..
وبما بحثا عن جمال ..
عن مزيد من جمال ..
وربما لتخبىء فى خزائنها ..
ما جمعته من على أبواب الطريق .

***

ذلك الفصل الذى يتخلق على شواطىء البحار ،
عندما تتجمع الأمواج من الشتات ...

فتعتصره من حنين الاغتراب ٠٠
ثم تعود ثانية الى الشتات ،
بطيئة أو مسرعة تفترق الأمواج
كما تفترق الفصول
مثلما ـ واحدة بعد أخرى ـ تغيب الليالى ٠٠
ويجىء الصباح ،
مثلما فى المدى تموت النجوم ٠٠
ثم ترتعش فتبعث من جديد
لمن يجىء هذا الفصل الحبيب ؟
للحب أم للكراهية ؟
للموت أم للحياة ؟
هأنذا أتأمل !!!
لست أدرى أتأمل ماذا !!!
فأنا واحد من الشعراء ٠٠
منجم ذهب مثقف مجنون ،
أنا فى منجمى مقبرتى ،
رســام أنا ،
على خيوط الشمس الحارقة ٠٠
أرسم لوحاتى ،
شعرة ضوء فضية هو الشاعر ،
والرسام أقحوانة لا تشفى من العطش ،
باختلال الذهن التقيت بكل الأشياء
وعندما خولط بالشعر عقلى ٠٠
لقيت كل العباقرة ٠٠
وكل عظماء الحياة :
الموسيقى والشاعر والرسام ٠٠
المحبين من الرجال والنساء ٠٠
كانوا كلهم مثلى مجانين ٠٠
فى رحلة البحث عن الغامض والمحير والمجهول
لكن شيئا لم يطل علينا مع وجه المساء ٠٠

فالفصل الحبيب المشتهى ...
كان بطيء الخطى خلف ظهر المساء ..
مثل شيخ مهدم مكدود ...
يتساند ارهاقا على جدار مكتئب

***

يا عالمنا المتشوه الغريب !!!
يا أرض الجوع والقسوة والعذاب !!!
فصولك من غامض الدروب ...
تجيء بالأفراح فى ثياب الشجن ،
يا فصول العام الدوارة !!
أترقب فصلا للحب ذات عام ..
فانا عاشق يا فصول العام ،
ويا فصلى الحبيب !!
انتظر قدومك قبل مجيء الصيف ..
بالحب ودفء الصداقة والبركات ،
يا فصلى الحبيب !!!
لن تمنحنا الطبيعة اياك ،
فأنت من خلق الشعراء ،
يخلقونك بثورة القلب الدءوب
وعندما يجسدونك بالعمل ...
سيلهث العذاب ويحتضر ..
فبما هو أكبر من العذاب ..
ينسج الشعراء تيجانهم ..
من خيوط الألم ..
ينزعون السم من حلوق الأفاعى ..
عند ذاك تتنهد السماء بالفرح ..
يدهش الآلهة المتعبون ،

***

يا ارضنا الجميلة المفقودة !!
يا انت يا أيها الفصل المرتقب ·

***

فى هذه الأرض ستقع المعجزة الثانية ،
فعندما يأتى الفصل المفقود ··
سيقرب كل شىء من الأرض ··
حتى السماء ستقترب ··
سيسعد عالم الشعر ويزدهر ،
سيتعلم الكمان ···
كيف يعزف وحده الأنغام ،
للحب ·· للحياة ·· للأحلام ··
سوف تتمايل الريح بالغناء ،
حتى عند محارق الموتى
ستغنى الرياح دفاعا عن البشر ،
ترى !!! هل تكفى غرفة الحرق للذكرى ؟!
وهل دفنوا فيها الجسد ؟
لقد مات المهاتما فى الحريق ··
لكن غاندى لم يمت ،
يا قوة الرجال ويا صبر النساء !!
متم جميعا بموت الجسد ؟!!
لكن الأرواح ما تزال هائمة ··
نسمة من كل من عبر الحياة ،
والزمان يقذف بها الى زمان جديد ··
أرواحا عارية شريدة ··
فهى ليست مبجلة كآلهة السماء ·

* * *

ستظل الطيور لا تدرى الى الأبد ···
أن العالم لن يفكر فى الفصل المجيد ،

لن تعرف الطيور الى الأبد ..
أن الشاعر يريق الأيام والشهور ..
لينحت كلمة تمجد الفصل الحبيب ..
الفصل الموشى بالفتنة وسحر الجمال ،
السحر الذى ليس من خلق الله ..
بل من حنين الشاعر للكلمات ،
يا طيورا تروح وتجيء غرقى فى الفضاء !!
الكلمات وحدها ..
هى التى ستبقى مغنية للجلال .

* * *

فى زمان ما ..
قد لا تجيء الفصول ..
الا فصلنا الحبيب المرتقب ،
ولقد رأيته بعينى فى بعض المكان ،
لا .. لست أذكر الآن المكان ،
لم تقو أن ترسبه الذاكرة المتعبة ،
لكن رغبتى فى الادراك ...
ستطفو به يوما الى سطح الذاكرة ،
قد يقتل الادراك روحى ..
لكنى سأحتوى فى راحة القاع ..
قاع الوهم أو قاع الحقيقة ..
فكلاهما عندئذ ســـواء ..
وياوجودى فيما وراء الموت !!
لن تلوث فيك الجريمة بصرى ،
ولن تحلم الروح بأمل من جديد ،
الكل يموت ..
فقدر الكل يوما أن يموت ،
يترك البعض بصمات على وجه الزمن ..

لكن الموت لايقر فى الرأس المعتق ..
رأس الشاعر الذى يرنو للفصل المرتجى ،
ذلك الفصل الذى يدرك ذاته ..
ويهش الموت عن ذاته .
الفصل الذى لا علاقة له بمخلوقات الطبيعة ،
فان الطبيعة والخيال اثنان ..
وواحد هما الأرض والسماء .
والشعر ليس ســـلاحا .
الا فى أيدى الشعراء .

* * *

يتجرع الناس الزمان ..
الرجال جميعا والنسـاء ،
تتغير الفصول مع الزمان ..
لكن الحياة فى الفصل الحبيب نقاء ،
يترك الفصل بصماته على رمل الوجود .
فتمحوها الأمواج والرياح .
لكن الأرواح النبيلة باقية هناك فى سلام ،
يا أطياف الأرواح النبيلة !!
لاتغيبى فى أعماق المدى ..
ولاتبكى عالمنا المحير الغريب ..
فآلهة الموت والقدر ..
أبدا لن تكف عن الرقص المخيف .

***

(حتى الشمس ليست وحيدة)

للشاعر الهندى :

بهافاني براســـاد

Bhavani Prasad

يتدفق الليل كالحب الجسور بلا حذر ..
فينسحب النهار الى قمم الجبال ،
يحط هناك مثل طير غريب ..
يستريح من غناء السفر ..
ويعد ما تبقى من شعاع فى يديه ..
ويرتحـــل ،
يتساقط الظلام من السقوف البعيدة ..
حتى ينسج ستارا بألف لون ..
على وجه المســـاء .

* * *

فيم تطيل التأمل ؟
هل تظل غارقا فى هذا الشرود .. ؟ ..
حتى تتشابك نهاية الليل ..
مع أحزانك القليلة الفارغة ؟
متى تهبط من فوق هذا التل ؟
الذى توسدت قمته الموحشة ؟
متي تنعش روحك ؟

فينتعش نبض القلب المتهالك !!

* * *

ألق برأسك فى حجر الليل واسترح
دع أنفاســك تنتظم ،
لاتدع عينيك تدمعان ،
عش كما يعيش الآخرون ،
وانزع نفسك من هذا السجن
لن تخسر شيئا ..
اذا أصبحت صديقا لكل الأشياء ،
لن تخسر شــيئا ..
اذا طوحت بأحزانك بعيدا ،
ليس يحيا الانســـان ..
الا اذا عاش هذا العالم ،
ليس يحيا الانســان ...
الا اذا تنفس عطر الحيــاة ..
الا اذا نبذ الوحدة والشرود ،
لا شيء يحيا وحده فى هذا الوجود ،
حتى الشمس هنالك ليست وحيدة ،
هل أنت أرفع قدرا من الشمس العتيدة !!

***

روح الحيـــاة

للشاعر الهندى : ديباك ميشرا

Dipak Mishra

على ورقة من أوراق اللوتس ..
رقدت لؤلؤة من قطرات الندى ،
أصابتها الشمس الوليدة بالقلق ..
فعكست ضوءها على الصباح الرطيب

* * *

وفى الظهيرة الدوارة منذ الأزل ..
ترامت الأغنية الأبدية الغامضة ..
للطائر البعيد الذى لم يره أحد .

* * *

وفى دوامة السحر عند فوهة الماء ..
صبت موجات الريح الزرقاء ..
حتى آخر قطرة فى شتات المدى

* * *

وفى ظلمة الليل الثقيل ..
أشرق نجم فى التيه البعيد ،
ومن زحام الخضرة فى الغابة النائمة ..
تلألأت للمنجم نوارة حمراء ..

***

كم مرة غنيت هذا النشيد !!؟
كم مرة سمعته من رفاقى !!؟
لكنى لم أرن اليه يوما ،
أنا لم أحدقَ بعد فى وجه الحياة

* * *

(عند الباب المغلق)

للشاعر الهندى م • م • ديشبباندى

M. M. Dishpande

عند باب العقل ••
ذلك الباب المغلق ••
نقف أنا وأنت طويلا ،
ثم نجلس متعبين على الدرج ••
أمام الباب المغلق ،
مثل جارين من أهل المدينة ••
كل منا يعطى ظهره للآخر ••
هكذا نخدع أبدا
وهكذا نخدع الآخرين

***

هناك شخص آخر فى داخلى ••
من بين قضبان نافذة صغيرة ••
يحدق فى بفضول غريب ،
هناك شخص آخر فى داخلك ••
يسترق السمع خلف بابك المغلق

***

أمام تلك الأبواب المغلقة ..
نحن جميعا واقفون ،
كل أيام الحياة واقفون ..
أو جالسون على الدرج ..
وبمثل هذه الكلمات ..
نبدد هدية العمر الثمين .

***

(التغير)

لشاعر كشمير : عبد الأحد آزاد

ما هذى الحياة ان لم تكن سفر التغير !!
ومزيدا منه يخلق المزيد ..
اندفاع الفيضان هو الحقيقة ..
وما الفيضان الا التغير ..
التغير جاء بالقصيدة الرابعة ..
فمزق الستر عن بهاء المعرفة ..
عرف العقل الآن سر النبوة !!
اثنان فقط فى الأرض سيبقيان ..
الشعر وجهد الانسان ،
نحو بوابات حدائق الحب أذن تقدم ،
لمن تصوب هذه البندقية ؟
لا ، ألقها من يديك بعيدا
فهى تحجب عن عينيك حلاوة المدى ،
سل الزهور كم يقسو عليها الربيع !!
كيف عندما يلقى على الثلوج السلام ..
يذيبها دموعا جارية ،
سل الشـــاة الوديعة
أو العنزة الحاملة ..
يستوى فى عينيها الذئب والجزار ..
الجزار يذبحها مثلما يبعثر الذئب دماءها فى الخلاء

***

ان قانون الحرب يبارك مذابح البشر ،
ووليمة الثعالب دماء الأســـد
يا لمذلة العبودية يا للقلق !!
يا للعار الذى يدق الأفئدة !!
أخى مزق قناعك وانطلق
ارفع الغطاء عن القلب الذى يغلى ..
ودع قلبك يتغير ..
ان فى نبضه السر المقدس
يا أيهـــا التغير !!
يا أيها التغير !!
فلتنأت كل يوم بجديد

* * *

غاندى فى القصة الهندية

بقلم : راما جها Rama Jha

لا يزال الجدل قائما حتى اليوم ، حول تأثير فكر المهاتما غاندى على الروائيين الهنود ، منذ أوائل هذا القرن ، وبشكل خاص على الذين يكتبون منهم باللغة الانجليزية ؛ ذلك لأن غاندى نفسه أثنـاء اقامته فى جنوب افريقيا ، وبعد عودته الى وطنه ، كان يكتب وينشر باللغة الانجليزية ، عارضا وشارحا وموصلا لفلسفة الدعوة الى محاربة الاستعمار باللاعنف ، بل بالمقاطعة الكاملة للمستعمرين ، واعتماد الشعب فى مأكله وملبسه وكل احتياجاته على ما ينتج بيديه فقط ، مهما كان هذا الذى ينتجه بدائيا وبسيطا ، وما تلا ذلك من نجاح مذهل لدعوة غاندى الى محاربة القوة بالحق . أو كما لخصها غاندى بكلمتين هنديتين هما « ساتيا جراها » Staya Graha ولأن غاندى كان قد اتقن الانجليزية أثناء دراسته للحقوق فى لندن ، ولأنه عندما كتب عن دعوته ، كان يريد أن يخاطب الضمير العالمى أيضا ، ولأن المتعلمين من الهنود كانوا يجيدون الانجليزية أكثر من لغاتهم المحلية ، لكل هذه الأسباب كان غاندى يكتب غالبـا باللغة الانجليزية ، لذلك كان تأثير أفكاره الجديدة المبهرة على أولئك الكتاب الذين يتقنون لغة الاستعمار ، أكبر وأعمق من زملائهم الذين لا يجيدون سوى لغات ولاياتهم ، وعلى الرغم من أن فكر غاندى انعكس على الحياة الهندية بشكل عام وسريع ، الا أنه كان أسرع وأكثر وضوحا فى كتاب الرواية الهنود الذين يكتبون باللغة الانجليزية ، هذه الرواية التى كانت بلا شك واحدة من نتائج اليقظة القومية والثقافة العارمة ، التى كانت احدى روافدها الجاهزة هى تلك الأضواء الباهرة ، القـادمة من ولاية البنجال ، والتى كان مصدرها تاجور العظيم ، برواياته وأشعاره وموسيقاه الرائعة ، منذ نهايات القرن التاسع عشر .

وبظهور دعوة غاندى فى أوائل القرن العشرين ، شكلت دعـوته سلوكيات جديدة فى كل أنحاء الهند ، تلاها احتياج عقلى وعاطفى شديد

لبعث الشخصية الهندية ، التي كانت محورا أساسيا فى فلسفة غاندى ، مما جعل تعاليمه تشق طريقها سريعا نحو معان أشمل ، للنشاطات الانتاجية والاجتماعية المتصاعدة فى كل الأقاليم ٠

كانت تحركات غاندى الفردية فى بداية الدعوة ، قادرة على ايقاظ الوعى الشعبى المقيد تحت سياط الاستعمار ، ويقظة الوعى هذه كانت ضرورة أساسية ، لبعث الشخصية الهندية واثرائها وتنميتها ، ولقد كان هذا كله أسرع وأوضح ما يكون لدى الروائيين الهنود الذين يكتبون باللغة الانجليزية ، ونتيجة لما أحدثه فكر غاندى فى العقلية الوطنية ، فان الشعب فى ولاية ما ، بدأ يهتم بشعوب الولايات الهندية الأخرى أكثر من اهتمامه بالولاية التى ينتمى اليها ، وكان لذلك أثر هائل فى انتاج الروائيين المبدعين ، وبالتالى فان كتاباتهم كانت محركا قويا لمطلب الاستقلال ، ذلك المطلب الذى أصبح تعريفا أساسيا للوطنية الهندية الزاحفة ، هكذا استطاع فكر غاندى أن يسرى عبر كل أنحاء شبه القارة المترامية ٠٠

***

لقد اختار الروائيون الهنود اللغة الانجليزية للتعبير ، لكى تربط بين المتعلمين فى شتى الولايات ، على الرغم من أن معظمهم كانوا قد بدأوا الكتابة بلغاتهم المحلية ، وبذلك أقيم أحد المعابر الرئيسية لانتشار دعوة الساتياجراها ٠

وانعكاسا لفكر غاندى ، انحاز الروائيون بعد ذلك الى جانب المرأة ، حتى تغير وضعها الاجتماعى تماما ٠ فلأول مرة فى تاريخ الهند ، أعطت أفكار غاندى وتعاليمه تعريفا جديدا للمرأة ، كشخصية لها كينونتها الخاصة ، القادرة على رعاية نفسها ، وعلى المشاركة الفعالة فى معركة الاستقلال ، بعد أن فرضت عليها التقاليد والعقائد لآلاف السنين أن تكون ظلا لا يسبق الرجل ، وأن تقفز الى النار لتحترق مع جثة زوجها عندما يموت ، هكذا اشترك الكتاب المتأثرون بفكر غاندى اشتراكا فعالا وصادقا فى تحرير المرأة الهندية من أغلال السنين ٠

***

من أهم كتاب الرواية الهندية باللغة الانجليزية :

★ مولك راج أناند	Mulk Raj Anand
★ وبرم تشاند	Prem Chand
★ وبهابانى بتاشاريا	Bhabani Battasharia
★ راجا راو	Raja Rao

وهم من الذين بدأوا بكتابة روايات تستلهم تعاليم غاندى ، فصوروا المواطن الهندى ليس كعضو فى مجتمع القبيلة المغلق ، أو مجتمع الطائفة الدينية المحدود ، بل كعضو فى المجتمع الهندى الكبير ، وكعضو مشارك أيضا فى معاناة الجنس البشرى فى كل أنحاء العالم ، ومواجه معه لكل مآزق العصر الحديث ، أو كما كتب غاندى نفسه يقول : « نحن جزء من الأسرة الانسانية ، ليس من منطلق أننا معلمون كالآلهة ، ولا من منطلق اننا متبجحون كالشياطين ، بل صفوف فى ركب البشرية الساعية الى الحق والخير والجمال » ٠

***

لقد شهدت فترة الثلاثينيات من هذا القرن ازدهارا مفاجئا ومنطقيا للرواية الهندية ، لأنها الفترة التى بلغ فيها غاندى قمة النضال ، وقمة الاعجاب فى عيون العالم ، ولأن الرواية هى أكثر أشكال الأدب اهتماما بأحوال المجتمع ، وما يتصارع فى ارجائه من قيم ، ويرى كل نقاد الأدب ، انه لا يمكن اهمال العلاقة بين التطور الاجتماعى والسياسى فى الثلاثينيات ، وبين ما أنتج رواد الرواية العظام ، مثل أناند ، وبها بهانى ، وراجا راو ، ويرم تشاند وتاجور الذين انتقلوا بالرواية من الرومانسـية التاريخية الى الواقعية الحادة ، ايمانا ووطنية ، وانتفاضا وجدانيا ، وانتظاما فى صفوف الملايين من جيوش الساتياجراها ، الذين ناضلوا عشرات السنين بلا عنف من جانبهم ، بل بصلابة وشموخ الايمان ، على الدرب الطويل الشاق الذى قطعه غاندى فى المقدمة ، قائدا وزعيما ومعلما صادق القدوة والبساطة ، بعصـــاه العجوز المجهدة ، وقلبــه الوسيع النابض بحب الانسان ، وعنزته الصغيرة الصابرة ، وصدره العارى وروحه العظيم ٠٠

***

ولعل أوضح دليل على عمق تأثير فكر غاندى فى الرواية الهندية ، هو انتظام الكتاب المبدعين أصحاب الأيدلوجيات المختلفة ، فى صفوف دعوة غاندى وفلسفته وفى محاربة الاستعمار ، فقد آمن بدعوته من اليسار الكاتب المبدع برم تشاند الذى كتب أعظم أعماله القصصية عن التفاف الشعب حول غاندى ورفاقه من جيش الساتياجراها ، كذلك آمن بدعوته من اليمين الهندى الثرى وبعد طول خلاف وجدل « رابندرانات تاجور » ، الذى كان أول أديب من الشرق يحصل على جائزة نوبل عام ١٩١٣ ، فقد هجر تاجور رومانسياته وتاريخياته الى حد كبير ، وانخرط بقلمه فى صفوف النضال ، ورغم ان تاجور قد رحل عن الحياة قبل حصول الهند على الاستقلال ، الا انه كان واثقا من انتصار شعبه فى النهاية ، فكتب له أناشيد النصر ولحنها وغناها مع شعب البنجال ، ومنها النشيد القومى الرسمى الذى اختـارته الهند المستقلة لتغنيه مئات الملايين من شعب الهند حتى الآن ٠

قصص قصيرة من الهند

(نشيد المعركة)

للكاتب الهندى : برم تشاند

Prem Chand

منذ الصباح الباكر ، كانت فى القرية حركة دائبة فرحة ، حتى الأكواخ الطينيـة ، بدت كأنها تبتسم ترحيبـا برجال « الساتياجراها » الذين ســوف يمرون بهـا فى ذلك اليوم · وأقيم السرادق أمام بيت « كوداى » ، وجمـع بجواره ما تبرع به أهل القرية ، الخبز والجبن والخضروات ، واكتست كل وجوه أهل القرية بفرح ملتهب بالأمل ، حتى بندا الذى كان متوقعا أن يختبىء فى ذلك اليوم ، أحضر جرتين مليئتين بالجبن واللبن ، وصانع الخزف النحيل قدم لكوداى عديدا من الأوانى الخزفية ، وكل عمال القرية رغم فقرهم ، الحلاق وأصـحاب القوارب الرخيصة ، والحرفيون الصغار ، كانوا يسرعون نحو السرادق وفى أيديهم بعض الطعام ·

لو أنه كان هناك انسان حزين فى ذلك اليوم ، فهى المرأة العجوز « نوهرى » ، التى جلست عند باب كوخها بأعوامها الخمسة والسبعين ، ترقب استعدادات الرجال والنساء والأطفال ، بعينيها الغائرتين المنقلتين بندم عميق ·

لم يـكن لدى « نوهـرى » ما تأخـذه الى السرادق عنـد بيت كوداى ، كانت تتمنى لو أن لديها ما تحمله الى هناك ، لتقف فى مواجهة كوداى وتقول له « لقد أحضرت هذا » لكنها كانت معدمة تماما ، حتى من بقايا حبات القمح والشعير ، همست الى نفسها ضيقا « لكن كوداى قد رآها بنفسه فى الأيام الخالية أسعد حالا ، ذات يوم كنت أملك كل شىء ، المال والأسرة ، وكانت سطوتى فى القرية أكبر من سطونه الآن ، وهو يذكر أنه كان دائما أقل قدرا منى ، وخاضعا لأوامرى ، مع أنى امرأة ، لكننى كنت أثير حسد الرجال ، كان زوجى ينام فى البيت ، وأذهب أنا لأراقب العمل في الحقل ، سوف أدافع عن نفسي عندما يسود القانون ،

لقد كنت أدير بنفسى أعمال تأجير الأرض والسلفيات والرى والحصاد ، لكن القدر خطف من قبضتى كل شيء ، المال والأسرة كلها ، انقض القدر على ، وعندما أنجز مهمته ورحل ، كنت وحيدة ضعيفة أنوح على ما ضاع ، لم أعد أرى جيدا ، ولا أسمع جيدا ، أصبح من العسير على أن أتحرك أو أسير وحدى فى الطريق ، لكننى بشكل ما أعبر أيامى الثقيلة ، يا لحظ « كوداى » السعيد !! ابتسم له الحظ ، بعد ان كان من عامة القرية ، يتسكع مثلهم هنا وهناك شبه عاطل وجائع ، لكنه اليوم !! حتى الاحتفال الكبير يقام أمام بيته الكبير ، وأنت يا نوهرى لا أحد يهتم بك ، لا أحد » .

وراح قلبها المجهد يعانى مزيدا من الذكريات ، لو لم يحكم الله عليها بأن تصبح مقعدة على هذا النحو ، لفرشت أرض كوخهـا بشيء ما منذ الصباح ولحزمت وسطها ورقصت أمام الباب ، ولأمرت بأن يقام اليوم عيد ، وبعد أن يعيد أهل القرية ، كان عليها أن تهديهم بحفنتين من النقود المعدنية ، تنثرها فوق رؤوس الجميع .

تذكرت نوهرى ذلك اليوم الذى سافرت فيه عشرين ميلا مع زوجها المسن ، لكن تفوز بلمحة من وجه المهاتما غاندى ولو من بعيد ، يا لتلك اللذة والحماس !! والحب النقى المحلق ، لكن التبجيل القـديم للمهاتما ورجال الساتياجراها يندفع اليوم جياشا فى قلبها مرة أخرى ، كالسحب الكثيفة المبشرة بالمطر .

ومر بها كوداى ، توقف أمامها ، وقال بصوته المتدافع بصعوبة من فم بلا أسنان :

ــ ان رجال المهاتما سيمرون بقريتنا اليوم يا أختاه ، عليك أن تقدمى شيئا للموكب .

نظرت اليه بنظرات كنصال الخناجر الصدئة ، وقالت فى نفسها « كم انت قاس ومتحجر القلب !! لقد جئت لتشعرنى بعجزى وتغرقنى فى الخجل ، وتملأ قلبى بالحزن » .

لكنها سيطرت على مشاعرها وأجابته بشيء من الرقة :

ــ عندما يأتى الموكب .. فسوف أعطى رجاله بنفسى ، فى أيديهم ، مهما كان الأمر شاقا على فسوف أعطيهم ، ولكن !! لماذا تفرض على أن أريك ما سوف أقدم لهم ؟!

ابتسم لها كوداى وقال :

ــ انى لن أخبر أحدا يا أختاه ، انت أخت زوجتى ، وأقسم لك بالله ، هيا فتشى فى دلوك القديم ، ما أعظم هذه الفرصة لتخرجى دلوك أمام الكوخ !! لا أحد فى القرية أعطى كثيرا ، ولكن بأية وسيلة لابد أن نحافظ على سمعة قريتنا أمام الموكب .

أجابته نوهری بخضوع جاف :

ــ يا زوج أختى ، لا تصب اهاناتك فوق جروحى ، لو كان الله قد ترك لى شيئا مما كان لى ، لما انتظرت حتى تأتى وتطلب الى أن أقدم شيئا للموكب. لقد مر بى زمان ، وأنت تعلم هذا ، كان الكهنة والنساك ، بل ضباط هذه المنطقة كلها ، يتزاحمون عند بابى هذا ، لكن الزمان تغير ، والزمان يمكن أن ينقلب على أى انسان ·

عند ذلك أحس كوداى بالخجل وقال :

ــ لقد كنت فقط أمزح معك يا أختاه ، لا تغضبى ، لقد جئت أسألك أن تقدمى شيئا ، لكيلا تقولى فيما بعد ، ان أحدا لم يخبرنى بقدوم الموكب ، والموكب الآن قادم فى الطريق ·

قال هذا وانصرف على الفور ، وظلت نوهرى جالسة أمام بابها ، تحدق فى البقعة الصغيرة التى كان يقف عليها كوداى ، وتتذكر اشاراته ونبراته التهكمية ، وبدا لها الأمر اهانة متعمدة ، أو تعاليا منه عليها ، تحس به الآن يلدغها مثل حية جبلية متوحشة ·

***

كانت نوهرى ما تزال جالسة في مكانها ، عندما انطلقت صرخات التهليل بقدوم الموكب ، كأن سحابة من الغبار قادمة من الغرب ، أو كأن جسد الأرض يمطر الغبار ترحيبا بالزائرين ، ترك أهل القرية أعمالهم ، واتجهوا لاستقبال الموكب القادم ، وارتفع العلم ذو الثلاثة ألوان فى سماء القرية ، وراح يتماوج مع أمواج الرياح ، وبدا الأمر وكأن الحكومة المحلية قد اعتلت عرشا شاهقا ، وراحت تنثر بركاتها على الناس ، وبدأت العجوز نوهرى تغنى ما تبقى فى ذاكرتها من أغانى الفرح ·

وظهر القادمون سيرا على الأقدام يلوحون لأهل القرية · كانوا يسيرون صفوفا اثنان فى كل صف ، يرتدون قمصان « الكادار » تلك التى غزلوها بأيديهم على المغازل الهندية كما علمهم غاندى ، وعلى رؤوسهم قبعات من القش مثل قبعة المهاتما ، وفى وسط كل منهم حقيبة معلقة ، بينما أيديهم حرة الحركة تماما ، كأنما استعدادا لاحتضان الأهالى والحكومة المحلية ·

أصبحت أصواتهم الآن مسموعة لأهل القرية ، كانت حناجرهم المتحمسة تنطلق بنشيد دافىء عميق :

لقد مر بنا زمان ··
كنا فيه على قمة هذا العالم ··

واليوم ،

لا أحد محروم مثلنا ،

مرت بنا أيام ،

كنا نبذل حياتنا من أجل المجد ،

والآن ،

لا أحد محروم مثلنا فى هذا العالم ٠

تقدم أهل القرية مرحبين بالزائرين الذين غطى الغبار رؤوسهم وجفت شفاههم واسودت وجوههم ، لكن بريق الحرية كان يتلألأ فى عيونهم ، وكانت نوهرى ما تزال عند باب كوخها تغنى ، والأطفال يتقافزون هنا وهناك فرحا ، ودفء ابتسامات أهل القرية يهدهد عناء القادمين ويعانق جروحهم ، وفى وسط الزحام ، لم يلتفت أحد الى نوهرى العجوز ٠٠ وهى تجاهد بعصاها حتى تقف خلف الزحام ، صورة خرافية لانسان يتمسح تبركا بحب الجموع ، كانت عيناها مغرورقتين ، وعلى وجهها ضوء شديد الكبرياء كوجه ملكة ، كأن القرية بأكملها تنتمى اليها ، وكل هؤلاء المتزاحمين أطفالها ، لم تحس بقوة روحها من قبل كما تحس بها الآن ، ولم تشعر مثلما تشعر الآن بأنها نوارة شابة تتفتح لمجد الحياة ٠

وفجأة ، ألقت بعصاها بعيدا ، واندفعت وسط الزحام حتى أصبحت فى مواجهة الموكب ، كأنها ألقت مع العصا بعبء السنين ، ظلت لحظات تتفرس وجوه جنود الحرية ، بعينين مملوءتين حبا وزهوا ، كأنها تغترف من عيونهم قوة لضعفها ، ثم انخرطت فى الرقص ، رقصت مثل صبية عذراء تحركها نشوة الحب ، وتقهقر الناس من أجلها خطوات ، فشكلوا حولها حلقة صغيرة ، وراحت نوهرى داخل الحلقة تعرض مهارتها القديمة ، وفى فيض الفرح ٠٠ نسيت حزنها وتعاستها ، وسرت ليونة ونشاط غريب فى ساقيها العرجاوين ، حدق الناس فى رقصها لبعض الوقت ، ثم قلدها البعض من باب السخرية ، بدوا مثل جمع من الأطفال يرقبون ويقلدون قردا ، لكنهم بعد ذلك سكروا بنشوة الحب المقدسة ، وبدا فى عيون الجميع انهم فرحون مع الطبيعة ذاتها بذلك الرقص العظيم ٠

لكن كوداى صرخ فيها فجأة :

ــ كفى يا أختاه ، هيا توقفى عن الرقص ٠

لكن نوهرى ظلت ترقص وهى تصرخ فيه :

ــ لماذا تقف بعيدا ؟ لماذا لا ترقص معى أيها الرجل ؟! دعنى أرى مهارتك ٠

قال كوداى بصوت مهزوم :

– ليس لمن فى مثل سنى يا نوهرى أن يرقص ٠

فتباطأت فى رقصها وسألته :

– هل تشعر اليوم بأنك عجوز ؟ انى ألقيت بشيخوختى بعيدا ، ألا يهتز صدرك بالفخر لمرأى هؤلاء الأبطال ؟ لقد تعهدوا أن يطردوا عنا التعاسة والشقاء ، لقد استعبدنا للضباط بأيدينا ، هل تحفظ شتائمهم البذيئة ؟ لكن الآن !! يجب أن ينتهى هذا الهوان ، ولقد أنهاه أبطالنا هؤلاء ، لم يكن طبيعيا أن نصبح أنا وأنت عجوزين هكذا الآن ، لقد التهمتنا الحاجة والجوع ، انظر الى هذا الجمع ، دع واحدا منهم يقول بأمانة ٠٠ انه تناول وجبة كاملة طيلة الشهور الستة الماضية ، هل استمتع أحدهم بنومة هادئة عميقة ؟ علينا أن ندفع عشر روبيات ضريبة أطيان من أجل حقل كنا ندفع ضريبته ثلاث روبيات فقط ، والأرض لا تنبت ذهبا يا كوداى ، لقد ظللنا نعمل كالعبيد حتى تهاوينا ، نحن وحدنا كان يجب أن نكسب من عملنا كثيرا لا الغزاة واللصوص ، مبارك هو المهاتما ورجال المهاتما ، أولئك الذين يحسون بتعاسة الفقراء ، ويعملون على ايقاظهم من اغماءة الفقر ، ان الآخرين يعتصرون دماءنا ، ويطحنون عظامنا حتى الموت ٠

توهجت وجوه الزائرين ودفئت قلوبهم ، فراحوا ينشدون تحية لنوهرى :

« لقد مر بنا زمان ٠٠

كانت هذه الأرض تفيض لبنا وعسلا ،

واليوم ،

ليس هناك على الأرض من هو أتعس منا »

وأضيئت المصابيح أمام بيت كوداى ، وكان قد احتشد هناك أهالى القرى المجاورة أيضا ، وفور أن انتهى الزائرون من تناول طعامهم ، بدأ الاجتماع ، ووقف قائد جماعة الساتياجراها ليخطب فى الحاضرين :

– أيها الاخوة الأعزاء ، ان الحفاوة التى استقبلتمونا بها اليوم ، تعطينا الأمل فى شق طريقنا الى الأمام ، لقد زرنا أقاليم عديدة فى شرق بلادنا وغربها ، ومن خلال تجاربى أقول : ان البساطة والأمانة وعدم التكلف ، والفضيلة التى تملكونها جميعكم ، لم أرها فى أى مكان ذهبت اليه ٠ ان على أن أقول أمامكم ٠ انكم لستم كائنات بشرية ، انكم آلهة الأرض ، فأنتم لستم عبيدا لحب الترف ، ولستم مدمنى خمر أو مخدرات ، مثلكم هى التى تحدد عملكم ، وهى التى تجعله متقنا ومفيدا ،

لكن هذه الطيبة وهذه البساطة ، هي التي تثبت أقدام قدركم القاتل ، انكم ان لم تفهموا كلامي كما أود أن تفهموه ، فأنتم لا تستحقون الحياة في هذا العالم ، وينبغي عليكم أن تجدوا لكم مكانا في السماء ، ان ايرادات الهند تنمو بسرعة هائلة ، أكثر من نمو النهر في زمن الفيضان ، لكنكم لا تعرفون كيف تناقشون هذا . ان الموظفين وأتباعهم ، لا يتوقفون عن الغوص بأظافرهم في لحومكم . لأنكم ما تزالون أحياء ، ينهبونكم بأيديهم اليمنى واليسرى معا ... لكنكم تبدون غائبين عن الوعي ، انكم تفقدون مصادر عيشكم ، تدمرون ولا تفتحون عيونكم ، على الأقل لتروا ماذا يحدث لكم ، في الزمن الماضي .. كانت أعـــداد ضخمة من مواطنيكم يكسبون عيشهم من الغزل والنسج ، والآن كل القماش يستورد من الخارج ، كان ملايين الهنود يستخرجون الملح من أراضيهم ، والآن يستوردون الملح من وراء البحار ، انتاج الملح في بلادنا أصبح جريمة ، ان في الهند ملحا يكفي العالم كله مائتي عام ، وأنتم تدفعون سبعة ملايين روبية لاستيراد الملح ، ان لديكم ملحا وفيرا في بحيراتكم وأراضـــيكم الملحـة ، لكنكم لا تستطيعون أن تلمسوه بأيديكم ، انهم يفرضون الضرائب لأنفسهم على خيرات بلادكم ، وقريبا قد يفرضون ضريبة على من يتمتع منكم بصحة جيدة ، كيف تتحملون هذا الظلم حتى الآن ؟!

عند ذلك انطلق صوت يسأل :

ـ وماذا يمكن أن نفعل ؟!

أجاب قائد الجماعة :

ـ هذا الذي أنتم فيه نتيجة أخطائكم ، فعليكم أنتم تقع مسئولية بقاء هذه الوصاية الأجنبية ، أنتم سادة هذه الجيوش العظيمة وضباطها ، حتى متى تجوعون وتستسلمون ؟ لماذا لا تدركون أنكم سادة أقوياء ؟! ان الانسان الذي لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ، سوف يظل ضحية لجشع الآخرين وظلمهم ، ان أعظم رجل في العالم اليوم ، قد باع حياته من أجلكم ، وآلاف الشباب الى جوار المهاتما قد نذروا أرواحهم أيضا ، ليضعوا نهاية لآلامكم ، ان أولئك الذين يظنونكم عاجزين ، وينهبونكم وهم مطمئنون ، لن يوافقوا مختارين على عتق عبيدهم ، انهم يتدربون على ارتكاب جرائمهم ولا انســانيتهم في جنودكم هؤلاء ، لكننا في مواجهة ذلك .. دربنا أنفسنا على تحمل كل شيء ، وعليكم الآن أن تفكروا ، ما هي المساعدة التي يمكن أن تقدموها لنا ؟ هل ستخرجون معنا رجالا لمقاومة الظلم ؟ أم تستمرون جالسين هنا كالجبناء تلعنون الحظ والقدر ؟ ان في أيدينا فرصة قد لا تسنح مرة أخرى ، لو فقدتموها ستندمون عليها مر الندم ، نحن نحارب من أجل الحق والعدل ، نحن في حاجة الى أبطال

لا يؤمنون بالعنف ، ولا يسكن الحقد فى قلوبهم ، ويحتملون كل شيء فى سبيل الحق ، مؤمنين ايمانا مطلقا بالله ، هذه تعاليم « الساتياجراها » التى أرسى المهاتما قواعدها الراسخة فى قلوبنـــا ، والآن ، أى عون تستطيعون أن تقدموه لنا ؟ تكلموا ، ردوا على سؤالى !!

لكن أحدا لم يتكلم ، أو يتحرك ، خيم عليهم صمت ثقيل ، وفجأة انطلقت صرخة من الصمت المخيم ..

ــ البوليس !! البوليس قادم .

ووصل مفتش البوليس فى حاشية من الكونستبلات ، ووقفوا فى مواجهة الجمع المحتشد ، حدق فيهم الأهالى بعيون خائفة وقلوب مضطربة ، كأنهم يبحثون لأنفسهم عن جب يختفون فيه من تلك الوجـوه المكفهرة بالسلطة والغضب ، وانطلق صوت المفتش فى مساعديه كالرعد :

ــ فرقوا هؤلاء الأوغاد ، هيا اضربوهم !!

ورفع الكونستبلات عصيهم ، وقبل أن يهووا بها ، كان الزحام قد ذاب وتفرق فى الدروب ، حلت الهزيمة اذن ، دقائق معدودة ولم يبق أحد من الأهالى سوى كوداى ، وقائد فرقة الساتياجراها واقف فى مكانه ، وأفراد فرقته جالسون وراءه كما كانوا ، كان كوداى جالسا على الأرض يحدق فيها تحديقا متصلا ، فحدق فيه المفتش بعينين متوحشتين وقال مهددا :

ــ لماذا أعطيت ملجأ لهولاء المتشردين يا كوداى ؟

أدار كوداى عينيـه الملتهبتين نحو المفتش ، لكنه كتم غيظه ولاذ بالصمت ، لو لم يكن يحمل عبء الأسرة والعمل !! لكان قد فجر انفعاله تجاه الموقف ، بدا له البيت الذى قضى فيه خمسين عاما ، كأنه حبل غليظ من الذكريات ، يلتف حول روحه كحية سامة .

كان كوداى يفكر دون أن يعطى اجــابة للمفتش ، عندما ظهــرت نوهرى تتقدم من ورائه قائلة له :

ــ يبدو لسانك وكأنه النوى فى حلقك !!

ثم نظرت الى المفتش وقالت :

ــ ان كوداى ليس عبدا لكم لكى تخاطبه بهذه الطريقة ، انكم مدعمون هنا بمالنا ، ومتسلطون به علينا ، ألا تشعرون بالخجل ؟

واهتزت نوهرى مثل سحابة صيف تهزها الريح ، ولم ينطق المفتش ،

كان قد فكر سريعا ، ووضع فى اعتباره انه لو تقاذف الكرة مع امرأة ٠٠ فستهان كرامته ، ولذلك وجه حديثه لكوداى :

ـ من هذه المرأة عمة الشيطان ؟!

ولم يجب كوداى ، لكن المفتش استطرد :

ـ لو لم يكن فى قلبى خوف من الله ، لخلعت لسانها من جذوره ٠

استندت نوهرى على عصاها ، حدقت فى المفتش برهة ، ثم قالت فى نبرات عجوز غاضبة :

ـ لماذا تجدف على الله بذكر اسمه العظيم ؟! ان الهك هو رئيسك الذى تتمسك بلعق حذائه كل يوم ، كان عليك أن تحس بالخجل ، فتذهب وتشنق نفسك ٠ هل تعرف من هؤلاء الرجال الذين أتوا لزيارتنا ؟ هم الذين يبذلون حياتهم من اجلنا نحن الفقراء ، أنت تسميهم متشردين ؟! انت يا من تأخذ الرشوة وتشجع السرقة والقمار وقطع الطريق ؟! أنت يا من تورط اخوتك الطيبين فى المشاكل ٠٠ لكى تدفىء يديك بضربهم ؟ يا من تمرغ وجهك على أحذية آلهتك الدنسة !! تدعو هؤلاء الشرفاء بالمتشردين ؟!

كان كثيرون ممن تفرقوا فى الدروب ٠٠ قد سمعوا صراخ نوهرى فتجمعوا مرة أخرى ، فسحب المفتش سوطه وراح يمطر الواقفين ضربا ، عند ذلك تشتت الزحام مرة أخرى ، وتلقت نوهرى ضربة سوط على ظهرها ، فتراقصت أمام عينيها بقع من ظلام ، لكنها استجمعت قوتها الباقية ، وصرخت بكلمات مدوية :

ـ يا أولادى !! لماذا تهربون ؟ هل أتيتم الى هنا لتحتفلوا بالعيد ؟ أم كانت مأدبة وانتهيتم منها ؟ ان جبنكم هو الذى يجعلهم يتوهمون ٠٠ انهم شجعان كالنسور ، كم ستحتملون هذا الهوان ؟!

أمسك أحد الكونستبلات برقبتها ، ثم دفعها دفعة قوية ، تلوت لها نوهرى مندفعة على الرغم منها الى بعيد ، وهى تقاوم السقوط على وجهها ٠

وقفز كوداى فأمسك بها ليساعدها ، ثم صرخ :

ـ حتى هذه المرأة المسكينة تصبون عليها غضبكم ؟! هل حبكم لاذلالنا حطم رجولتكم أيضا ؟ تضربون الشيوخ والأطفال وتدعون انكم متحضرون ؟ ان سلوككم ليس سلوك الرجال ٠

كانت نوهرى قد تهاوت وخرت على الأرض منكفئة على وجهها ، قالت وهى تنشج ووجهها فى التراب :

ـ لو كانوا رجالا ما فعلوا هذا ، يا الهى !! هل يمكن للانسان أن يقسو الى هذا الحد ؟ لو أن الانجليز تصرفوا بهذه القسوة لكان الأمر مفهوما ·· ان الانجليز هم الحكام ، وأنتم فقط خدم الحكام ، انهم لن يعطوكم امبراطوريتهم ، انى امرأة عجوز ويكفينى القليل ، أما أنتم فان طمعكم يدفعكم الى قطع الرقاب ·

وعند ذلك أنهكها الكلام والنشيج فسكتت ، وبدأ المفتش يهدد قائد الجماعة :

ـ بأمر من دخلتم هذه القرية ؟

أجاب القائد بهدوء :

ـ بأمر من الله ·

فصرخ فيه المفتش :

ـ انك هنا تعكر صفو السلام ·

قال القـائد :

ـ اذا كان مما يعكر السلام ·· أننا نجعل أهلنا يفهمون ·· فنحن بلا شك نحطم السلام ·

تردد المرتعـدون من الأهالى بين الوقوف والهـرب ، وتطلع اليهم « كوداى » فى يأس ، ثم استجمع صوته وقال :

ـ يا اخوانى !! ان أناسا من قرى أخرى عديدة ، تجمعوا معنا اليوم ، هل تستطيعون أن تحسوا بالراحة فى نومكم بعد هذا العار ؟ من سيستمع الى مظالمنا ؟ أقرباء هذا المفتش من الحكام ؟ هم بالتأكيد لن يفعلوا ، لو كان علينا أن نقتل فلنقتل ، ان شيئا من هـذا الخزى لا يصيبنا بعد الموت ، هذا قدرنا ، وهذا موقعنا فى الحياة ، اللعنة على الظلم ، وعلى كل هذا الوجود ·

عند ذلك عاد الأهالى الى التجمع فى أماكنهم يهدرون ، مثل فيضان يتلاطم بين جسرى النهر ، تمزق ضباب الخوف فى قلوبهم ، ونما العبوس فوق وجوههم حتى اكفهرت ، ولاحظ المفتش ذلك فخشى العاقبة ، اعتلى ظهر جواده على الفور ، وأمر رجاله بالقبض على كوداى ·

تحرك اثنان من الكونستبلات الى الأمام ، وراحا يقيدان ذراعيه ، نظر اليهما كوداى فى سكون حتى قيداه تماما وقال :

ـ انى لن أهرب الى أى مكان ، هيا بنا نذهب الى حيث تريدون ·

وعندما بدأ السير معهما ، اندفع ولداه الصغيران مع عدد من الأهالى لانقاذه ، وأحاط باقى الأهالى برجال البوليس فى هياج شديد ، عند ذلك صرخ فيهم المفتش من فوق الجواد :

ـ ان لم تتفرقوا سأطلق النار !!

أجاب الأهالى بهتاف مدو :

ـ تحيا أمنا الهند ٠

وتقدموا خطوات أخرى الى الأمام ، ثم هتفوا أيضا :

ـ تحيا أمنا الهند ٠

عند ذلك تأكد المفتش أن حياته فى خطر ، فخاطب قائد الساتياجراها فى أدب مفاجىء :

ـ انهم ليسوا مجبولين على مثل هذا الهياج ، ولن يجنوا فائدة من قتلى ٠٠ أليس كذلك ؟

أجابه القائد :

ـ مادام واحد منا هنا ، فلن يصيبك أذى ، نحن لا نحس نحوك بالعداء ، نحن جميعا وأنت معنا ملقى بنا أرضا تحت نفس الأقدام ، انه حظنا السيىء الذى وضعنا فى معسكرين متضادين ٠

وحول القائد عينيه عن المفتش وأخذ يخاطب الفلاحين :

ـ يا اخوتى !! لقد شرحت لكم من قبل ، أن معركتنا هى معركة من أجل الحق والعدل ، بأسلحتهما فقط علينا أن نحاسب الآخرين ، لو كان هذا المفتش انجليزيا ربما كنا واجهناه بنفس التعصب ، لقد قبض على كوداى ، وأنا أعتبر هذا من حظه الحسن ، لأنهم مباركون أولئك الذين يصيبهم الأذى فى معركة الحرية ، لا تقلقوا أو تثوروا من أجل كوادى ، كونوا رحماء ٠٠ وأفسحوا الطريق لرجال البوليس لكى ينصرفوا ٠

وتحرك رجال البوليس ومعهم كوداى ، ومن ورائهم هتف الفلاحون بثقة واعتزاز :

ـ النصر لأمنا الهند ٠

ورد كوداى على هتافهم وقد ابطأ السير :

ـ تحياتى لكم يا اخوتى ، كونوا ثابتين فى نضالكم ، لا شىء يبعث على الخوف ، الله وحده السيد والسلطان على كل البشر ٠

واقترب منه ولداه يبكيان ، سأله احدهما مختنقا :

ـ ما هي أوامرك يا أبي ؟

أجاب كوداى بايمان عميق :

ـ لا تفقدا ايمانكما بالله ، ودائما عيشا كما يعيش الرجال ، ان الخوف هو السبب المختفى وراء كل الشرور ، فلينزع كل منكما الخوف من قلبه ، عند ذلك لن يستطيع أحد أن يمسكما بسوء ، وان الحقيقة لن تقهر الى الأبـــد ٠

لم يشعر كوداى بأنه شجاع أمام البوليس كما يشعر الآن ، لم يعد يخشى السجن ، ولا الشنق ، لأنه أصبح يتطلع الى المجد ، لأول مرة فى حياته يرى الحقيقة اليوم ، فى صورتها الصلبة الجليلة ، تحميه من الخطر مثل درع صنعت من الفولاذ ٠

صار غياب كوداى لدى أهل القرية عارا ، فقد قبض عليه أمامهم جميعا ، ولم يفعلوا من أجله شيئا ، كيف يتخاصون الآن من عارهم ؟ على وجه كل منهم الآن ألم عميق ، كأن قريتهم كلها قد سلبت أمام عيونهم ٠

فجأة صرخت فيهم نوهرى :

ـ لماذا تقفون الآن هنا تتثاءبون ندما ؟ هل اقتنعتم تماما بخستنا ؟ أم تحتاجون الى أدلة أخرى ؟ هل تأكدتم اننا نحكم بالقوة لا بالقانون ؟ نحن جبناء ٠٠ لدرجة اننا رغم هذا العار لا نجرؤ على الكلام ، لو لم نكن جبناء وأنانيين هل كانوا تجرأوا على ضربنا بالسياط ؟ طالما انكم تسلكون مسلك العبيد باستمراركم فى خدمتهم ، فسوف تلقون منهم نفس السلوك الذى يدعم عبوديتكم ، وفى اليوم الذى تبدون فيه أى حماس ٠٠ سوف تنهال عليكم السياط ، كم من الوقت يكفيكم لتتغيروا ؟ الى متى سنرقدون مثل الرفات وتدعون سباع الطير نتغذى بكم ؟ اثبتوا انكم أحياء ، وأن أجسادكم تنبض ، وأن لديكم شيئا من احترام الذات والدفاع عن الكرامة ، اذا كان احترام ذواتكم قد تلاشى ٠٠ فما فائدة زرعكم وحرثكم ؟ كيف يكون طعم الحياة ذاتها ؟ هل تحبون فقط لتنجبوا أطفالا يلقون الهوان من بعدكم ؟ ويطحنون مثلما تطحنون ؟ اطردوا هذا الجبن عنكم ، انكم لابد يوما ستموتون ، بوسيلة أو بأخرى ستموتون ، موتوا اذن أبطالا فى معركة الحق ، انى امرأة عجوز ، ولكن ، لو لم أكن قادرة على أن افعل شيئا ، فانى على الأقل أستطيع أن أجرف الأرض التى سيدفن فيها الأبطال ، وفى أقل القليل استطيع ان أروح واجىء بكفى أمام وجوههم ، حتى يرطبها النســيم ٠

قال « مايكو » ، الولد الأكبر لكوداى :

ـ كان عارا علينا يا خالتى ، أن نتركك تذهبين معهم ونحن فتية أصحاء ، نحن أولادك وما نزال أحياء ، أنا سوف أذهب معهم ، وسوف يعتنى أخى « جانجا » بالمزرعة ٠

قال جانجا :

ـ انه ليس عدلا منك يا أخى أن ترحل وأنا حى ، انك ستبقى هنا ، سترعى الحقل والبيت ، أنا لا أجيد هذا مثلك ، فدعنى أنا أذهب معهم ٠

قال مايكو :

ـ دع خالتنا تقرر من منا يذهب ، وسوف نطيع أمرها ٠

ابتسمت نوهرى فى زهو وقالت :

ـ من يرشونى منكما سوف يكسبنى فى صفه ٠

قال مايكو :

ـ هل ستتسلل الرشوة الى محكمتك أيضا يا خالتى ؟ كان أملنا أن تسود لديك العدالة ٠

قالت نوهرى :

ـ هل تخافان على أن أبقى وحيدة فى القرية ؟ ان الموت لا يخيفنى ٠

ابتسم جانجا وقال :

ـ عندما اذهب الى السوق ، سوف احضر لك علبة من التبغ الشرقى ٠

قالت نوهرى :

ـ فى هذه الحالة انت تكسب ، انه انت الذى يجب ان يذهب ٠

قال مايكو :

ـ ليس هذا عدلا يا خالتى !!

قالت نوهرى :

ـ هل حدث يوما ان فرح متخاصمان بقرار المحكمة ؟ كيف اذن ستقبلان كلاكما قرارى ؟

لمس جانجا قدم نوهرى ، ثم عانق أخاه وقال لواحد من الفرقة :

ـ أرجوك · ابعث كلمة لابى غدا ، قل له اننى سأرحل ·

انفجر مايكو :

ـ واكتب اسمى أيضا

وقفز سيفارام ووقف بجوار القائد وقال :

ـ اكتب اســمى ·

وجاء صوت من بعيد أثار النشوة لدى الجميع :

ـ اكتب اسمى ·· باهاجان سنج

كان باهاجان مشهورا فى قرى الناحية كلها بقوته فى المصارعة ، وجاء باهاجان ووقف بجوار القائد ، صدره عريض بارز ، ورأسه مرتفع فى زهو ، وجاء صوت آخر

ـ أرجوك ان تكتب اسمى : جور

كان جور هو خفير القرية ، حدق الناس فيه بدهشة ، كان عسيرا أن يصدقوا ، سأله باهاجان سنج ضاحكا :

ـ ماذا أصابك يا جور ؟

أجاب جـــور :

ـ نفس العناء الذى أصابك ، بعد عشرين عاما من العبودية أصبحت مريضا بها ، هل أظل مريضا ياباهاجان ؟

وجاء صوت آخر :

ـ اكتب اسمى : كارلى كان

كان هذا خادما لدى الاقطاعى صاحب الأرض ، عدوانيا الى أقصى حد وفى غاية القسوة ، علت الدهشة وجوه الأهالى ، قال مايكو :

ـ لقد ملأت بيتك ياكالى بالسلب والنهب من بيوتنا ، أليس كذلك ؟

اجابه كالى كان بهدوء ووقار :

ـ الا تسمح لى أن أعود الى الطريق الصحيح ؟ حتى هذه اللحظة كنت أطيع سيدى الذى يطعمنى ، ملأت بيته بالنهب الذى نهبته منكم ، والآن ، تحققت من أنى كنت أعمل بلا ادراك ، لقد أخطأت فى حقكم يا اخوتى خطأ كبيرا ، سامحونى ·

واقترب المتطوعون الخمسة من بعضهم ، وقبل كل منهم الآخر ، ثم هتفوا كأنهم لتوهم كلفوا بتشــكيل الحكومة المحلية ، بل انهم اخذوا

يتهامسون ويتشاورون كأنهم شكلوا حكومتهم ، ان الحكومة موقف عقلى ، فمادام الخوف الذى خلقه الارهاب قد تلاشى من قلبك ، تكون بذلك قد أصبحت وحدك حكومة ، الخوف هو الذل والشجاعة هى الحرية ، وليس يبنى المجد سوى القانون والنظام ·

ووجه قائد الساتياجراها حديثه للمتطوعين قائلا :

ـ اهنئكم يا اصدقائى على انضمامكم اليوم لجيش الحرية ، انتم تعرفون نوع المعركة التى نخوضها ، سوف تتعرضون لكل المشاق ، لكن تذكروا ان عليكم ان تتخلصوا من القسوة والغضب ، كما تخلصتم اليوم من الاغراء بالتحدى من مفتش البوليس ، علينا ان نكون عادلين على طريق الواجب ، هل انتم مستعدون لذلك ؟

أجاب المتطوعون معا :

ـ نعم · مستعدون

ـ أرجو الله أن يباركم ·

كان هناك خليط من المتعة فى ذلك الصباح الذهبى الجميل ، من هبات النسيم الرقيق ، ومن أشعة الشمس الدافئة ، وبدا الناس كأنهم أصيبوا بنشوة الجنون ، كأنما آلهة الحرية كانت تناديهم اليها ، وكذلك الذين فى المزارع والحقول والحدائق ، الرجال والنساء ، لم توجد فى ربوع القرية من قبل مثل تلك الأفراح ، حتى نباتات الحقل وثمار البساتين بدت كأنها فى عرس ، كل من فى القرية وما حولها ، كأنهم يخطون محاطين بمجد غريب ، عشرات الآلاف تجمعوا قبل شروق الشمس ، وعندما لاح رجال الساتياجراها ، رددت السماء هتافات الأهالى النقية وداعا للمتطوعين الجدد ، عزما حزينا من الزوجات ، وزهوا مشرقا من الآباء وتضحية من المحاربين ، كان المشهد عظيما يبعث الدفء فى كل القلوب ·

وفجأة ، جاءت نوهرى تسعى على مهل ، حتى أصبحت أمامهم ، ووقفت مستندة على عصاها ، قال مايكو :

ـ أرجوك أن تعطينا بركاتك يا خالتى ·

قـالت :

ـ انا أيضا سوف أصحبكم يا ولدى ، سوف تنالون بركاتى على طول الطـريق ·

تكلم أناس كثيرون معا :

ـ ومن سيبقى هنا يا خالتى اذا ذهبت أنت أيضا ؟

اجابت بنبرات مفعمة بأعذب الأمنيات :

ـ يا أولادى !! لقد حان الوقت لكى اذهب ، ان لم يكن اليوم ففى يوم آخر من الشهور القليلة القادمة ، لو ذهبت الآن معكم فسوف تصبح حياتى مثمرة ، أما اذا خرجت من هنا محمولة ذات يوم قريب ، فسوف أحمل معى الى حيث أنا ذاهبة آمالى وأشواقى ، انى بخدمتى لكم سوف أخلص نفسى ، ولعل الله أن يمنحكم زمانا طيبا ، ولعلى أراكم سعداء وأنا على قيد الحياة ٠

قالت هذا وباركتهم واحدا واحدا ، ثم لوحت نحوهم بيديها تباركهم ، وتقدمت حتى وقفت بجوار القائد ، وتزاحم الأهالى يرقبون ، ونحركت صفوف الموكب الى الأمام ، وانطلقت حناجرهم بالنشيد :

« مر بنا زمان جلسنا فيه على قمة هذا العالم

واليوم ليس هناك أحد محروم مثلنا » ٠

وكانت نوهرى تنقل قدميها بصعوبة ، لكنها كانت تشعر بأنها جالسة فى مركبة فضائية محلقة ، متجهة بها نحو السماء ٠

(فراش العــرس)

تأليف : ابندرانات آشــك

Abindranath Ashk.

رفع كيشى عينيه من فوق عينى عروسه الى أعلى الوسادة ، كانت هناك صورة لأمه تتوسط اطارا أنيقا ، محفورا فى خشب السرير ، امرأة حلوة القسمات ، ذات عينين واسعتين ، يعلوهما جفنان رقيقا التجاعيد ، وعلى شفتيها المتقاربتين قليلا ابتسامة شاردة تكشف عن صــف أسنان كاللآلىء الزاهية ،وفى غفلة منه اتخذ وجه العروس قسمات أمه تماما ٠

كانت المرأتان تشبه كل منهما الأخرى الى حد بعيد ، احتوى كيشى دوار عنيف ، ووجد جسده يرتجف ، هز رأسه محاولا أن يبعد عينيه عن الصورة دون جدوى ٠

حتى سنوات قليلة مضت ، كان يتكىء برأسه على صدر أمه ، تماما كما يتكىء على صدر عروسه الآن ، امتلأ رأسه بفيضان من الذكريات ، وبدلا من أن يقبل عينى عروسه اللوزيتين وشفتيها الجائعتين ، سحب جسده من فوق جسدها ، واستلقى بجانبها لاهثا فى صمت ، الا من التحديق فى سقيفة الياسمين التى تظلل فراش العرس ، امتدت يده الى الوريقات التى تساقطت من حوله فوق الملاءة ، مثل بساط زهرى سميك ، ود لو يقفز بعيدا عن كل هذا ، لو يثور على تلك الحجرة ٠٠ التى وجد نفسه سجينا بين جدرانها وشذاها ٠

لكنه ظل مستلقيا فى مكانه ، ساكنا وصامتا ، ماذا يمكن أن تظن به زوجته !!! الخوف من ذلك الظن فقط هو الذى أبقاه راقدا الى جوارها ، هز رأسه مرة أخرى بعنف ، لكن صورة أمه احتلت فى خياله ربوة عالية ، راح ينهمر فوقها سيل هادر من الذكريات ، فى نفس هذه الغرفة ، وفى نفس الفراش ، كان يرى أبويه متلاصقين ، وهو فى الشرفة يحدق فيهما من مهده الصغير ، كم تبدو أمه الراقدة الى جوار أبيه ، صبية فاتنة البهاء !!!

٠٠٠٠٠ ثم ها هى تصفف شعرها أمام المرآة ، وهو واقف بالباب يرنو اليها ، جميلة كحوريات الأساطير ، وعندما تراه فى المرآة ٠٠ تناديه اليها ، يذهب ويدفن وجهه فى أحضانها الرحبة ، تداعب شعره باحدى يديها ٠٠ وبالأخرى تعود الى تمشيط شعرها الناعم الجميل ٠

٠٠٠٠ ماذا دهى أبى ؟ هناك رجل يأتى كل يوم لزيارته ٠٠ حول رقبة الرجل زوج من الحيات ، يضع فى كل من أذنيه ذيل حية ، وبرأسها يلامس صدر أبى ٠ ثم يلف الحيتين حول رقبته مرة أخرى ، ويغرس فى ذراع أبى ابرة طويلة ، أبى لا يصرخ ولا يبكى ٠٠ فانطلق انا فى الصراخ والعويل ٠

٠٠٠٠ أبى مستلق على الأرض بلا حراك ، كل من حوله يبكون ، تتوقف أمى قليلا لتنحنى وتقبل أبى ، ثم تعود الى البكاء ، النساء يساعدن أمى فى خلع الحلى التى تتزين بها ، ثم يزلن الصبغة القرمزية عند مفرق شعرها ، يجذبننى من حضنها ، أتمسك بها صارخا فىعناد فينركننى ملتصقا بصدرها ٠

٠٠٠٠ انه فى نفس الفراش الذى سبقه اليه أبوه ، تنام أمه الآن الى جواره ، ترتدى ساريا ناصع البياض ، وأضواء الضحى تتدفق عبر شراعة النافذة ، لكن أمه ترقد الى جواره غير عابئة بالعالم ، يحدق فى وجهها طويلا ، شهى كوجه حورية ، عيناها مغمضتان مثلما تغمض عيون الملائكة ، شعرها مبعثر على صدرها وكتفيها كشلال ، وكالأميرة الساحرة عندما يشتاق أميرها العاشق ، يقترب منها ، يقبل خديها ، تفتح عينيها ، تمد ذراعيها وتأخذه اليها ، تقبل جبهته ، ثم عينيه وشفتيه ٠٠

٠٠٠٠ ينام برأسه على صدرها ، تحكى له حكاية الأمير الذى عبر البحار السبعة لكى يتزوج الأميرة التى أحبها ، وعندما تنتهى حكايتها تسأله وهى تبتسم :

ـ هل ستتزوج بأميرة ياكيشى ؟

ـ لا يا أمى ٠٠ سأتزوجك أنت ٠

ـ يا للحماقة !! هل سمع أحد بولد يتزوج أمه ؟!

وعندما تراه حزينا تقسم أنها ستجد له عروسا تشبهها تماما ، فينظر الى صورتها التى تتوسط اطارا فى خشب السرير ويهمس اليها :

ـ وأريد فراشا مثل هذا ٠٠

- بل هذا الفراش ذاته يا حبيبي .. سيكون هديتي لك ليلة الزفاف .

وتضمه الى صدرها أكثر فأكثر حتى يستغرق في نوم هنيء .

وتميل العروس بوجهها اليه ، ثم بجسدها :

- كيشي !! ألا تشعر بأنك على ما يرام ؟

وتتحسس جبهته ، وتداعب شعره ، يهز رأسه لعل سلسلة أفكاره أن تنكسر قبل أن يجيب :

- لا شيء هناك على الاطلاق .

ويحاول أن يضحك ، فتتحول الضحكة في صدره الى تنهيدة عميقة ، كانت أمه عند وعدها ، اختارت له عروسا تشبهها تماما ، جميلة ، هيفاء ، واسعة العينين ، حلوة القسمات ، ناعمة الشفتين ، أسنانها كاللؤلؤ ، وجاءت العروس بسرير العرس مع « الجهاز » ، لكن أمه تنازلت عن حجرة نومها بكل ما فيها .. لكي تحقق أحلام ابنها الوحيد ..

.... مالت العروس نحوه أكثر ، حدقت في عينيه ، لتعرف سر فتوره المفاجيء وتوقف شوقه اليها ، لكنها لم تلمس الحقيقة ، ولم تقترب منها ، ترددت قليلا قبل أن تمد يدها الى شعره ، ظل كيشي ساكنا لحظات ، ثم طوق عنقها بذراعيه ، جذبها نحوه .. وراح يقبل شعرها ، وخديها ، وشفتيها .. انفلت رأسه من بيت العنكبوت ، وسرى اليه من الجسد الفاتن دفء أجرى الدم حارا في عروقه ، قبلها في أماكن عديدة ، ثم أرقدها كما يشتهي ، ودفن وجهه في دفء نهديها ، كان الوقت قد حان ليمارس معها الجنس لأول مرة ، لكنه لم يستطع أن يفعل ، لكيلا يقع بصره مرة أخرى على صورة أمه ، بل دون أن يرفع رأسه دفع بوسادته عاليا لتغطي الصورة ، ثم رفع رأسه عن صدر العروس ، لكن الوسادة انقلبت شفافة كالزجاج ، وراحت صورة أمه تطل عليه بكل ما في قسماتها من بهاء ، صرخ في داخله صرخة مدوية الصمت « لا . لا . لا » ، ثم استلقى ثانية على ظهره مهزوما ، استبد به الغضب من نفسه فنهض ، وقفز هاربا من فراش العرس .

من خلف ستارة النمرية ، أطل القمر مكتملا ، عند كوة بجوار الستارة .. وقف ينظر الى الأشعة الفضية ، تتلاعب فوق حشائش الحديقة وزهورها ، رطبت نسمات الكوة أعصابه المشدودة ، اشتهى أن يخرج الى الحديقة ، فخرج .

راح يتجول بين أشجار الخوخ والحناء ، وفراش واسع من الخضرة الرطيبة ، وزهور الداليا الثقيلة تتمايل مع النسيم فى دلال ، وخلف سياج الخوخ والحناء ٠٠ كان هناك بساط من الاقحوانات الصادقة الاصفرار ٠٠ وزهرة تشرئب فوق ساقها لترقد على السياج ، تحسس كيشى زهرة ، وتشمم زهرة أخرى ، وتحسس زهرة ثالثة ، هذه الزهرات فى ضوء النهار تبهر بحيويتها وألوانها العيون ، لكنها الآن فى ضوء القمر ٠٠ ترتخى مثل الأعصاب المجهدة ، القرنفلات الصفراء تحولت بيضاء شاحبة ، والقرمزية العميقة صارت زرقاء ، والبنفسجية الزاهية اختلفت درجاتها من القتامة ٠

وخطا كيشى الى حائط تفتحت بجواره أزهار الياسمين ، فى ظل الحائط الداكن ٠٠ كانت الزهور تومض كوريقات من اللؤلؤ ، لماذا تذكريننى دائما بهذه الأغنية أيتها الزهور ؟!

« بعد زمن طويل أزهر الياسمين ٠٠٠

وخميلتى امتلأت ٠٠٠

بعبير الشذا ٠٠ وعبق الحياة !! » ٠

وها هى حديقته امتلأت بالشذا ٠٠ لكن عبق الأغنية ٠٠ ضائع فى الغور السحيق !!!

خطا خطوات ثقيلة ، ذهابا وايابا ، بين بوابة الحديقة وحظيرة هناك وسط الزهور ، تطلع الى بعيد ، رأى ضوءا فى غرفتها ، بالتأكيد لم تنم أمه حتى الآن ، قد تكون عمته وقريباته مازلن ساهرات فى الغرف البعيدة ٠٠ يتحدثن عن جمال العروس ، يا للألم المديد الذى اعتصر أمه وهى تزين من أجله فراش العروس !! وهى تشرف على النسوة يخلين حجرة المائدة تماما ، يزينها كما تشاء ، وهن يقمن بالطقوس لاستقبال العروس ، متعاملات مع خمارها وساريها بحذر شديد ٠

٠٠٠٠ عندما جلس كيشى بين أصدقائه فى قاعة الاستقبال ، كانوا يرتبون هدايا العرس ، والأثاث الذى جاءت به العروس ، وبعضهم كانوا يشاركون فى تزيين حجرة نومه لليلة العرس ، وعدد يفوق الحصر من المتطفلين والضيوف الذين جاءوا منذ الأمس ، لم يتيحوا لأمه الا قليلا من النوم ، وقد رآها تروح وتجىء كثيرا بصحبة عمته وشابة من قريباتها ، مشغولات بتجميل الحفل وكأنهن الليلة فى خدمة الآلهة ، كان وجه أمه يشع بهاء وفرحا ، منذ ليال عديدة وهى تسهر وتبذل جهدا غريبا لاعداد حجرة نومها من أجل كيشى ، ولقد تعلل مرات عديدة بأنه يريد أن يرى

ما أقيم هناك من زينات ، لكن أمه وعمته فى كل مرة ، كانتا تدفعانه الى الخارج قبل أن يدخل ، حتى النظرة العابرة الى حجرة نومه مع عروسه الليلة٠٠كانت ممنوعة عليه ، الى أن يأتى الليل ويدخلها بصحبة العروس٠

عندما كان يتحدث الى أصدقائه أثناء مراسم العرس ، أو يستمع الى مزاح النساء ، كانت عيناه مركزتين على أمه ، على الرغم من أنها كانت تقترب من الأربعين ، ورغم أن الاثنين والعشرين عاما من الترمل قد كست عباراتها ببعض الخشونة ، وتركت بضع حلقات داكنة حول عينيها ، فان عرس ابنها قد صنع بها معجزة ، فلا أثر على وجهها للتعب !!؟ ما حول عينيها الآن هالات من النور ، كم هى رائعة فى ساريها الأبيض ، حتى لتبدو فى عينيه أجمل امرأة رآها فى حياته حتى الآن ٠

كان يخشى عليها أن تمرض من الاجهاد والسهر ، لذلك كان فى كل ليلة من ليالى الاعداد للعرس ، وقبل أن يذهب لينام يقف أمامها متمتما بنبرات متوسلة :

ـ اذهبى الى فراشك الآن يا أمى !!

وبدلا من أن تذهب ، كانت تصحبه الى سريره ، فتمسح بالزيت جفنيه وجبينه حتى يستغرق فى النوم ، ثم تعود هى لمواصلة العمل ٠

ولقد تعود على ذلك منذ زمن بعيد ، ففى شهور الاستعداد للامتحان ، حتى عندما كان يسهر الليل كله ، ولاينام الا ساعتين أثناء النهار ، كانت أمه تدلك رأسه بالزيت قبل أن ينام ٠

أحس أن ليلة عرسه أصبحت عبئا ثقيلا على قلبه ، ورغم اعيائه الشديد واشتياقه للرقاد ، فانه لم يتوقف عن ملاحقة أمه بعينيه ، تمنى لو تأتى قبل أن يلفه النوم ، تمسح جفنيه بالزيت وتقبلهما ، ثم تلامس جبينه بأصابعها الناصعة ، تلك الملامسات الحريرية اللينة المشحونة بحب كان يثقل جفنه ، ويغرقه فى نعاس هنىء ٠

كان كيشى قد تعلم من أمه فن تدليك الوجه والجفون ، وكلما أصيبت بالأرق كان يجلس بجانب وسادتها ، ويدلك بالزيت خديها ، ثم جبهتها ، وجفنيها ، الى ان ترتسم على شفتيها ابتسامة الملائكة ، وتستغرق فى النوم ، وقبل ذلك بسنوات ، عندما كان فى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة ، كانت أمه أثناء التدليك بالزيت ، تجذب رأسه اليها ، وتقبله فى شفتيه ، وعندما أصبح فى مرحلة الرجولة ، وحصل على شهادته الجامعية ، ثم دبلوم التربية وعلم النفس ، وعين محاضرا فى الجامعة ، بدأت أمه تقبله فى جبينه فقط دون شفتيه ٠

تمنى كيشى لو استطاع أن يخلص أمه من زحام النساء اللاتى أتين الى العرس ، لو يحملها بين ذراعيه ويضعها فى فراشها لتنام ، لكنها كانت مشغولة كما لم يحدث من قبل ، تصوغ من الورد والزهر قلائد وعقودا وضفائر ، لتشيد بها اكليل العرس حول الفراش ، وعندما أحست أن عرس الزهور لن يكتمل كما تشتهى ، أرسلت كثيرا من المدعوين الى كل أنحاء المدينة ، ليأتوا بأحمال جديدة من الورود والزهور ، كانت تنفق المال فى بذخ ، وكأن المال لم تعد له قيمة لديها ولا حاجة ، أراد أن يقول لها « لماذا يا أمى تحملين صحتك الغالية كل هذا ؟ ، ان حبك عندى أجمل من كل هذه الزينات ، أنت أثمن من كل شىء فى العالم ٠٠ فلا تعرضى نفسك للمرض » ، لكنه كان يعلم أنها لن تعير كلماته انتباها الا بكلماتها السابقة « ان زواجى يا كيشى ، كان زواجا سريعا مهملا لا شأن له » ، وقالت له فى ليلة سابقة عندما احتج على تعبها « كان أبوك موظفا صغيرا جدا يا كيشى عندما تزوجنا ، أنا لا أريد أن تشعر عروسك بالندم ، انى عندما كنت عروسا ٠٠ لم تقدم لى أية هدايا ٠٠ ولا حتى سوار من الزهور ، عليك فقط أن تنتظر ٠٠ لترى كيف أعددت لك فراش العرس» ٠

جاءت عمته فجذبته بعيدا ٠٠ أشارت له نحو حجرة النوم وقالت ضاحكة :

ـ اياك أن تضيع وقتك فى علم النفس والفلسفة بعد الآن !!

شرد لحظات ٠٠ يفكر فيما تلمح اليه تلك العمة الخبيثة العجوز ، لقد عرف هذه الحجرة طويلا وألف كل ما فيها ، التسريحة التى تجلس أمه أمامها وتصفف شعرها فى زهو ، صندوق المجوهرات المبطن من الخارج والداخل بالقطيفة ، « الأباجورة » التى اشترتها بثمن عال من بومباى ، كل شىء تركته أمه فى مكانه ، وكل شىء هناك يبدو الآن أكثر اشراقا وسط عقود الياسمين المعلقة من خيوط طويلة تحيط بالفراش ، مثل ناموسية كاسية تعتلى عرش الزواج ، تتساقط منها زهور الى جواره ، حيث ترقد عروسه ، وكأنها فلورا آلهة الزهور ، نصف وجهها مغطى بالخمار ، وملاءة السرير من تحتها ماتزال عذراء ناصعة البياض ٠

تخيل كيشى حفل زواج أمه ، كانت عروسا لموظف صغير فى « ادارة الخليج » ، بالتأكيد كان حفل زواج أمه فى كوخ فقير ، وسريرها كان مصنوعا من حبال خشنة ، والليل خارج الكوخ كان مظلما ، ولم تكن تملك أمه لمحاربة الظلام سوى قنديل تخنقه ريح هوجاء ، بدا عرس أمه فى خياله قاتما كحلم كئيب ، وأخيرا ، عندما رقى أبوه الى ملاحظ تنفيذ للمنشآت الهندسية ، حصلت أمه على بعض ما كانت تريد ، لكنها

بالتأكيد ٠٠ لم تنس خيبة أملها فى ليلة العرس ، لقد زينت فراش عرسه الآن كما كانت تشتهى أن يكون فراشها فى تلك الليلة البعيدة ، هى بذلك تحقق حلمها القديم الغارق فى أحداث العمر ، لكنها دون أن تدرى كانت تحمل ابنها أثقالا من العذاب تتزاحم فى ذاكرته الآن مع ذكريات عمره ٠٠ فى هذه الحجرة التى يرقد فيها الى جوار عروسه ٠٠ فى أول ليلة من ليالى الزواج ٠

واعتلأ رأسه بصدق كلمات عمته وضحكاتها « اياك أن تضيع وقتك فى الفلسفة بعد الآن » ٠

هل هو مقيد فى نسيج أوهامه ؟ وماذا تظن به العروس ؟ فكر فى كثير من الزيجات التى سمع عنها ، تلك التى تحطمت منذ الليلة الأولى بسبب وهن العريس ، ولكن !! هـــل من الضرورى أن يثبت العريس رجولته فى الليلة الأولى ؟ لماذا ترغب العرائس فى كل شىء فى تلك الليلة بالذات ؟ هل يحصلن فيها على سعادة كهنوتية يسترجعنها بقية العمـر ؟ وهل كانت أمه أيضـــا كذلك ؟!! لكن الغريب الليلة أنهـــا أعدت له فراشها هى لهذا الغرض ٠٠ وزينته بالزهور كما تمنتأن يكون فى ليلة عرسها ، هل مايزال فقر زوجها فى السنين الأولى ٠٠ يبدد من قلبها الشعور بالسعادة حتى الآن ؟

ضرب كيشى رأسه بقبضته ضربة عنيفة ، ماذا أصابه ؟ لماذا طلب من أمه فراشها ؟ لكنه كان طفلا عندما طلبه منها !! كان يجب عليها أن تكون أكثر علما وادراكا ٠

وعاد من الحديقة الى الشرفة ، رأى عروسه واقفة هناك فى انتظاره ، ســـألته :

ـ ألا تحس بأنك على ما يرام ؟

ـ أنـا ؟ أنا على مايرام تماما ٠

ـ هل ٠٠ هل أسبب لك ضيقا بشكل ما ؟

تمنى كيشى لو يستطيع أن يضحك عاليا ، وبأقصى ما يستطيع ، حتى لو أصيبت زوجته بالذهول ، لف ذراعيه حول وسطها وجذبها الى الداخل ، عازما باصرار على أن يدع عقده النفسية جانبا ، ويقوم بواجبه نحوها ، دفع بها الى مخدع العرس ، ومد يديه يفك أزرار ردائهـــا ٠

كانت قد أعادت وسادته الى مكانها ، فوقعت عيناه على صـــورة أمه مرة أخرى ، عاد الى رأسه الدوار العنيف ، نهض هاربا ، أمسكت عروسه بيده قبل أن تهبط قدماه الى الأرض :

ـ ما الخبر ؟

تطلع الى البـاب الآخر ، كم يكون الأمر الآن أسهل كثيرا لو كانت أمه قد أعدت له حجرته هو بدلا من حجرتها !! هاهو باب حجرته على بعد خطوتين من سرير العرس ، لكن حجرته الآن مزدحمة « بالجهـاز » الذى جاءت به العروس ، وما تبقى من معدات الحفل ، وهو لايملك مفتاح غرفته ، ألقى نظرة مكتئبة نحو الشرفة ، كانت أشعة القمر ماتزال تتلاعب هناك ، انطلق صوته هاتفا فى ضعف :

ـ انظرى كم يبدو الليل جميلا في ضوء القمر !! هيا بنا نخرج لنستمتع به .

أطاعته العروس ، نهضـت فارتدت فسـتان الزفاف ثانية ، وأمام المرآة أكملت زينتها سريعا ، وغطت بالخمار جبهتها ، وتبعتـه الى درج الشرفة المؤدي للحديقة ، ذهبا الى بوابة البيت عبر الحشائش والأزهار ، وعادا معا الى الشرفة ، ثم ذهبا ، ثم عادا ، دون أن يتبادلا كلمة ، حاولت هي أن تذيب الثلج ببضع كلمات عن ضوء القمر ، لكنه لم يرد عليها ، بل عاد يسبقها في صمت .

لم يغير خلاء الحديقة حالهما ، فما يزال هو شـاردا فى ضباب الخيال ، وهى فى حيرة عميقة من سلوكه الغريب ، تذكرت ما قالته لها صاحباتها اللاتى سبقنها الى الزواج عن أول ليلة فى فراش العرس ، لقد بدأ زوجها معها بنفس البداية ، ثم غير رأيه فجأة ، لقد سمعت كثيرا من النـاس يمتدحون وسامته ورقته وعلمه ، هو مـدرس فى الجامعة ، ولقد جمع أبوها عنه معلومات كافية قبل الزواج ، ليس فقط من زملائه ، بل ومن تلاميذه أيضا ، وهو لم يندم على الزواج الا بعد أن اقتنع بهـا تمـاما ، لكنها عندما رأت ما يبذله من مجهود شاق ، لكى يمارس معهـا الجنس لأول مرة ، بدا المستقبل في عينيها غامضا وكئيبا ، نظرت اليه خلسة وواصلت السير الى جانبه ، وهى لاتكاد ترى القمر ولا أشـعته الساحرة فوق الزهور . كان عقل كيشى عند ذلك يشـبه أرضـا ملأى بالشقوق ، لم يهتد الى طريق يهرب اليها من ورطته ، استمر فى خطوه الرتيب ويداه متشابكتان خلف ظهره ، كأنهما مقيدتان بقيد عنيـد ، وعندما عادا يسيران نحو البوابة للمرة الثانية ، نادى عروسه بخشونة :

ـ تعالى ، سنخرج لبعض الوقت .

همست بنبرة احتجاج رقيقة :

ـ ان الوقت متأخر جدا .

لكنها تبعته خارج البوابة فى أحد الدروب ·

استرجع كيشى حديث واحد من أصدقائه قال له يوما « ان هذا الدرب الذى يتوسط ما بين النهر وطريق العربات مظلم ومهجور ، ولا يلجأ للسير فيه الا العشاق » ·

قال معتذرا لعروسه :

ـ لن نسير الى أبعد من خزان المياه ·

وبدأ كيشى يشرح لها جغرافية المكان من حولهما ·

ـ هذا المكان فى الماضى ، كان منطقة قاصرة على سكنى كبار موظفى السكك الحديدية من الانجليز ، انظرى !! هذه البيوت الخلوية الفاخرة استولى الهنود عليها بعد الاستقلال ·

وعندما مرا بماكينة الطحين ، شرح لها كيف يطحن القمح والشعير ، وعند مخزن تبريد الخضر ، شرح لها كيف أن أربعة ملايين طن من البطاطس ، يمكن أن تحفظ فى ذلك المخزن ، ثم تطرح للبيع فى غير موسمها ، وعندما مرا بمبنى الصحافة ، دعاها للنظر عبر احدى النوافذ ، وبدأ يشرح لها معجزة ماكينة الطباعة الحديثة ، كيف أن ورقات الصحيفة تدخل من احدى الفتحات ، لتخرج من فتحة أخرى وقد طبعت فى ثوان ، وعندما اتجه بعروسه الى محطة السكة الحديد ، تذكر ما قاله له صاحبه عن الدرب الذى يصل خزان المياه بطريق العربات ، فمال فى اتجاه البوابة المؤدية الى التقاطع ، لكن البوابة كانت مغلقة ومعلق عليها مصباح ذو ضوء أحمر ، قال كيشى :

ـ هذه البوابة مزعجة بشكل فظيع ، فهناك دائما قطار يمر من خلفها فى هذا الاتجاه ، أو الاتجاه المضاد ، ولقد أنشأوا محطة جديدة واسعة ، لكن أحدا لم يهتم بهذه البوابة ، يجب أن يبنوا هنا جسرا علويا يستخدمه المارة بدلا من هذه البوابة المخيفة :

كان مايزال هناك بعض الوقت حتى يمر القطار ، فعبر العروسان خط السكة الحديد عبر بوابة جانبية ملتوية الى خزان المياه ، كانت هناك طريق الى اليمين مضاءة ومفتوحة للسير ، وطريق الى اليسار مظلمة تماما ، وعندما اتجه كيشى الى الطريق المظلمة ، هتفت به العروس محتجة :

ـ دعنا نرجع الى البيت !! ان الوقت متأخر جدا ·

لكن كيشى لف خصرها بذراعه اليمنى متوددا وقال :

ـ ليس أكثر من نزهة قصيرة ، انظرى كيف يتراقص القمر خلف أغصان الشجر !!

ـ ولماذا لانسلك الطريق الآمنة الأخرى ؟

ـ هل أنت خائفـة ؟

وانحنى فقبل جبهتها قبلة كاذبة ٠٠

ووجدت الفتاة نفسها فى حيرة شديدة ، قالت وهى ترتعد :

ـ ماذا جئنـــا نفعل هنـــا ؟ فلنتجه يمينـــا الى الطريق الـ ٠٠

لكنه ضحك ولف خصرها بذراعه ثانية وراح يشرح :

ـ على هذه الطريق أو تلك لن يرانا أحد فى هذا الوقت ٠

وعاد ينحنى ليقبلها ، لكنه قبل أن يفعل كان قد فاجأهما ضـــوء سيارة قادمة ، كانت سيارة نقل كبيرة ، عبرتهما بأزيز محركها المزعج وضوئها المبهر ، لكن صفا آخر من عربات النقل كان قادما من خلفها ، قالت العروس وعيناها تدمعان :

ـ دعنا نرجع الى البيت !! أنا خائفة ٠

ـ لقد اقتربنا من الطريق الرئيســية للعربات ، حيث لاتتوقف السيارات ليلا أو نهارا ، ها هو خلف طريق التدريب الحربى ، خلف الكنيسة المهجورة ٠

توسلت اليه ثانية :

ـ أنا فى غاية الخوف والاجهاد !!

أطبق بذراعه على وسطها ، وسار بها نحو طريق التدريب الحربى ، كانت البيوت الخلوية الواسعة على جانبى الطريق تلمع فى ضوء القمر ، يلفها سكون غريب كأنما هى مندهشة من شىء غامض ، وتحت الأشجار الكثيفة كانت بقع الأضواء والظلال تشكل على أرض الطريق نقوشــا سريعة التغير كلما هبت نسمات جديدة على الأغصان ٠

حاول كيشى أن يتخيل أين تســكن آلهة الليــل ومن أين تطلق شذاها فى ذلك الفضاء ، احتوى عروسه بكلتا ذراعيه ، واندفع بها الى منطقة الظلال :

ـ هل أنت حقا متعبة ؟

لم تجب ، ومالت برأسها على صدره ، رفع اليه رأسها وأخذ يقبل شفتيهـــا ٠

من مسافة قريبة على الطريق ، سلط عليهما ضوء بطارية فافترقا سريعا ، شحب وجه كيشى وازدادت ضربات قلبه ، تذكر أن المروز ممنوع فى تلك المنطقة الحربية بعد منتصف الليل ، كان هناك عند مصدر الضوء فـرقة جنـود يرتدون زيا حربيا بلون الزيتون ، وبدأوا يغنون أغنية من فيلم حديث ٠

هل أنت القمر عندما يكتمل !!
أم أنت الشمس فى ثوب البهاء ؟
كيفما تكونين ياحبيبتى ٠٠٠
فقد وهبتك السماء جمالا بلا نظير ٠

ومستخفين بضـوء القمر ٠٠ سلط الجنود مزيدا من الضـوء على العروسين ، تمنى كيشى أن يأخذ عروسه بين ذراعيه ، أن ينظـــر فى عينيها ويغنى لها أغنية الجنود ، لكن سلوكهم الساخر أخمد فى قلبـــه الأمنية ، وتذكر حادثة ، شاب وأخته من أصدقائه دعيا لتناول العشـــاء ذات ليلة ، فى احدى هذه البيوت الخلوية ، ولم يدرك الأخ وأخته ان الوقت كان قد تأخر عند عودتهما ، ولم يجدا فى هذه المنطقة عربة من عربات الريكشـو ليركباها الى المدينة ، فاضطرا الى أن يسيرا على الأقدام بعد منتصف الليل ، فاوقفهما الجنود هنا ، وأرغموهما على العودة معهم الى البيت الذى كانا يتنـاولان فيه العشاء ، لكى يتأكدوا انهما كان حقـــا أخـا وأختـــه ٠

وقبل أن تستطيع العروس ان تطلب من كيشى الانصراف من ذلك المكان ، كان قد استدار للخلف استعدادا للعودة ، لكن الضوء سلط من بعيد على وجه العروس بصـــورة استفزت كيشى ٠ وفكر أن يهجم على حامل البطارية ويصفعه على وجهه ، لكنه خشى أن يصبح الأمر فضيحة ، ماذا لو وجه اليه سؤال « ماذا يفعل المحاضر الجامعى وعروسه الآن فى هذا المكان المظلم ؟ » بماذا يمكن أن يجيب ؟ لذلك قاوم فى نفسه الرغبة فى الاحتكاك بالجنود ، واتجه بكل حقده الى أمه ، والى السرير الذى أهدته اياه ، والى ضعفه الذى وصل به الى تلك الحال ٠

عاد فى اتجاه البيت بخطوات أكثر نشاطا ، وتبعته عروســـــه بخطوات متعثرة ، ابطأ السير بعد أن عبر بوابة البيت ، أما عروسه ، ففى ثورة من الغضب أسرعت رأسا الى حجرة النوم ، وألقت بنفسها فوق الفراش ، وعندما لحق بها كيشى وجدها راقدة فوق الفراش ، وقدماها متدليتان على الأرض مع طرف السارى ، وفتحة « البلوزة » التى فكت

أزرارها .. تكشف عن استدارة ثدييها ، وعما فيهما من ليونة ودفء ونداء ، فكر أن يجثو على ركبتيه ، ويضع رأسه فوق صدرها ، لكنه مرة أخرى وجد عينيه ترحلان الى ما فوق الوسادة ، الى صورة أمه الصغيرة الجميلة .

ظل واقفا وسط الحجرة شاردا ، وظلت الفتاة محدقة فى السقف بفيض من الدموع ، نظر كيشى الى ما خلف الفراش ، الى باب غرفته القديمة ، سأل العروس :

ـ هل باب هذه الغرفة مغلق بالمفتاح ؟

ـ أجل .

ـ دار كيشى حول الفراش دورتين ثم هتف :

ـ وأين المفتاح ؟

ـ ربما يكون مع عمتك ، فهى التى كدست بداخلها الأثاث .

وخرج كيشى مسرعا عبر الشرفة الى طرف الحديقة ، لقد أطفىء النور فى حجرة نوم أمه ، والنسوة الأخريات لابد قد ذهبن الى غرف الضيوف واستغرقن فى النوم ، هل يذهب ليوقظ أمه ؟ واذا استيقظت عمته أيضا ؟!! سوف تسلط عليه لسانها المرح الجارح ، عاد أدراجه وراح يدور حول الفراش ، اختلس نظرة الى العروس ، كانت دموعها ماتزال رانية الى السقف ، اتجه الى باب غرفته القديمة خلف السرير ، دفعه دفعة قوية بالكتف ، اكتشف أن الباب مغلق بالترباس السفلى فقط ، لكن الترباس بدا أقوى من دفعات الكتف ، دائما كانت أمه تهتم بالترباس السفلى ، لو كان الباب مغلقا من الداخل بالترباس العلوى فقط ، لكان من السهل الآن ان يحطم زجاج الشراعة ، ويدخل يده بين قضبانها ليجذب الترباس .

تراجع الى الخلف قليلا وأخذ يفحص الباب ، كل من الضلفتين لها شراعة علوية بقضبان معدنية ولوح من الزجاج ، لو استطاعت يده أن تصل الى الترباس السفلى !! فكر ان يحطم الزجاج ليجرب ، لكن احتمال استيقاظ أمه على الصوت جعل برودة الخوف تغمر جسده ، عقد يديه خلف ظهره وراح يحدق هنا وهناك ، مرة أخرى وجد نفسه يفحص الباب المغلق ، كان جزء من أسفل الضلفة اليمنى معطوبا وتالفا ، وهناك شرخ عميق يتعدى الطلاء الى جسد الباب ، انبطح أرضا ، أسند ظهره الى السرير ، استجمع كل قوته فى قدميه ضد منطقة الشرخ ، لكن السرير انزلق ، بعروسه الى الخلف ، وظل الباب صامدا .

ماتزال العروس راقدة فى سكون ، عيناها معلقتان بالسقف ، وكأنها لم نشعر بانزلاق السرير ، اختلس كيشى نظرة اليها ، التفتت اليه ، تقابلت عيونهما فى صمت ، حدث كيشى نفسـه : « أليست عيناها تسخران منى ؟ ألم تنظر الى نظرة الى طفل مخبول ؟! واحتواه دافع من الخبـل بدد ذكاءه تمـاما ، ففز واقفا ، وبضربة عنيفة حطم الشراعة السفلى ، فتناثرت شظايا الزجاج داخل غرفته القديمة ، نهضت العروس جالسة فوق الفراش فى فزع ، لكنه لم ينظر نحوها ، مد ذراعه اليسرى وشد النرباس ضاغطا على وسط الباب بيده اليمنى ، تباعدت الضلفتان قليلا ، ثم عادتا مطبقتين بقوة على ذراعه اليمنى ، استعان بذراعه اليسرى حتى خلص اليمنى، لكن مرفقها كان قد جـرح ، وبدأ الدم ينشـح من كم القميص ، صرخت العروس لمرأى الدم :

ـ يا الهى !! ما هذا الذى فعلت ؟

كانت نبراتها قد امتلأت بالاهتمام ، وراحت تبحث عن شىء يصلح ضمادة للجرح ، لكن كيشى لم يكن مهتما بما أصابه على الاطلاق ، بل عاد يدفع الباب بيديه وكتفيه دفعات جنونية متوالية حتى انتصر عليه ، واندفع الى الداخل ، كان يعرف الطريق الى مفتاح النور ، رأى الغرفة فى الضوء مزدحمة بالهدايا والأثاث ، وهذا هو السرير الذى جـاءت به العروس ، وهذه ماكينة الخياطة التى جاءت بها أيضا ، واتجه الى حقائب ملابسها الثقيلة ، حملها واحدة فواحدة وراح يطوح بها تباعا فوق فراش العرس عبر عرش الياسمين ، كانت العروس الآن واقفة خلفه قليلا ، تحدق فيه وترتعد من الخوف ، التفت اليها ، وضع يديه على كتفيها ناظرا الى عينيها الدامعتين ، رأت عينيه لأول مرة خاليتين تماما من اللامبالاة ، ومليئتين بأمواج من النشـوة ، لفحت أنفاسـه أذنيهـا ٠٠ وما خلف أذنيها ، وفى أحضانه الدافئة ، بدأت أطرافها تنفض الجمود والخوف ، ورفعت احدى يديها لترتب شعره المهوش ، ومدت يدها الأخرى تحت قميصه المبتل ، حتى غابا معا فى القبلة المشتهاة ٠

استيقظت أمه فى الصباح الباكر ، وأسرعت الى غرفة العروسين ، فوجئت بالباب مفتوحا ، أطلت برأسـها فى انزعـاج ، ثم اندفعت الى الداخل ، مزقت الستارة المقامة فوق الفراش ، شهقت مضطربة الأنفاس فقد كان الفراش خاليا ، وقعت عيناها على الباب الآخـر المفتوح وعلى شظايا الزجاج ، صرخت :

ـ هل كان هناك لص فى البيت ؟

وزحفت حتى عتبة الباب الآخر ، وهناك توقفت غارقة فى الذهول ، كان العروسان فى الداخل مستغرقين فى نوم عميق ، فوق سرير خشن لم يمهد للنوم ، السرير الذى جاءت به العروس فكدس مع الزحـــام ، ولم يكن مع العروسين فوق السرير سوى وسائد الأريكة ، التى جاء بها أهل العروس ٠

« أخبـرنا »

قصة قصيرة بقلم : ساتياجيت راى (★)

Satiajit Ray

(اليابان ـ مدينة أوساكا فى ١٢ مارس) ٠

هنا مظاهرة علمية ٠٠ يحضرها أكثر من ثلاثمائة عالم ومائة صحفى من كل انحاء العالم ٠

وضع (أخبرنا) على قاعدته الشفافة ذات الأرجل الثلاث ٠٠ فوق منصة صالة المحاضرات بمعهد (ناسمورا) للتكنولوجيا ، وعندما دخل اثنان من عمال المعهد يحملان الكرة البلاتينية الناعمة ٠٠ دوت القاعة بتصفيق جماعى صاخب ٠

هذا الجهاز الذى يستطيع الاجابة عن مليون سؤال دون ارهاق ، لا يزيد حجمه عن حجم كرة القدم ، ويزن اثنين واربعين كيلو جراما فقط ، لكنه يحمل المفاجأة الكاملة المذهلة لجمهور الحاضرين ٠

والحق أنه فى عصر العلم المتعاظم هذا ، لا حاجة الى أن يزيد حجم جهاز مهما كان معقدا عن هذا الحجم ، وهذا منطقى مع تقدم العلم ، فمنذ خمسين عاما فقط ، عندما كان جهاز الراديو بملحقاته يحتاج الى غرفة

(★) ساتيا جيت راى ٠

ـ مخرج سينمائى هندى حاصل على جائزة الأوسكار ٠٠٠ توفى فى أوائل التسعينات وهو يقترب من السبعين ٠

ـ مدرسة عالمية متفردة فى الاخراج السينمائى تناولتها كتب عديدة ٠

ـ احد أساتذة السينما الجادة فى هذا القرن ، لذلك فان افلامه تحدث دويا فى المهرجانات الدولية ٠

ـ كاتب ومفكر ، طموحاته الفنية والأدبية وأشواقه الى العالم الأفضل والى عناق المجهول ٠٠ لا تتسع لها أعمار مئات البشر ٠

خاصة ، لم يكن أحد يتخيل أنه سيشاهد برامج التليفزيون على شاشة في ساعة يده كما يحدث اليوم ·

ان (أخبرنا) بلا شك هو انتصار للتكنولوجيا الحديثة ، لكنه حقيقي أيضا ·· أنه في عصر الأجهزة المعقدة ·· لم يعد الانسان قريبا من الطبيعة أينما كان ، وهذه الآلة الصغيرة التي صنعناها تحتوي على عشرة ملايين دائرة كهربية ، لكن المخ البشري الذي لا يزيد حجمه عن ربع حجم (أخبرنا) يحتوي على مائة مليون خلية عصبية عاملة ، وهو رقم يوضح مدى تعقيدات مخ الانسان ·

ولأكشف لك منذ الآن ، أن المخ الالكتروني الذي وضعه العاملان أمامنا على المنصة ، عاجز تماما عن حل المسائل الحسابية ، ذلك لأنه لم يصمم ليقوم بمثل هذا العمل التافه ، بل ليجيب عن أسئلة تحتاج الى كل دوائر المعارف ، لكن الأخطر من هذا هو أن الجهاز يجيب عن الأسئلة شفاهيا باللغة الانجليزية وبنبرات في قمة الوضوح ، من يريد أن يوجه اليه سؤالا عليه فقط أن ينطق باسم الجهاز أولا (أخبرنا) ·· وهذا يكفي لتنبيه خلاياه واثارتها للعمل ، وعلى السائل أن يقول في نهاية الحوار (أشكرك) ، وهذه كافية أيضا لايقافه عن العمل ، وللجهاز بطارية من نوع خاص قدرتها على العمل مائة وعشرون ساعة ، وهي موضوعة في خزانة خاصة داخل الكرة ، وعلى مساحة بوصة مربعة من سطح الكرة هناك مائتا ثقب دقيق تدخل عبرها الأسئلة وتخرج الاجابات ، ويجب أن تكون الأسئلة ذات اجابات قصيرة ، ولأضرب لك مثالا على أهمية ذلك :

كان أعضاء الوفود قد أعدوا أسئلتهم ذات الاجابات القصيرة قبل أن نتجمع في صالة المعهد ، الا أن صحفيا من الفليبين سأل الجهاز أن يتحدث عن الحضارة الصينية القديمة ، وكان طبيعيا ألا يجيب الجهاز وعندما سأل نفس الصحفي عن نقاط محددة في الحضارة الصينية ·· أصابنا الجهاز بالذهول ، فقد أجاب على الفور اجابات في منتهى الدقة ·

و (أخبرنا) ليس قادرا فقط على امدادنا بالمعلومات ·· بل انه قادر على المناظرات المنطقية ، سأله العالم البيولوجي النيجيري دكتور سولومون ·· عما اذا كان من الأسلم ترك قرد صغير أمام غزال جائع ، أم أمام شمبانزي جائع ، فأجاب (أخبرنا) على الفور :

ــ أمام غزال جائع ·

فعاد العالم البيولوجي يسأل

ــ لمـــاذا ؟

ـ لأن الشمبانزى من أكلة اللحوم ٠

هذه حقيقة لم يكن يعلمها أحد الا الآن ، اذ كان الجميع يعتقدون أن كل أنواع القردة والقردة العليـا حيوانات نباتية لا تأكل اللحوم ٠ كذلك فان (أخبرنا) يستطيع أن يكون طرفا فى ألعاب البريدج والشطرنج ٠٠ وأن يكتشف أى خطأ موسيقى فى النوتة أو فى العزف ، وبعد سماعه لوصف لوحة ، يمكنه أن يحدد نقاط الضعف فيها ، وأن يشرح للرسام كيفية الارتقاء بفنه فى اللوحات التالية ، كما يستطيع (أخبرنا) أن يملى قوائم بالدواء والغذاء لكثير من المرضى ، وأن يحدد فرص بقاء كل منهم على قيد الحياة ، بعد سماعه لوصف الحالة المرضية ٠

ان كل ما ينقص (أخبرنا) من قدرات حتى الآن ، هو أن يفكر ، ويشعر ، ويتأمل فيما وراء الطبيعة ، فعندما سأله البروفيسور ماكسويل الأستاذ بجامعة سيدنى ، عما اذا كان الانسان سيظل يقرأ الكتب لمائة عام قادمة ، ظل (أخبرنا) صامتا لأنه لا يملك القدرة على التنبؤ ، لكنه رغم هذا يتفوق على الانسان فى خصوصية واحدة ، هى أن المعلومات التى يغذيه بها الانسان لا تذبل ، مع أن أكثر الناس ذكاء يعانون من ذبول فى الذاكرة كلما تقدموا فى السن ، وأنا نفسى بالأمس وجدتنى أنادى على خادمى (برالاذ) باسم (براياج) ، وهذا خطأ لن يقع فيه (أخبرنا) على الاطلاق ، فمع أنه من صنع الانسان ٠٠ الا أنه يتفوق عليه فى قوة الذاكرة وثبات قوتها ٠

كان الذى طرح الفكرة الرئيسية لهذا الجهاز هو العالم اليابانى الشهير (ماتسو) ، وهو أحد الأسماء الرنانة عالميا فى الالكترونيات ، ولما تأكدت حكومة اليابان من صحة مشروعه وافقت على تحمل نفقات انتاج الجهاز ، وقد تولى التنفيذ الخبراء الفنيون بمعهد (ناسمورا) ٠٠ خلال سبع سنوات من العمل الشاق ، وفى السنة الرابعة ، قبيل انتهاء العمل التمهيدى ، دعا ماتسو سبعة علماء من خمس قارات ليعاونوه فى تغذية الجهاز بالمعلومات ، كنت أنا واحدا منهم ، وكان الستة الآخرون هم : دكتور جون كينسـلى من بريطانيا ، ودكتور ستيفن ميريفيل من معهد ماساكوسيتى للتكنولوجيا ، ودكتور ستاسوف من الاتحاد السوفيتى ، والبروفيسور ستراتون من ملبورن ، ودكتور يوجاتى من غرب افريقيا ، والبروفيسور « كوتنا » من المجر ٠

وقبل أن يعود دكتور ميريفيل الى معهده بثلاثة أيام ٠٠ مات بنوبة قلبية ، فحل محله البروفيسور وينجفيلد من نفس المعهد ٠

كان بعض هؤلاء العلماء قد ظلوا ثلاثة أعوام ضيوفا على حكومة اليابان ، والآخرون ـ وأنا منهم ـ عادوا الى بلادهم ٠٠ ثم أخذوا يترددون على اليابان فى فترات منتظمة ، وقد جئت أنا الى اليابان احدى عشرة مرة خلال السنوات الثلاث الأخيرة ٠

ولابد لى أن أذكر هنا حادثة غير عادية : أول أمس الموافق العاشر من من مارس ، حدث كسوف للشمس ، ووقعت اليابان فى منطقة الكسوف الكلى ، ولأننا نعرف مواعيد الكسوف بدقة فقد رتبنا أن نتم عملنا قبل الكسوف بيومين ، لكننا اكتشفنا أن الجهاز لا يرد على أى سؤال ٠

كان الجهاز كرة مصنعة بحيث يمكن فكها الى نصفى كـرة ، ثم تفكيك العشرة ملايين توصيلة كهربية التى بداخلها ٠٠ لاكتشاف التوصيلة التى تسببت فى الخطأ ، وقد قضينا فى البحث عن الخطأ ليلتين ويومين بلا انقطاع ، وفى العاشر من مارس ، قبيل أن يبدأ الكسوف فى الواحدة وسبع وثلاثين دقيقة بعد الظهر ، انطلق صفير عال من مكبر الجهاز ، أكد لنا أن الخطأ قد صحح ، فتنهدنا جميعا بارتياح وخرجنا الى الخلاء لنشاهد الكسوف ، وقد استولت على دهشة عميقة : ترى !! هل هناك توافق ما بين كسوف الشمس الوشيك وعودة الجهاز الى الحياة ؟!

ظل (أخبرنا) محفوظا فى المعهد داخل حجرة بنيت خصيصا له ٠٠ للتحكم فى درجة الحرارة التى تناسبه ، وهى أكثر الغرف أناقة فى المعهد ، وهناك يرقد الجهاز فوق السطح المقعر لقاعدته الشفافة ٠٠ عند منتصف الجدار المواجه لباب الحجرة ، ومن فوقه فى السقف تجويف يتخلله ضوء غير مباشر ٠٠ لكنه ضـوء قوى يغمر جسم الجهاز بصـفة دائمة ، ولأن (أخبرنا) الآن ثروة قومية ٠٠ فقد وضعت حجرته تحت الحراسة ، اذ يجب أن يوضع فى الحسبان أنه حتى الدول والشعوب يمكن أن تدفعها الغـيرة الى الحمـاقة ، وقد سمعت وينجفيلد قبل ذلك مـرتين ٠٠ يحـكى فى حـديث عابر عن تخلف الولايات المتحدة عن اليابان ٠٠ فى مجال تكنولوجيا الحاسبات ، ولابد هنا من كلمة عن وينجفيلد : انه بلا شك عالم قدير ، لكنه شخصية مكروهة من الجميع ، لعل السبب فى ذلك أنه يحمل أكثر الوجوه جهامة وعبوسا ٠٠ وأن أحـدا لم يره يضحك خلال السنوات الثلاث التى قضاها هنا فى أوساكا ٠

هناك ثلاثة علماء أجانب سيعودون اليوم الى بلادهم ، والباقون بعد ذلك هم : وينجفيلد وكينسلى وكوتنا وأنا ، نسيت أن أقول لك ان وينجفيلد يعانى من مرض النقرس ، وانه يتردد على أخصائى فى أوساكا للعلاج ، وأنا أستعد لجولة قصيرة حول أوساكا ، سوف أذهب غدا مع كينسلى الى (كيوتو) ، وكينسلى يشتغل بالعلوم الطبيعية لكن اهتماماته

وواسعة المدى ٠٠ الى حد أنه يعتبر مرجعا مهما فى الفن اليابانى ، وطالما عبر عن شوقه لزيارة كيوتو ، على الأقل لرؤية المعابد البوذية وحدائق (زن) الشهيرة ، أما العالم البيولوجى المجرى (كوتنا) فهو لا يهتم كثيرا بالفن ، هناك شيء واحد ينير اهتمامه أنا فقط الذى أعرفه ٠٠ فهو لم يناقشه الا معى ، وهو موضوع لا أراه واقعا فى دائرة اهتمامنا ، ولأوضح لك ذلك بمثال :

كنا نتناول الافطار معا فى ذلك الصباح ، أخذ كوتنا رشفة من كوب القهوة ، ودون توقع خرج عن هدوئه وقال : أنا لم أشاهد كسوف الشمس فى ذلك اليوم ٠

لم أكن أنا أهتم بذلك ، فكسوف الشمس ليس أكثر من ظاهرة طبيعية معروفة ، رغم أن هالة الشعاع التى أحاطت بقرص الشمس عند اكتمال الكسوف فى ذلك اليوم ، جعلتنى معلق البصر بها الى حد أنى لم أعرف من الذى كان يقف بجوارى ، وقد دهشت من أن كوتنا حرم نفسه من رؤية هذه الظاهرة ، وعندما سألته بعد ذلك عن السبب ، وجه الى سؤالا غريبـــا :

هل للكسوف تأثير على البلاتين ؟

لست أعرف !! ولماذا هذا السؤال ؟

لماذا اذن فقد الجهاز بهاءه أثناء الأربع دقائق ونصف التى استغرقها الكسوف الكلى ؟ لقد رأيت بوضـوح أن غلالة ما غطت الجهاز بمجرد أن اكتمل الكسوف ، ثم رأيت الغلالة تنقشع فى نفس اللحظة التى انتهى فيها اكتمال الكسوف !!

لم أدر ماذا أقول لكوتنا ، رحت أتأمل وجهه العجوز متعجبا ، ترى !! هل هناك علاقة بين التقدم فى السن وبين أسئلته الغريبة ؟! وسألته :

— هل تظن أن الجهاز أصيب بالشيخوخة ؟

— ليس لدى اجابة محددة ، لأن الفكرة جديدة تماما ، كل ما أستطيع قوله : هو أنه اذا كانت الغلالة التى رأيتها مجرد خداع بصرى ٠٠ فسوف أكون فى منتهى السعادة ، انى لست زاهدا فى رؤية الكسوف ، لكن فكرى الآن مركز فى العقول الصناعية ، عندما دعانى ماتسو للحضور الى هنا وأتيت ٠٠ قلت له شيئا مما يؤرقنى : اذا استمر الانسان فى صناعة الماكينات وتطويرها ٠٠ فقد يأتى يوم تفلت فيه العقول الصناعية من سيطرة الانسان !!

وتوقفت المناقشة بوصول كينسلي وويبجفيله ·

ان احساس كوتنا بالماكينات والأجهزة لم يعد شيئا جديدا ، كثيرون فمنا يفكرون فى احتمال أن يصبح الانسان عبدا لهذه الماكينات ، فلقد كان ساكن المدينة ـ قبل عصر الآلة ـ يمشى على قدميه نحو عشرة كيلومترات كل يوم بسهولة ، لكنه الآن يشعر بالعجز عن التنقل دون مركبات ، ليس معنى هذا أن نطالب بايقاف التقدم العلمى ، بل ان مزيدا من الماكينات لابد أن تصنع ، والا فسيصبح التقدم الى الوراء نحو العصور البدائية ·

(كيوتو فى ١٤ مارس) :

مهما كنت قد قرأت أو سمعت عن جمال كيوتو ، فانها أروع من كل هذا !! لم أكن أصدق أن الحس الجمالى لدى الانسان يمكن أن يغطى مدينة بأكملها !!

بعد ظهر اليوم زرنا معبد (زن) الشهير وحدائقه الرائعة ، من الصعب أن أتخيل مكانا فى العالم أهدأ من هذا ، قابلنا فى المعبد رجل الدين العالم الشهير (تاناكا) ، شخصية قديس وديع متوافق تماما مع كل ما حوله ، وعندما سمع منا عن (أخبرنا) ابتسم برقة وقال :

ـ هل يستطيع جهازكم أن يخبرنا عن : ارادة من تلك التى تحرك الشمس والقمر بهذا التوافق أثناء كسوف الشمس ؟!

حقا انه سؤال فيلسوف !! عندما كنت صبيا ورأيت الكسوف لأول مرة ، انتابتنى دهشة عميقة ، كيف يمكن أن يجيب (أخبرنا) عن سؤال (تاناكا) ؟! سوف نقضى هنا يوما آخر ثم نذهب لزيارة (كاماكورا) ، لقد استفدت كثيرا من رفقة كينسلى ، ان الأماكن الرائعة تصبح أكثر روعة ، عندما تزورها بصحبة شخص يعرفها ويحبها ·

(١٥ مارس)

أكتب هذا فى مقصورة القطار بمحطة (كيوتو) ، فى الساعة الثانية والنصف صباحا من الليلة الماضية حدث هنا زلزال عنيف ، الهزات الأرضية أمر عادى فى اليابان ، لكن هذه الهزة كانت جسيمة واستمرت تسع ثوان كاملة ، هذا هو السبب الرئيسى الذى يجعلنا نغادر المدينة ، والسبب الأخطر من هذا أن حادثة وقعت فى (أوساكا) تدعونا الى سرعة العودة اليها ، ففى الخامسة من صباح اليوم اتصل بى (ماتسو) ·· وفاجأنى بالخبر :

ـ لقد اختفى (أخبرنا) ٠

لم يكن سهلا أن يمتد الحديث عبر التليفون ، لأن ماتسو يتحدث بانجليزية ضعيفة ، لكنه فى هياجه استطاع أن يعبر بوضوح عما حدث : بعد الزلزال مباشرة ٠٠ وجد أن القاعدة الشفافة قد سقطت من على المنصة الى أرض الحجرة ، وأن (أخبـــرنا) قد ضاع ، ووجد حارساه فاقدى الوعى وأرجلهما مكسورة ، وهمـــا الآن فى المستشفى ومازالا فاقدى الوعى تماما ، ولم تعرف حتى الآن حقيقة ما حدث ٠

هنا فى كيوتو قتل تسعون شخصا نتيجة لانهيار المنازل ، كل من فى المحطة يتحدثون عن الزلزال ، عندما بدأ الزلزال ليلا كنت فى غاية الاضطراب والقلق ، وهرولت أنا وكينسلى الى خارج الفندق متخبطين فى الزحـــام ٠

يا للكارثة !!! كم من الخبرة والمال أنفقت فى صناعة الجهاز !! أثمن جهاز فى العالم !! يختفى بعد اكتمال صنعه بثلاثة أيام ؟!!

(أوساكا فى ١٥ مارس ـ الحادية عشرة مساء)

أجلس الآن بغرفتى فى بيت الضيافة العالمى المطل على الميدان ، فى الجانب الآخر من الميدان يواجهنا معهـد (تاسمورا) ، من نافذتى هذه كنت أرى برج المعهـد ٠٠ لكنه الآن ليس هناك فقد انهار بالأمس تحت وطأة الزلزال ٠

كان ماتســو قد جــاء بعربته الى المحطة لاستقبالنا ، واتجهنـــا مباشرة الى المعهد ، أحد الحارسين استرد وعيه وقال : عند بداية الزلزال شرع هو وزميله فى الهرب ، لكنهما سمعا صوتا صـادرا من حجـــرة (أخبرنا) ٠٠ فهرولا الى هناك فتحا الباب وأخذا يبحثان ٠٠٠ مستحيل أن يصدق أحد هذه الرواية ، ان الحارس يقول :

ـ عندما دخلنا الى الغرفة وجدنا القاعدة الشفافة ملقاة على الأرض و (أخبرنا) يتدحرج ذهابا وجيئة بين الجدران ، وعندما هدأ الزلزال تقدمنا من الجهاز لنتمسك به ، لكنه اتجه نحونا مهددا ، وانهـــال على أرجلنا ضربا حتى كسر عظامها وفقدنا الوعى

ان تكن هذه الرواية كاذبة ، فالاحتمال الآخر هو أن الجهـــاز قد سُرق ، لابد أن الحارسين كانا مخمورين ، والذى استرد وعيه كان أقل ســكرا ، لم يكن طبيعيا أن يندفع الحارسان للهرب من المبنى وهمــا

مخموران !! كان هناك آخرون يعملون بمعمل المعهـــد فى تلك الليلة وهربوا أيضا أثناء الزلزال ، هذا يعنى أن معظم الأبواب كانت مفتوحة ٠٠ وأن الغـرباء كان يمكنهم دخــول المعهــد ، أى لص نشــيط الحركة كان بامكانه أن ينتهز فرصة الفزع ويهرب بالجهاز ، دون أن يراه أحد !! ٠

سرقة ؟ أم لاسرقة ؟ ان (أخبرنا) ليس فى مكانه الآن ، فمن الذى أخذه ؟ والى أين أخذه ؟ وحتى اذا أمكن استرداده فستظل هناك أسئلة بلا جواب ٠

لقد سارعت الحكومة فأعلنت فور وقوع الحادث عن جائزة مقدارها نصف مليون « ين » لمن يعيد الجهاز ، والشرطة بدأت البحث على أوسع نطاق ، والحارس الثانى استرد وعيه وأكد بشدة أن الكرة لم تسرق ، لكنها ـ بقوة غامضة ـ هاجمته هو وزميله بقسوة وهربت ٠

كان كوتنا هو الوحيد الذى صدق حكاية الحارســين ، رغم أنه لم يستطع أن يدعم الحكاية بتفسير منطقى واحد الا أنه صدقها ، بينما أكد كينسلى ووينجفيلد أن السرقة هى التفسير الوحيد لاختفاء الجهاز ٠

ان البلاتين معدن نفيس لايفوقه الا الذهب ، وشباب اليابان فى هذه الأيام ـ تحت تأثير المخدرات ـ يميلون الى الأعمال الطائشة ، وبعض الراديكاليين منهم يرتكبون مثل هذه الأعمال لمجرد احراج الحكومة ، وربما أيضا من أجل الحصول على المكافأة الضخمة !!

لن يكون البحث سهلا ، فالهياج الذى أحدثه الزلزال لم يهـــدأ بعد ، لأن أكثر من مائة وخمسين شخصا قتلهم الزلزال فى أوساكا ، وعدد المصابين زاد على الفين ، وليس هناك ما يؤكد أن الهزات الأرضية قد خمدت تماما ٠ كان كوتنا هنا منذ قليل ، ومع أنه يؤمن بأن (أخبرنا) قد اختفى دون تدخل من أحد ٠٠ الا أنه لم يجد سببا واحدا يدفع الجهاز الى الهرب ، هو فقط يرى أن ارتطام (أخبرنا) بالأرض أثناء الزلزال قد أثر بشكل ما فى سطح كرة الجهاز ، مما جعله يفقد عقله ، أما أنـا فأشعر شعورا قاسيا بفداحة الخسارة ، شعورا محزنا لم أتعرض لمثله من قبل ٠

(١٦ مارس ٠٠ الحادية عشرة والنصف ليلا)

على أن أتخلص من الارهاق العصبى الذى عانيت منه طوال النهار ، ليس فينا واحد يرفع رأسه عاليا سوى كوتنا ، لأن افتراضه أوشك أن يصبح حقيقة !! بسبب هذه الكارثة آشك فى أن أحدا سوف يغامر بعد ذلك ببناء عقول صناعية أخرى ٠

فى الليلة الماضية ـ بعد أن انتهيت من كتابة مذكراتى اليومية ـ لم أستطع آن أنام ، فصممت على أن آتناول قرصا منوما ، وبمجرد أن نهضت من فراشى لأحضر علبة الحبوب المنومة ٠٠ شد بصرى الى النافذة الشمالية ، هذه النافذة هى المطلة على الميـــدان فى مواجهـــة معهـد (ناسمورا) ، كان ما شد بصرى هو ضوء بطارية فى الميدان ، كانت البطارية تضاء وتطفأ متجولة فى مساحة كبيرة نسبيا ، استمر ذلك لمدة ربع ساعة ، كان واضحا أن الذى يحمل البطارية يبحث عن شىء ما ، لكنه فجأة ـ بمساعدة ضوء البطارية ـ اختار طريقـــا ما واختفى من الميدان ٠

فى هذا الصباح وصفت لزملائى الثلاثة حادثة البطارية ، اتفقنا على أن نلقى نظرة على الميدان بعد تناول الافطار ، وفى حوالى الثامنة نزلنا الى الميدان ، مثل كل مدن اليابان كانت طرقات أوساكا غير مستوية ، وكان علينا أن نرتقى طريقا منحدرا لكى نصل الى الميدان ، وهناك اتخذنا طريقا بين الأشجار التى تتشابك زهوها مشكلة أيكة مديدة جدرانها أشـــجار القبقب والقسطل والبتولا والبلوط ، لقد بدأ اليابانيون منذ زمن طويل فى اقتلاع أشجارهم وزراعة الأشجار الانجليزية بدلا منها ، وبعد أن مشينا نحو ربع ساعة التقينا بتلميذ يابانى فى نحو العاشرة ، أسود الشعر متورد الخدين ، يعلق حقيبة كتبه على كتفه ويتجول محدقا فى الأرض ، توقف التلميذ لرؤيتنا وراح ينظر الينا بانزعاج ، كان (كوتنا) يعرف اليابانية فسأله :

ـ ما اســـمك ؟

ـ ســـــيجى ٠

ـ ماذا تفعل هنا يا سيجى ؟

ـ ذاهب الى المدرســـة ٠

ـ عما كنت تبحث فى هذا الدغل ؟

لم يجب الصبى ، بينما خطــا كينسلى بضــع خطوات الى اليمين وهتف :

ـ أقبل يا شانكو !!

كان كينسلى هناك يحدق فى الحشائش ، أسرعنا اليه أنا ووينجفيلد، هناك رقعة من الحشائش عليها غصن زهرة برية ديس بجسم ثقيل ، وعلى بعد أقدام قليلة رأينا سـ‍ـحلية مبططة وملتصقة بالأرض ، التفت كينسلى الى كوتنا وقال :

ـ اسأل الصبى ان كان يبحث عن كرة ٠

وجاءت اجابة الصبى هكذا : قال انه كان قد رأى كرة معدنية خلف الدغل وهو عائد من مدرسته فى اليوم السابق ، وعندما اقترب منهــا تدحرجت حتى ابتعدت عنه ، ولما تعقبها ظلت تبتعد عنه حتى فشل فى اللحاق بها ، ولما عاد الى البيت علم بأمر الجائزة من التليفزيون ، ولذلك عاد يبحث عنها بالبطارية فى الليلة السابقة ، لكنه لم يجدها ٠

قلنا له اننا اذا عثرنا على الكرة فسوف نمكنه من الحصول على الجائزة ، عند ذلك بدا عليه الارتياح ٠٠ فأعطانا عنــوانه وهــرول الى المدرســـة ٠

وتفرقنا نحن الأربعة فى أربع اتجاهات لعل أحدنا أن يعثر على الكرة فينادى على الآخرين ، أهملت آثار الأقدام وبدأت البحث خلف الأدغال ، اذا كان (أخبرنا) قد أصبح يملك أن يتحـــرك وحده فمن الصعب أن يستسلم ، أما اذا كان قد ارتقى ولو قليلا نحو الكينونة البشرية ٠٠ فمن العسير أن نتنبأ بشىء من تصرفاته ٠

مستجمعا كل يقظة عينى واصلت السير خمس دقائق أخرى ، فرأيت فراشتين على الحشــائش ، احــداهما كانت ميتــة والأخرى ما تزال ترفرف بجناحيها رفرفات واهنــة ، شىء ثقيــل مــر فوق الفراشتين منذ لحظات قليلة !! تقدمت ببطء وحذر شديدين الى أن جذب انتباهى صوت مفاجىء حاد ، لو أن أحدا يستطيع أن يعبر عن الصوت الذى سمعته بالكلمات لكتبه هكذا : (كوو اى) ، كنت أحاول أن أحدد الموقع الذى صدر منه الصوت عندما سمعته مرة أخرى مفاجئا وحادا (كوو اى) ، انه بالتأكيد جهازنا الضــائع ٠٠ ونداؤه يعنى شيئا واحــدا : انه يلاعبنا لعبة « حاوريني يا طيطة » !!

لم أستطع التقدم أكثر من ذلك ، فقد رأيت (أخبرنا) هناك خلف شجرة خبازى قريبة تتلألأ فى أشعة الشمس ، لكننى عندما اقتربت منه لم يتحرك ، لا شك أن (كوو اى) هى التى دلت زملائى الثلاثة على أن

(أخبرنا) قريب ، فقد أسرعوا قادمين نحوي ، يبدو أن ٠٠ هل ؟ هل هناك تغير ما في مظهر (أخبرنا) ؟ علينا أولا أن نزيل التراب والحشائش العالقة بسطحه ، هبط كينسلي على ركبتيه وسط الحشائش وراح يصرخ مناديا :

ـ أخبرنا ! أخبرنا ! أخبرنا !

ثم راح يصرخ فينا أن نقترب ونصرخ في الجهاز لننشطه ، لكننا شغلنا باكتشاف ما أصاب جسم (أخبرنا) أولا ، فجأة وجه وينجفيلد سؤالا للجهاز :

ـ في أي المعارك انتصر نابليون ؟

كان أحد الصحفيين قد وجه نفس السؤال عندما اجتمعنا في صالة المعهد لاختبار الجهاز ، وقد أجاب (أخبرنا) حينذاك فورا على السؤال ، لكنه الآن لايجيب ، تبادلنا النظرات وأحسست بالتشاؤم يتراكم في قلبي ، تقدم وينجفيلد أكثر نحو الجهاز وكرر السؤال :

ـ أخبرنا ؟ في أي المعارك انتصر نابليون ؟

واذا بالجهاز يجيب بسؤال مضاد :

ـ ألست تعرف ؟

انتفض وينجفيلد ٠٠ وفغر كوتنا فاه خوفا ودهشة ٠٠ كأنما أحس بقوى تتحداه من وراء الطبيعة !!

ان (أخبرنا) لم يعد كما كان !! انه بوسائل مجهولة قد تجاوز مهارة الانسان الذي صنعه !! والآن تأكدت من أني أستطيع أن أحاور الجهاز :

ـ هل جاء بك أحد الى هنا ؟ أم جئت وحدك ؟

ـ جئت وحدي ٠

استفز كوتنا الى الحد الذي أرعش جسده وملأ جبهته بحبات العرق ، لكنه استجمع نفسه وسأل :

ـ لماذا أتيت الى هنا ؟

وبسرعة البرق أجاب (أخبرنا) ٠

ـ لكي ألعب ٠

ووجدتني مستفزا أكثر من كوتنا فصرخت ؟

ـ لكى تلعب ؟

كان وينجفيلد قد ارتمى أرضا ، وأجابنى الجهاز :

ـ ان الطفل من حقه أن يلعب ٠

وانطقت الدهشة الطاغية ألسنتنا جميعا بنفس السؤال :

ـ الطفل ؟ وهل أنت طفل ؟

ـ نعم ، أنا طفل لأنكم جميعا أطفال ٠

لست أعرف شعور زملائى عند ذلك ، لكنى استطعت أن أعى ما كان يريد أن يقوله (أخبرنا) كان يريد أن يقول : انه على الرغم من أن القرن العشرين يوشك أن ينتهى ٠٠ فان الانسان لا يعرف الا القليل بالنسبة لما يجهله ، وان الجاذبية تحتضن هذا الكون كله ، وان ذلك الذى نحس بوجوده في كل لحظة لا يزال سرا غامضا ، واننا بهذا المقياس أطفال ٠

أصبحت مشكلتنا عند ذلك هى كيف نتصرف مع (أخبرنا) بعد أن أصبح له عقله الخاص ، من الأفضل أن نسأله ، وسألته :

ـ هل انتهيت من اللعب ؟

ـ نعم ، لقد كبرت ٠

ـ وماذا ستفعل الآن ؟

ـ سأفكر ٠

ـ هل ستبقى هنا ؟ أم تأتى معنا ؟

ـ سأذهب معكم ٠

ـ أشكرك ٠

وحملناه على طريق العودة ، وفى دار الضيافة اتفقنا على أنه لم يعد ممكنا أن نحتفظ بالجهاز فى المعهد ، فلابد أن يكون تحت مراقبتنا طول الوقت ، كما أنه لم يعد من الحكمة أن نعقد اجتماعات عامة لاختباره ٠

وتمسك ماتسو بالأسلوب الذى اقترحه للعمل ، كانت هناك كرتان للتجارب صنعتا قبل صنع (أخبرنا) اقترح ماتسو أن تحفظ احداهما بالمعهد فى مكان (أخبرنا) ثم يعلن أن (أخبرنا) قد أعيد الى مكانه ،

بينما يحفظ (أخبرنا) الحقيقى فى دار الضيافة ، حيث لا يوجد أحد سوانا نحن الأربعة ، ودار الضيافة مكونة من طابقين يحتويان على ست عشرة حجرة ، نحتل نحن أربعا منها ·· وتربط بيننا خطوط تليفونية جيدة ·

بعد ساعات قليلة أرسل ماتسو الى حجرتى صندوقا زجاجيا ، وضعنا فيه (أخبرنا) محاطا بفراش وثير من القطن ، وقد لاحظنا بعد تنظيف (أخبرنا) من الغبار ، أن سطحه لم يكن ناعما كما كان من قبل ، ان البلاتين معدن شديد الصلابة ، ولذلك فانه رغم الدحرجات العديدة التى تدحرجها (أخبرنا) منذ الزلزال ، فانه لم يكن هناك مبرر علمى لكى يفقد سطحه ما فقده من النعومة واللمعان ، وقد سألت أخبرنا عن ذلك فأجاب بعد لحظات :

ـ لست أعرف ، انى أفكر ·

وجاء ماتسو الى حجرتى بعد الظهر ومعه مسجل من نوع خاص ، تتمثل خصوصيته فى أنه يبدأ التسجيل فى لحظة انطلاق الصوت ·· ويتوقف لحظة أن يتوقف الصوت ، وضع ماتسو المسجل أمام (أخبرنا) وقد سيطر على قسماته اليأس ، لم تعد أستاذيته فى الالكترونيات شيئا مفيدا له فى ذلك الموقف ، عرض ماتسو أن يفكك الجهاز الى أجزائه الأساسية لكى يختبر كلا منها على حدة ، لكننى أثنيته عن ذلك قائلا :

ـ مهما يكن الخطأ الذى حدث داخل الجهاز ·· فان المهم الآن هو ألا نتدخل ، ان الانسان قادر على صنع الآلة ، وسيفعل ذلك كثيرا فى المستقبل ، ولكن ·· ليست هناك مهارة بشرية تستطيع أن تصنع جهازا مثل (أخبرنا) كما هو الآن ، كل ما علينا اذن هو أن نراقبه ونجرى معه مزيدا من الحوار ·

وفى المساء كنا نحن الأربعة جالسين فى حجرتى نتناول القهوة ، عندما سمعنا صوتا آتيا من الصندوق الزجاجى ، صوتا معروفا ، حادا كالصغير ، ولكن !! لم يكن أحد قد نطق باسم (أخبرنا) لكى يبدأ فى العمل !! لقد أصبح مؤكدا أنه صار قادرا على تنشيط نفسه بنفسه لكى يبدأ العمل !! خطوت نحو الصندوق وسألت :

ـ هلّ قلت شيئا ؟!

أجاب أخبرنا على الفور :

ـ أصبحت الآن أعرف ، انه السن ·

اذن فقد وجد (أخبرنا) جوابا لسؤالى الذى وجهته اليه فى

الصباح ، ان خشونة سطحه هى مظهر من مظاهر الشيخوخة ، سألته :

ــ هل أصبحت عجوزا ؟

ــ لا ، انى الآن فى مرحلة الشباب ٠

كان سلوك وينجفيلد غريبا ، فعندما اقترح ماتسو تفكيك الجهاز كان وينجفيلد هو الوحيد الذى أيد الاقتراح وتعجل تنفيذه ، بحجة أن (أخبرنا) لم يعد يخدم الغرض الذى أنشىء من أجله ، وكلما كان يتأكد أن أخبرنا بدأ يعتمد على نفسه كان يصـاب بالقلق ، انى أعترف بأن سلوك (أخبرنا) الآن غير طبيعى ٠٠ ولكن لماذا يتصرف عالم كبير مثل وينجفيلد هذا التصرف ؟! والحقيقة أن (أخبرنا) قد قفز اليوم قفزة غير سارة ، فخلال الدقيقة التى تحدث فيها الى ، كان وينجفيلد قد ترك مقعده وأسرع الينا ليسأل الجهاز :

ــ ما المعارك التى كسبها نابليون ؟

وجاءه الجواب مثل لسعة سوط مفاجئة :

ــ أن تريد أن تعرف ما تعرفه من قبل ، فهذا مظهـر من مظاهر البلاهة ٠

لا أستطيع أن أصف وقع هذه الاجابة على وينجفيلد ، لكن الكلمات التى نطق بها بعد ذلك ٠٠ كانت تدل على أنه صار مساعدا صغيرا يخاطب أستاذه العالم الكبير ، وللحق فان الخطأ كان خطأ وينجفيلد ، وقد أخطأ قبل ذلك بعناده فى رفضه لاقامة (أخبرنا) معنا فى دار الضيافة ، لكن أكثر الأمور غرابة كان رد (أخبرنا) على دهشة وينجفيلد من وصفه بالبلاهة ، فقد فاجأنا بعد ذلك بقوله :

ــ وينجفيلد !! انى أحذرك ٠

ولم يعد وينجفيلد قادرا على البقاء معنا فى الحجرة ، فانصرف مسرعا غاضبا ، صافقا البـــاب من خلفه عى عنف متـــوتر ، وبقى معى كينسلى وكوتنا ، عبر كينسلى عن اعتقاده بأن وينجفيلد حالة (سيكوباتية) ، وبأنه كان عليه أن يرفض الدعوة أصلا للحضور الى اليابان ٠٠ خاصة وأنه لم يقدم لزملائه معونة تذكر ، وأضاف كينسلى قائلا :

ــ لو كان ميريفيل حيا حتى الآن لاختلفت الأمور كثيرا !!

وتناولنـــا الغذاء فى حجرتى ، لم يتكلم أحـــد منا ، وكذلك فعل

(أخبرنا) ، وقد لاحظنا جميعا أن سطح الكرة يزداد خشـونة بمرور الوقت .

وبعد ان انصرف زميلاى أغلقت الباب وجلست على السرير ، وفجأة انطلق صوت (أخبرنا) وبدأ المسجل فى العمل ، نهضت متجها نحو الصندوق الزجاجى ، لم يكن صوت (أخبرنا) عاليا هذه المرة ، بل انطلق هادئا مهيبا وجليلا يسألنى :

– هل أنت ذاهب لتنام ؟

– ولماذا تسأل ؟

– هل تحلم وأنت نائم ؟

– أحيانا ، مثل كل البشر !!

– لماذا تنام ؟ ولماذا تحلم ؟

– السبب ليس واضحا حتى الآن ، لكن لدينـا نظرية عن النوم تقول : لقد تعود الانسان البدائى على الصيد والقنص طوال النهار لكى يحصل على طعامه .. ثم الجلوس فى ظلمة كهفه حتى يأخذه النوم ، وكان ضوء النهار يوقظه من النوم ، ربما نكون ورثة لهذا السلوك البدائى حتى الآن !!

وعـاد (أخبرنا) يسألنى :

– والأحلام ؟

– لست أعرف ، ولا أحد غيرى يعرف .

– أنا أعرف .

– هل تعرف ؟!

– أعرف الكثير ، أعرف كيف تعمل الذاكرة ، وأعرف سر الجاذبية ، ومتى ظهر الانسان لأول مرة على الأرض ، وأعرف الكثير عن ميلاد هذا الكون .

كنت أرقب (أخبرنا) وأنا فى غاية التوتر ، وكان المسجل يعمل ، ترى !! هل كان أخبرنا على وشك أن يبوح بكل الأسرار ؟! انه لم يفعل ، توقف قليلا ثم أضاف :

– لقد وجد الانسان اجابات لأسئلة عديدة ، وسيجد يوما تفسيرا للنوم وللأحلام ، لكن ليس الآن ، فالطريق ليس سهلا بعد .

وبعد فترة صمت أخرى عاد يقول :

- لكن هناك شيئا واحدا لن يعرف الانسان سره الى الأبد ، وأنا أيضا لا أعرف سره حتى الآن ، لكنى سأعرف ، فأنا آلة ولست انسانا .

- عن ماذا تتحدث ؟!

لكن (أخبرنا) لاذ بالصمت ، فتوقف المسجل ، وبعد دقيقة عاد المسجل الى العمل ليسجل آخر كلمتين قالهما (أخبرنا) :

- ليلة سعيدة .

(١٨ مارس) .

أكتب هذه المرة في المستشفى ، أشعر الآن بتحسن ، يقولون انهم سيخرجوننى من هنا بعد الظهر ، ليس لدى فكرة عما ينتظرنى من أحداث ، وأعترف الآن بأننى أخطأت عندما لم أعمل بنصيحة (أخبرنا) ، أمس الأول كنت قد ذهبت الى الفراش بعد أن قلت له (تصبح على خير) ، واستغرقت في النوم بعد دقائق ، أنا عادة أنام نوما خفيفا وأصحو عند سماع أى صوت ، لذلك عندما رن التليفون فى تلك الليلة نهضت فورا ، كانت ساعة الحائط تشير الى الثانية والنصف وثلاث دقائق ، وكان وينجفيلد على التليفون يقول :

- شانكو !! لقد نفدت حبوبى المنومة ، هل يمكنك أن تساعدنى ؟

قلت له اننى سأذهب اليه بالحبوب بعد دقيقة واحدة ، فأجابنى بأنه سيأتى هو ليأخذها .

أخرجت علبة الحبوب من حقيبتى ، دق جرس الباب ، وعلى الفور سمعت صوت (أخبرنا) يحذرنى :

- لا تفتح الباب .

فزعت ، سألته :

لماذا لا أفتح الباب ؟

لأن وينجفيلد شرير .

ما هذا الكلام يا (أخبرنا) ؟!

ودق جرس الباب مرة أخرى ، وتبعه صوت وينجفيلد قلقا :

- هل استغرقت فى النوم يا شانكو ؟ لقد أتيت من أجل الحبوب المنومة !!

كان (أخبرنا) قد حذرني وأغرق في الصمت ، وجدت نفسي في ورطة ، بأية حجة لا أفتح الباب ؟!

وكيف أستطيع أن أبرر هـذا السلوك ؟ وماذا لو كان تحذير (أخبرنا) على غير أساس ؟! وفتحت الباب ، في لحظة تلقيت ضربة قوية في رأسي ورحت في غيبوبة ، وعندما استعدت وعيي وجدت نفسي في المستشفى والعلماء الثلاثة من حولي يحكون لي ما حدث هكذا : بعد أن فقدت الوعي ·· قذف بي وينجفيلد الى خارج الحجرة ، ثم قام بتفكيك (أخبرنا) ، وأخذ نصفي الكرة البلاتينية الى غرفته حيث وضعهما في حقيبته ، وعند الفجر هبط الدرج الى مدير الدار ، طالبا منه أن يعد له عربة تحمله الى المطار ، وعندما استولت الريبة على الشيال بسبب ثقل الحقيبة ·· أبلغ رجل الشرطة الواقف ببوابة الدار ، اعترض الشرطي طريق وينجفيلد الذي تهور وسحب مسدسه ، لكنه لم يسحبه بالسرعة الكافية ، وهو الآن محبوس باتهامات عديدة منها قتل زميلنا ميريفيل الأستاذ بمعهد (ماساكوسيتي) ·

كان وينجفيلد يخشى من أن (أخبرنا) بقدراته الخارقة يمكن أن يكشف عن حقيقته المفجعة ، لذلك كان قلقا يتعجل تفكيك الجهاز والهرب بالكرة ، آملا أن يتصرف فيها على طريق المطار ·

بعد أن استمعت الى الرواية الغريبة سألت :

وأين (أخبرنا) الآن ؟

أجاب ماتسو :

ــ أعيد ثانية الى المعهد ، لم يكن يمكن الحفاظ على سلامته طويلا في دار الضيافة ، وهو الآن فوق قاعدته الشفافة بعد أن أعدت تركيبه كما كان ·

ــ هل قال شيئا منذ أعدت تركيبه ؟

ــ طلب أن يراك ·

لم أستطع أن أتمالك نفسي أكثر من ذلك ، فليذهب الألم الذي في رأسي الى الجحيم ، كان علي أن أسرع الى المعهد ، سألني كوتنا :

هل تقوى على الذهاب ؟

ــ بالتـــأكيد ·

وبعد نصف ساعة كنا في غرفة (أخبرنا) الأنيقة ، كان جالسا على عرشه فوق القاعدة الشفافة المقعرة ·· يستحم في عمود الضوء الذي

يخترق اليه السقف ، واستطعت أن أرى شقوقا منتشرة على سطحه ، لكنه أعفى من الأسئلة طيلة الأيام الأربعة الماضية !!! فما الذى جعله يتقدم هكذا فى العمر ؟!

تقدمت نحوه ، اقتربت ، وقبل أن أقول شيئا سمعت صوته الهادىء الجليل يقول :

ـ لقد جئت فى الوقت المناسب ، بعد ثلاث دقائق ونصف سيقع زلزال ، مجرد هزة أرضية متوسطة لن تحدث أضرارا ، وعندما تنتهى تلك الهزة الأرضية ، سوف أعرف جواب سؤالى الأخير ٠

لم أكن أملك الا أن أحبس أنفاسي وأنتظر ، كانت الساعة الكهربية معلقة على ارتفاع بضعة أقدام ، وعقرب الثوانى يتحرك على صفحتها بانتظام وثبات ، دقيقة ، ٠٠٠٠ دقيقتان ، ٠٠٠٠ ثلاث دقائق ، ٠٠٠٠ وفى ذهول رحنا نرقب البريق الذى بدأ يغمر (أخبرنا) ، بينما أخذت الشقوق تتسع ، وتغير لون الكرة سريعا فتحول البلاتين الى ذهب ٠٠٠٠ !!

خمس عشرة ثانية ، ٠٠٠ عشرون ثانية ، ٠٠٠ خمس وعشرون ثانية ، ٠٠٠ وعند الضربة التى تشير الى الثانية الثلاثين تماما ، اهتزت الأرض تحت أقدامنا ، وفى نفس اللحظة انفجرت الكرة الى زحام من الشظايا تناثرت على الأرض ، ومن خلال حطامها سمعنا صوتا عاليا مفزعا يهتف :

ـ أنا أعرف ما بعد الموت ٠

الضوء فوق البحيرة

بقلم : شامان · ناهاى

كان الرجل المسن قد أتى الى (سريناجار) للراحة والاستجمام ، كان كل شيء في حياته خشنا ومرهقا ، زواجه ، تربية أولاده ، عمله ، لم ينته أى شيء من هذا كما أراد له أن ينتهى ، لقد صنع لنفسه شهرة لا بأس بها كرسام ·· فاوحاته غزت كثيرا من المعارض والبيوت ، ولجان التخطيط للفنون لم تنس ان تستعين بخبرته ، ولكن !! من ذا الذى يهتم اليوم بالسمعة الطيبة ؟ أو بأى نوع آخر من السمعة ؟ هل هو الآن راض عن الحياة التى عاشها ؟ هل كانت حياة طيبة ؟ ان الحياة الطيبة هى تلك التى تشعرك بالرضا ، هل كان راضيا عن السنين التى ولت ؟ أم كانت تلك السنون كومة متراكمة مهملة من الذكريات ؟!

لقد جاء الى هنا وحده ، استأجر كوخا فى (هازراتبال) يطل على بحيرة (دال) ، وفى الصباح الباكر قام بجولة لا تزيد عن ميل واحد على قدميه حول البحيرة ، كان ــ بعدد السنين ــ عجوزا ، لكن جسده محتفظ بنشاطه وبإرادة الشباب ، كثيرا ما كان يلهث أثناء جريه على شاطيء البحيرة ، يظن انه سيسقط وينهار ، أو يصاب بنوبة قلبية ، لكنه كان يطرد هذه الخواطر الثقيلة جانبا ويواصل الجرى ، انه أفضل لك أن تسقط لاهثا وتموت ، من أن تموت موتا بطيئا ، لم تكن تلك الخواطر تلازمه سوى لحظات خاطفة ، لم تكن الا اشفاقا منه على نفسه ، أو حسرة طارئة تشعل فى نفسه الغضب ·

كان فى أحسن حالاته الصحية ، ظل دمه يتدفق فى عروقه كأنه شاب حديث التخرج ، وفى كل انحناءة مع جسر البحيرة كان يحلم بمشهد مثير أو معجزة تحطم ركود الحياة ·· حتى لو تمخض حلمه عن جنى أو شبح ·

كان كوخه يقع على حدود حديقة (ناسيم باج) التى تحيط بها الأشجار ، البعض يقولون ان هناك تسعمائة شجرة من أشجار « الشينار »

فى تلك الحديقة ، وان الذى غرس هذه الأشجار هو السلطان أكبر ، أوجاهانجير ، أو لعله شاه جاهان ، افتتن الرجل بهـذه الروايات فقد جعلته يحس بأنه يواكب تاريخ الهند القديم ، وكانت هناك أشجار أخرى فى الوادى ، صنوبر وكافور وغيرهما كثير ، لكن أشجار « الشينار » هى التى كانت بالغة الفتنة والشموخ ٠

نظر الى تلك الأشجار ، كانت ضخمة ومتقاربة ، ذات جذوع ثقيلة وأغصان عريضة ذات أوراق تشبه أوراق شجر القبقب ماعدا تلك التى كانت أكبر قليلا ، كانت أوراقا طرية رقيقة الملمس ، بكل منها خمس ثنيات تشبه أصابع اليد ، وبسحر العادة أراد الرجل أن يستخدم احدى تلك الأوراق كلوحة صغيرة يرسم عليها شيئا ، لكن لونها الأخضر الفاتن جعله يتردد ، لا ، لم يعد لديه بقية من حب لأى لون من ألوان العالم ، كل الألوان فتسلت فى أن تطفىء الحريق الذى ظل مشتعلا حتى التهمه تماما ، اطلالات الفجر ، وداعات الغروب ، قوس قزح يعبر السماء الواسعة ، الحقول المثقلة بالمحاصيل ، النساء الطازجات المستحمات فى النهر بجاودهن الذهبية ، الطيور والوحوش بألوانها المعربدة ، كل هذه قد رسمها بألوانها وأطيافها وظلالها ، دون أن يحس بالرضا ، الخضرة ، لون الحشائش ، الأرض التى نما فى حضنها ، والتى سوف يعود اليها يوما بلا حراك ، كل شىء يبعث على الاستخفاف !! كم بحث عن ألوان أخرى ، لكن كل البقاع أقفرت الا من هذه الألوان !! وحتى خياله لم يعد يستطيع أن يخلق لونا واحدا جديدا من كل صبغات الأرض ، لم يعد يبتكر أو يخترع !! ترى !! هل يعنى هذا انه انتهى كفنان ؟! أين يجب أن يوجد الفنـان عندما تهجره طاقة الابداع ؟! هل يظل مستحقا لأن يحيا ؟!

لكنه استطاع أن يطوح بهذه الفكرة السوداء بعيـدا ويستمر فى الجرى والاهتزاز حتى بلغ موقع (المعدية) الى (هازراتبال) ٠

جرى نحو سرداب الشيخ عبد الله ٠٠ لكنه عاد فاستخدم الطريق الرئيسية نحو مدينـة (تالبال) وهى الطريق التى تحاذى البحيرة الى يساره ، انه لم يأت الى هنا ليستريح ، بل جاء لنفس الهدف المعذب ، ليطعم خياله المقفر بزاد جديد ٠

ــ هل هناك أية أشباح فى (ناسيم باج) يا عبد الله ؟

هكذا سأل الطباخ الذى يعد له الطعام فى الكوخ ٠ .

ــ أشباح ؟ نعم يا سيدى !! ان (ناسيم باج) مسكونة بالأشباح !! ان هناك شبحا فى كل شجرة يا سيدى ٠

نظر الرجل الى عبد الله ، الى لحيته الأنيقة السمراء التى فرشت ظلالها على وجهه الأبيض القرمزى مثل كل أهل كشمير ، لكن عبد الله كان بالغ الوسامة ، طويلا ممتلئا متواضعا وذا أسنان لامعة دقيقة ، هل يحاول عبد الله الطيب أن يخيفه !!

انفجر الرجل يقهقه وهو يقول :

ـ لكننى قضيت هنا أسبوعا كاملا ولم أر أشباحا !!

ـ ولا أنا يا سيدى .

ثم شبك يديه خلف ظهره واستطرد :

ـ لقد عملت هنا أكثر من عامين كطباخ ، ان هذا يا سيدى يعتمد على ...

ـ يعتمد على ماذا ؟

ـ على ما اذا كانت الأشباح ترغب فى أن ترى أم لا ..

ـ كيف هذا يا عبد الله ؟! ان الأشباح دائما تحب أن ترى .

ـ ولكن يا سيدى .. نحن نتحكم فى حياتنا ، وهى أيضا تتحكم فى حياتها ، فلو كانت الأشباح سعيدة فيما بينها .. فلماذا تهجر عالمها وتأتى لتضايقنا ؟!

ضحك الرجل كثيرا ، بينما ظل عبد الله جامد النظرات .

ـ وهل هذا الكوخ أيضا مسكون بالأشباح ؟

ـ لست أدرى يا سيدى .

***

وبالغريزة تفحص الرجل الغرفة التى يقفان فيها ، كانت غرفة للمعيشة والطعام ، بمنضدة صغيرة وقليل من المقاعد ، وبجوارها مباشرة غرفة المطبخ ، ثم غرفة النوم بحمام محشور فى أحد الأركان .

سأل الرجل وهو يخفى وجهه عن عبد الله :

ـ وعلى فرض وجود العفاريت ، فان الحجرتين أكثر أمنا للنوم ؟ ..

ولاحظ عبد الله ان الرجل يضحك فأجاب :

ـ ان الأمر لا يتطلب الضحك يا سيدى ، ولو كان هناك مكان واحد .

تردد فى الحديث قليلا ثم استطرد ..

ــ مكان واحد يجد الناس فيه سعادة عجيبة ..

ــ أين يا عبد الله ؟

ــ فى (تشار شبنارى) يا سيدى !! فى ظلال واحــدة من تلك المجموعة الرباعية من المنارات المكسوة بالزهور .

وأشار نحو النافذة ، سار الرجل على أطراف أصــابعه .. كمن يخشى أن يفقد سرا يوشك أن ينكشف ، نظر الى خارج النافذة نحو ذلك الجزء من بحيرة (دال) والمشهور هناك باسم (بودال) فرأى الجبال الثلاثة العالية التى تنحدر نحو مياه البحيرة ، كان الوقت نحو الثامنة صباحا ، الشمس ساطعــة ، وسـحابة بخار معلقة فوق سـطح المياه البنفسجية ، وفى وسط البخار الشفاف رأى الرجل الجزيرة التى يشير اليها عبد الله بأصــبعه ، لقد رأى هــذه الجزيرة منذ أول يوم له فى (سريناجار) ، ولقد ذكرته بالقرط البديع الذى يتدلى من أنف المرأة الجميلة ، فالجزيرة أيضا قرط بديع يزين البحيرة الفاتنة ، لكنه لم ينتبه من قبل الى أنها جزيرة مربعة تماما ، وهناك أربع مجموعات من المنارات عند كل ركن من أركانها ، منتصبة هناك كالمآذن ، ومعطية للجزيرة اسمها المميز ، وكان هناك أيضا مبنى عند طرف الجزيرة الأيسر ، وبجواره ثلاث مظلات حجرية ، تصلح لأن يجلس تحتها ثلاثة أزواج من العشاق ، ثم هناك خضرة بملء المكان ، وشجيرات ونباتات بلا عدد ..

ظل الرجل يتفحص الجزيرة قبل أن يستدير الى عبد الله متسائلا :

ــ وهل هناك أشباح على هذه الجزيرة أيضا ؟

أجاب عبد الله متجهما :

ــ أنا سعيدة الحظ يا سيدى أنى لم أر شيئا ، لكن آخرين كثيرين قد رأوا هناك ضوءا يشق ظلام الليل .

ــ وماذا أيضا ؟

ــ لا أعرف يا سيدى ، لا أحد قد ذهب الى هناك ليرى أكثر من هذا ، لكن الكثيرين رأوا الضــوء ، الكل يعرف أن الجزيرة مسكونة ، ولقد سمع الناس أصواتا آتية من هناك ، ان هناك يا سيدى حكايات كثيرة ...

وتوقف عبد الله عن الحديث قليلا ثم قال :

ـ هل أذهب الى السوق يا سيدى ؟ ماذا تريد أن أطبخ لك اليوم ؟ هل أعد لك (السخنى) ؟

***

كان الرجل يجيد التجديف ، وقد أحب تلك القوارب الكشميرية التى يسمى الواحد منها بلغة كشمير (شيكارا) ، أحبها لسبب غامض يتأرجح بين حبه للحياة وحبه للموت ، لكن تلك (الشيكارات) ـ أيا كان السبب ـ استولت على عقله وهى تنطلق عبر البحيرة ٠٠ زوارق مستطيلة ضيقة متناثرة ، تظل مقدماتها مرتفعة فوق الماء بوصات قليلة ، تتحرك تحركا كاذبا من الجانب الذى يجلس فوقه ، توشك الشيكارا وهى تغير اتجاهها أن تنقلب وتنكفىء فى الماء ، لكنها تنحنى وتتقوس وتنطلق ثانية كالسهم ، واثقة الانطلاق فى الاتجاه الذى يريده قائدها ، أن تلك الزوارق الواسعة الثقيلة ، التى تعود أن يجدف بها طيلة عشرات السنين فى مياه ولايته البعيدة ٠٠ كانت أكثر أناقة ورحابة من هذه الشيكارا ، لكنها كانت تتغلب على الرياح بصعوبة لتتقدم الى الأمام !! لكنه ما أن يجلس عند مؤخرة هذه الشيكارا ، ويشق العامل بمجدافيه الماء وثعابين السمك والحيات ، حتى تندفع الشيكارا فى نعومة وسهولة الى الأمام ، بينما مقدمتها ترتفع وتغوص تباعا ، فى زهو ورشاقة ، مثل قبرة فرحة تحوم فى الفضاء ٠

***

رافق عبد الله الى السوق ، واستمتع بمساومة عبد الله العنيدة لاستئجار شيكارا ، وأخيرا قال له :

ـ دعنى أستأجرها دون معونتك يا عبد الله ، ثم انى أريد أن استأجرها بلا عامل التجديف ٠٠

ـ لماذا يا سيدى ؟

ـ لأنى أريد أن أتنزه بها وحدى فى البحيرة ٠

ـ سوف يغشونك يا سيدى !! انك لا تعرف لغتهم ولا سلوكهم !!

ـ حسنا ، ولكني أريدهم أن يغشونى ٠٠٠

هرش عبد الله رأسه وقال :

ـ في هذه الحالة ، لن تسألني ثانية أن أساوم فى أسعار الطعام ؟

ـ على الاطلاق ، أنا دائما كنت أغش خلسة ـ لكننى اليوم أحب أن أسرق جهرا ٠

كان عبد الله يتخابث ليحير الرجل ، ضربه الرجل ضربة رقيقة على كتفه وابتسم ٠٠

***

لم تكن الجزيرة أفضل مما بدت له من بعيد ، انه يراها الآن مثل هدية خرساء أهديت الى أحد الملوك ٠٠ ومحافظة على جمالهـا الوحشى الصامت بعد أن حولها الملك الى ملجأ شبه مهجور ، كان البنـاء الذى هناك ـ فى عيون أهل المدينة ـ محاولة باهاء لاقامة مطعم فخم على هذه الصورة هناك ، معتنى به كل هذه العناية من أجل عيون الخلاء والتأملات ، ان تقديم الشاى والوجبات الخفيفة فقط لا يتناغم مع هذا البناء العتيق المعقد ، ولا مع المظلات والحواجز الحجرية التى تحيط بالجزيرة ، ولا مع الحديقة المنسقة ذات النافورة ٠ ان قوالب الطوب التى استخدمت فى هذا البناء أصغر مما يمكن أن يتخيله انسان ، محمرة شاحبة ، ومتماسكة مع بعضها بالملاط ، وهناك مشروع تخطيط قديم بالطوب اللبن لحديقة زهور ، بينما نوافذ المطعم مزججة لامعة ، أحس الرجل بسعادة غامضة لأن هذا المجهود كله وحيد فى الخلاء ، رأى الحجرات عارية والأثاث مهشما خلف أبواب مغلقة ، وتمنى لو أن اعصارا غاضبا هب فدمر كل ما هناك ، البناء والنافورة الصدئة ، والحديقة المهملة محزونة العشب والزهر ، لا بد أن السلطات المعنية بالجزيرة ترسل الى هنا بمن يفعل شيئا من وقت لآخر ، فى هذا الممر المزروع بين الحشائش والأدغال ٠

بحث الرجل عن قبور فى الجزيرة فلم يجد الا الصمت والخـلاء والرياح ٠

***

كانت الشيكارات الأخرى تحمـل السائحين من (هازرانبال) الى حدائق (نيشات) أو (شاليمار) ، ورغم أن هناك مرسى بالجزيرة فان أحدا لم يهتم بالتوقف فيه ، الى أن رأى شيكارا تتوقف ببعض السواح ، ظل عمال التجديف فوق سطح الشيكارا ، بينما هبط السائحون وراحوا يلتقطون لهم الصـــور ، ثم رست شيكارا أخرى باثنين من السائحين الأجانب ، قال أحدهما للرجل (هاللو) ، لكن الرجل نظر الى الجهة الأخرى ولم يجب ، فانصرف السائحان الى زورقهما واختفيا فى البحيرة ٠

راح الرجل يتجول في الجزيرة ، رأى طحالب نامية وسط وسائد الزهر بين فجوات الطوب اللبن ، وفجأة تغيرت نظرته الى الخضرة ، لم يعد يراها لونا بلا معنى ، وانتشر نبات الجنيات بأوراقه البنفسجية والزرقاء الزاهية على أسطح المظلات الحجرية ، خالقا من تلك المظلات قصورا خرافية للسعادة ٠

وجد الرجل نفسه ينادى :

ـ هل هناك أحد ؟!

وشعر بالأسى لأنه لم يسمع لصوته صدى ، فكر أن يعتلى احدى المظلات ويصرخ بملء رئتيه ، وفعل ، لكنه لم يتلق صدى من أى اتجاه ، وليس حوله همس ولا هسيس ، دار حول المنارات الأربع ، ومشى فوق قوالب الطوب المتناثرة ، وقريبا من النافورة نادى بصوت رقيق :

ـ هل هناك أحد ؟

لكنه أيضا لم يتلق جوابا ٠

***

جدف بقاربه متعبا نحو الطرف البعيد من البحيرة ، بمنطقتين من البحيرة كانت المياه فيهما مرهقة ضعيفة الجريان ، ونبات التبغ النامى فى البحيرة كان متعفنا ، لكن الهواء الجبلى الطازج ٠٠ كان يحمل رائحة العفن تباعا ويقذف بها فى المدى ، واستولت عليه الدهشة اذ لم تكن هناك رائحة فى جزء ثالث من البحيرة تتوسطه جزيرة صغيرة بأربع منارات أيضا ، منتصبة كالحراس الديدبان فى أركانها الأربعة ٠٠٠

واستوقف قاربا يحمل امرأة في زحام الحشائش ٠٠

سألها :

ـ هل هذه الجزيرة مسكونة أيضا ؟

كانت المرأة ذابلة فى مثل سنه ، قالت :

ـ مسكونة ؟ ماذا تعنى ؟

وفتحت فمها عن لثة مشوهة بلا أسنان ، قال الرجل :

ـ لا عليك ، لا يهم ٠

وأهملها ، أحس بملمس شريحة من النشوة ، هو على الأقل لديه أسنان ، وليس ذابلا مثلها ٠٠٠

وانتبه الى قــوارب الباعــة تقترب ، كان فى أولهــا رجــل يبيع السكاكين ، اقترب البائع بقاربه أكثر حتى تلامس القاربان ، كان القارب متجرا محملا بأنواع عديدة من السكاكين ، بعضها للنحت ، وبعضها كبير كالسيوف ، وأخرى دقيقة مدببة مثل الرماح ، وجلس البائع فى وسط قاربه كأنه مالك امبراطورية واسعة ، أمامه صندوق النقود ، وبجانبه دفاتر حســابات عــديدة مربوطة برباط أحمــر ، والى جانبه الآخــر (النارجيلة) ، متكئا بظهره على وسادة دسمة ، واحدى ساقيه تمتطى الأخرى ، بينما هناك شخص آخر يمسك بالمجداف تدل هيئته على أنه خادم لدى التاجر ٠

لم ترق للرجل بضاعة السكاكين التى راح يلوح له بها البائع حتى ضاعت توسلاته سدى ، انبسطت نصــال السكاكين تحت الشمس فى بهاء عظيم ، امتصت النصال أشعة الشمس ولم تعكسهــا ، ولم يلتفت الرجل كثيرا الى ألوانها البيضاء والوردية اللامعة ٠٠

أومأ البائع لخادمه فابتعد بهما القارب ، لكنه قبل أن يبتعد كثيرا سأل الرجل ساخرا :

ـ أين العامل الذى يقود لك القارب يا سيدى ؟ أم انك تحب توفير المال ؟!

ابتلع الرجل الاهانة فى هدوء ابتعادا عن المعارك الصغيرة ، وأجاب فى اقتضاب ٠

ـ نعم ، أحب توفير المال ٠

***

كان قارب التجارة الثانى يعرض أحجارا كريمة بكل الألوان أبهى من كل ما رأى الرجل من مجوهرات ، مجموعات الأحجار مرصوصة رأسيا مرة وأفقيا مرة أخرى ، لكن الرجل لم يطل اليها النظر ، فقد مل كل الألوان ٠

ووجد نفسه يسأل البائع .

ـ هل لديك حجر لا لون له ؟

ـ الماس ٠

وراح البائع يفض الرباط عن ربطة أحجار الماس ، لكنها بدت فى عينى الرجل مثل السكاكين ، رغم كل فتنتها فقد هز رأسه للبائع ٠

كان القارب الثالث يبيع أكلات خفيفة ، اشترى منها الرجل (سندوتشا) وزجاجة مياه غازية ، وسأل البائع مشيرا الى بعيد :

ـ ما هذا الذى هناك ؟

قال البائع :

ـ هذا ياسيدى (باريما هال) انه دير قديم للرهبان •

***

وهو يفكر فى باريما هال ، وفى أماكن العبادة فى الخلاء المهجور استسلم للنوم فوق سطح الشيكارا ، ظل القارب طافيا به حتى استيقظ من النوم ، وجد الوقت يقترب من المساء ، الشمس أوشكت على الاختفاء ، شمس أكتوبر ساطعة الصفاء المتباطئة الخادعة ، التى ترفض أن تطيل تدفئة الأرض ، بل تهجرها فجأة ، ملقية عليها بالسلام والعواصف والغبار •

وفيما تبقى من ضوء الشمس الهاربة ، اقتربت شيكارا بها طفلان والتصقت بقارب الرجل ، كانت شيكارا هزيلة فقيرة بالنسبة لغيرها ، مجرد سطح خشبى صغير بلا مظلة ولامهمات ، كان الطفلان ولدا وبنتا ما بين سن الثامنة والعاشرة ، كل منهما يرتدى جلبابا وشالا رخيصين ، وفوق رأس الولد طاقية ريفية رقيقة ، هما بالتأكيد فقيران مثل قاربهما الصغير ، لكن خدودهما كانت فى حمرة التفاح •

عرضت الطفلة على الرجل برعما من تلك البراعم التى تنمو بالآلاف فى نفس البحيرة ، ودون أن تقول شيئا بدأت الطفلة تنزع الأوراق الملتصقة بالبرعم حتى ظهرت من تحتها زهرة اللوتس ، وكرر الولد ايماءة العرض التى أومأت بها الطفلة ، عارضا على الرجل برعما آخر من براعم اللوتس •

كانت الزهرتان صفراوين ذابلتين بلون المساء ، لكن الرجل لم يمل النظر اليهما ، نسى ضيقه بالألوان ، ونسى كل شىء الا أن يراقب الطفلين ، كانا جميلين جمالا مذهلا ، وفقيرين فقرا مذهلا ، ترى هل هما فاقدا النطق والسمع ؟! قال بصوت خافت وعيناه مصوبتان الى شفاههما :

ـ من أين أتيتما بهذه الزهور ؟

ضحك كلاهما بفتور •• وقال الولد :

ـ من البحيرة •

وقالت الطفلة للولد بابتسامة معاتبة :

ــ ومن أين أيضــــا ؟

تلاحقت أنفاس الرجل ، وفى صمت تناول الزهرتين ، ومد يده بورقة ذات خمس روبيات . امتلأت عيون الطفلين بالدهشة ، قال الولد فى أسف وخوف :

ــ نحن لانملك الباقى .

قال الرجل :

ــ لست أريد باقيا ، احتفظ بالخمس روبيات .

شكره الولد بتحية من يده ، وفى لحظات كان الطفلان قد ابتعدا بقاربهما نحو سائح يركب قاربا آخر ، راقبهما الرجل باهتمام عميق ، كانت الطفلة تجلس عند مؤخرة القارب ، والطفل عنـد المقدمة الضيقة المدببة ، تولت الطفلة القيادة من الخلف ، دون التفات الى الوراء كانت تجدف مع الولد فى ألفة واتقان ، بخفة وثقة كانت الأذرع النحيلة الأربع تضرب بالمجاديف ماء البحيرة ، بينما الطفلان يتبادلان النصائح :

ــ أمسك المجداف بكلتا يديك .

ــ ادفع الماء بقوة الى الخلف .

ــ اتجهى بنا يسارا .

ــ والآن الى اليمين .

وعندما كانا يتبادلان المواقع ، كان كل منهما يسرع فى خفة فيأخذ مكان الآخر فى رتابة وهدوء ، وظل الرجل يرقب ضرباتهما المجدافيـــة الصغيرة ، ولون وجهيهما الذى يزداد بياضــــا ونصاعة كلمــا تزايدت برودة المســاء .

ووصل الرجل الى أكثر مناطق البحيرة ازدحاما ، حيث الزوارق المزينة بالزهور تميل عائدة بالأجـانب عشاق الخيال ، وببعض الهنود الغارقين أيضا فى الأوهام والرؤى ، وبدأ الرجل يقرأ الأسماء المكتوبة على جوانب الزوارق ، مثل « باكنجهام » ، « كوين اليزابيث » ، مع ما فى كل منهما من أخطاء الاملاء ، كانت كل الزوارق آنذاك محاصرة بقوارب البـــاعة .. والباعة يعرضــون بضــائعهم بكل ما أوتوا من نشاط واغراء بالمســــاومة .

وعندما كان الرجل يستقل عربة خاصة عائدا الى هازراتبال عبر شـــوارع سريناجار ، كان غارق التفكير فى الطفلين بائعى اللوتس ، بقاربهما العارى الفقير ، باحثا عنهما بخياله وسط البحيرة بين زحـــام القوارب •

***

ومرت ثلاثة أسابيع •• لم ير الرجـــل أى ضوء على الجزيرة ، واقترب موعد سفره من كشمير فانتابه القلق ، كيف يترك هذا المكان الملىء بالنشاط ويعود الى الحياة الخاملة ؟! انفجر بالتبرم فراح يتجول كل يوم ويمشى اضعاف ماكان يفعل •

قريبا منه كانت جامعة (سريناجار) ، طالما تجول فى هذه المنطقة من (ناسيم باج) التى تضم (كلية المقعدين) ، هكذا شاع اسم الكلية فى أنحاء كشمير ، هنـــا فى داخل أسوار الكليـــة يستضـــاف زوارها الأكاديميون ، لكنهم هذا الموسم جاءوا بأكثـــر من طاقة الاستضـــافة ، فأنزلوهم فى الثكنات المحيطة المقسمة الى غرف قبيحة ، لم يهتم الرجل بذلك المكان ومن فيه وأسرع الى بعيد •

وقعت عيناه على (كلية المقعدين) من بعيد ، وعلى الطلبة الشبان اليانعين الذين تصورهم غير راضين عن المكان ، بنظرة خاطفة اكتشف أنهم خبراء فى موضوعات منحرفة ، متأنقون مأفونون ، وجوههم مكسوة بتعبيرات غريبة متلألئة ، ذوو أحجام ضخمة • لكن حركتهم الفاترة كانت اشارة كافية الى رغباتهم ، سأل الرجل واحدا منهم كان يزحم الطريق :

ـــ هل أنت خبير ياسيدى ؟

كان هذا الواحد ثقيلا أصلع ، ومتأنقا مخنثا مثل رفاقه المتناثرين ، مضافا الى ذلك آثار الجدرى على ذقنه الرخوة ، أجاب وابتسامته اللينة تلتهم وجهه :

ـــ نعم ، أنا محاضر فى الكيمياء ، من مدينة بنارس •

تخلص الرجل من أدبه وفضوله ، كان يود أن يقول انه كان يظن أن بنارس المدينـــة المقدسة لدى الهندوس مشهورة بشيئين فقط ، المصلحين والمومسات ، لكنه لم يستطع أن يكون فظـــا الى هذا الحد ، وبينما ظل الخبير واقفا فى اختيال بتأنقه الشديد ، قال الرجل :

ـــ لم أكن أعرف أن فى بنارس كلية عظيمة للكيمياء •

استرد الخبير جرأته وقال :

ـ بل هى أعظم كلية للكيمياء فى الهند كلها ٠

خطا الرجل مقتربا من الخبير ، لكنه تردد وتقاعس عن الاقتراب ، لا فائدة الآن من صراع العقـل والمنطق ، كل سـهامه أصابها الكلل ، ولا سلاح من أسلحته عاد اليه بنصر أو فخار ، فى دهشة مفاجئة نظـر الرجل نحو الجزيرة ، أين الأشباح ؟ لماذا لم تظهر حتى الآن ؟ لقد ذرع (ناسيم باج) فى كل ساعات البرم ؟

فى ذلك المساء أمطرت السـماء مطرا خفيفا ، ومن الأوراق ذات الخمس أصابع صدر حفيف غريب ، مثل حفيف آلاف الأيدى التى تقوم بالتمثيل فوق رأسه تمثيلا صامتا ، وتساقطت قطرات الماء من الأشجار مثل حبات الثلج ، وتطايرت الأوراق المتساقطة عاليا مثل طائرات الأطفال ، ثم انقلبت متدهورة عائدة الى الأرض ، وبومات عديدة راحت تنعق بأصوات مبحوحة مثل أصوات الآلات الصدئة ، وتخيل الرجل أن الأشجار تتحدث الى بعضـها ، فقد كانت كل شـجرة تميـل على رفيقتهـا ، ثم تبتعد عنها عندما تسمع عواء الريح من بعيد ، داخله يقين فى ذلك المسـاء بأن تلك الطبيعة الخارقة على وشك أن تتسلم أمور العالم ، لكن شـيئا لم يحدث ، حتى بعد أن عاد الى كوخه مبتلا وذاهلا ومكتئبا ٠

كان تأثير تلك الأحداث غريبا عليه ، ما هذا الشوق المدمر الذى انتابه الى طبيعة خارقة ؟! لقد كان رجلا عمليا ، يسخر من مجرد ذكر ما وراء الطبيعة !! رغم أنه هندوسى فان أبويه لم يرغماه يوما على دخول المعبد ، ومع الأيام نسى تماما ماضيه مع الأساطير !! وحتى ذلك اليوم لم يكن قد لجأ الى أحد ليقرأ له الطالع ، ولا قدم كفه لمنجم ، ولا ارتدى حجابا ، ذات مـرة فقط فى احدى حالات سروره سمح لنفسه بارتداء حجاب يضم سنة نمر حول رقبته ، وكان مفروضا أن تطرد سنة النمر العين الشريرة ٠٠ لكنه لايتذكر عين من كان يريد ان يحمى نفسه منها !! كان المفروض أن يخفى الحجاب تحت قميصه ، لكنه بعد أن أخذ حماما نسيها تماما ، تذكر سنة النمر فقط بعد أن ارتدى كل ملابسه ، ومرة أو مرتين أعاد خلع ملابسه بعد الحمام ليعلق سنة النمر فى رقبته تحت القميص ٠٠ لكن المجهود كان شاقا فنبذ ارتداء الحجاب تماما ، ونبذ مراقبة سلوك العين الشريرة معه بعد ذلك ، لعل هذا هو السبب فى أن كل حياته كانت مرة المذاق !! ترى هل كان مخطئا فى انحيازه لمنطق العقـــل ؟!

كان قد وصله خطاب من زوجته منذ عدة أيام ، لكن الخطاب كان ما يزال مغلقا فوق مكتبه !! وخطاب آخر من ابنته لم يفتح أيضا !! وخطاب من ابنه المتزوج الذى لم يكتب اليه من قبل !!

نعم ، في هذه المرة أراد الرجل ان يواجه غير المعقول ، وأن يصافح السـحر !! تاق الى اجتياز الأبواب السرية ، حتى لو كان ثمن ذلك هو الهلاك !! بل انه اشتاق الى الهلاك في الطريق الى المجهول !! لكنه لم يتلق بعد أية أشارة تناديه الى هناك ..

توقف المطر .. لكن الماء ظل يتساقط على سطح الكوخ ، بعض المنـارات ، كانت أعلى من المبنى الذى هنـاك !! و .. واستمر حفيف أوراق الشجر ، وعواء الريح حتى انتهى من عشائه ، وانتهى عبد الله من رفع الأطباق وذهب لينام في المطبخ ، ولم يهتم الرجل بالنظر من النافذة فقد بدا ذلك في نظره بلا فائدة ، لكنه أخيرا استجاب لشوقه وعبر ببصره النافذة ......

أووه !! كان الضوء هناك فوق الجزيرة !! ضوءا ثابتا يتلألأ في المركز بين مجموعة المنارات الرباعية ؟!! نظر في ساعته ، كانت الحادية عشرة ، ازدادت ضربات قلبه وهو يجذب مزلاج الباب وينفلت جريا بلا صوت لكيلا يوقظ عبد الله ، اندفع على الطريق الدائرية عبر (ناسيم باج) الى المعدية ، وكان الطريق الى هناك غير ممهد بشكل طيب ، وفي بعض الأماكن لم يكن هناك طريق للسير على الاطلاق !! لكنه استمر مندفعا في الجرى عبر مآزق النكنات حول كلية المقعدين ، كان يخشى أن يقابل من يوقفه عن بلوغ الهدف رغم يقينه بأن أحدا لن يقابله ، من ممر صغير عند نهاية النكنات وجد طريقا ، انحدر عليها الى الباب الدوار لا يتسع الا لمرور شخص واحد ، عبره الى مكتب البريد حيث وجد بوابة تؤدى الى طريق (سريناجار) ، وبعد قليل واجه بوابة أخرى تؤدى الى الحديقة التى تضم ضريح الشيخ عبد الله والتى تجاور البحيرة ، دار حولها ، من لحظة لأخرى كان يمر بقوارب محطمة ترتفع بعض أجزائها فوق الماء ، ربما كانت ملكا للذين يأتون من القرى القريبة ليبيعوا بضاعتهم للسائحين !! كيف يمكن أن يستأجر قاربا في تلك الساعة الخرافية من الليل ؟! تمتم بالصلاة عندما رأى قاربا ملقى بجوار الضريح وعلى سطحه المجدافان ، كلفه انزال القارب الى الماء بعض الكدمات في يديه لكنه لم يهتم بها ، ولم يهتم بدقات قلبه المضطرب ، المهم الآن أن يتقدم بالقارب في مياه البحيرة ، ووجد نفسه يصلى مرة أخرى لكيلا يهتم أحد غيره بما هناك في الجزيرة .....

كان سطح البحيرة مثل لوحة فضية قهرها السكون ، وهناك قمر صغير جدا في السماء يذرف شعاعا خافتا ، بدت معه اللوحة الفضية أكثر اتساعا وعمقا ووحشة وكآبة ، أحس بجسده يتصبب عرقا تحت صفعات الريح ، لكنه استمر يضرب الماء بكل قوته ، لعله يصل الى هناك قبل أن يخفت

الضوء هناك أو يختفى ، أحس بالعرق يتزايد على ظهره وتحت ابطيه ، وبالبرد يتزايد أيضا ، كان يرتدى (بلوفر) وسروالا من (الجينز) ، لسنوات طويلة كان يستخدم نظارة للقراءة رغم أن عينية سليمتان ، طالما أغاظته صديقاته بقولهن ان كل جاذبيته فى جسده ، وفى هاتين العينين الواسعتين بما فى حدقتيهما من سواد جذاب ، وفى شعره الناعم الذى ورثه لأبنائه ، ان عينيه الآن تغطيهما سحابة من رذاذ النسمات الباردة ، لكن بريشاته الدائبة جعلت الجزيرة لا تغيب عن بصره ...

واقتربت به ضربات المجداف من المكان ، كان الضوء ما يزال هناك، يحتمل ان يكون هناك نار خلف النباتات والمنارات ، أصبح على بعد خمسين ياردة ، على بعد عشرين ، قاربه الصغير يصطدم بالشاطىء بصوت مكتوم ، وفى هدأة الليل كان الصوت المكتوم يشبه انفجارا ، خاف الرجل أن تفزع الأرواح ، لابد انها تكره المتطفلين فتختفى ، لم يكن يعرف تماما ماذا يتوقع أن يجد الآن فى الجزيرة ، للحظات عابرة طفت فى عقله صور الأشباح والعفاريت التى فكر فيها أو قرأ عنها : هل هى قبيحة أم جميلة ؟ طويلة أم قصيرة ؟ ذكور أم اناث ؟ ملوك أو أوغاد ؟ ملكات أم خادمات ؟ انه متأهب لأن يتقبلها على أية حالة ، تلك الكائنات غير الطبيعية الآتية من عالم آخر هى أمله الوحيد ، لكى يتجدد كانسان وكرسام ، ورمى بنفسه على أرض الجزيرة ساعيا الى المشهد الذى يدور هناك ، انه مستعد أن يلقى بنفسه فى داخل المشهد ، حتى لو تحول معه الى تراب مسحوق ملون بواسطة تلك القوى الغريبة ، طالما ناجى هذه الأشباح بريشته فى رقتها وفى صخبها !! لكن الأشباح التى يقترب من أضوائها كانت غريبة السكون، لم يسمع من حولها الا هسهسات نار متواصلة .

من خلف احدى مجموعات المنارات تطلع نحو النافورة ، لم يستطع أن يصدق ما رأى ، كانت هناك نار بالتأكيد ، نار صريحة قريبة جدا من قاعدة النافورة ، نار تشتد وترتفع بينما أوراق الشجر والأغصان تطقطق وهى تحترق ، وفى زحام النار المشوش المتراكم يكن هناك أرواح ، كان هناك طفلان صغيران ، نفس الطفلين اللذين باعاه زهرات اللوتس منذ أيام ، فى نفس ملابسهما الفقيرة ، لكنها كانت مبتلة ، وكانا يوحوحان من البرد ويبكيان ، اندفع الرجل اليهما على الفور ، استمع الى القصة على لسان الولد ، واستمرت الطفلة فى البكاء والوحوحة .

كانا يعيشان فى (تلبال) ، وتعودا ملاحقة قوارب السائحين فى الجزء النائى من البحيرة ، ساعتين كل يوم ، وفى طريق عودتهما اليوم الى تلبال فاجأهما المطر الثقيل ، وتعرض زورقهما لرشح الماء من ثقب لم يلاحظاه

من قبل ، وبدأ الزورق يغوص ، فقفزا منه الى الماء ، وبمشقة بالغة استطاعا أن يسبحا الى المنارة قبل أن يقعا فى شرك الأعشاب المتزاحمة فوق سطح البحيرة ·

***

خلع الرجل (البلوفر) ووضع الطفلين بداخله ، وراح يوسع فتحة (البلوفر) العليا حتى استطاع ان يخلق طريقا لرأسيهما تطلان منه ·

ـ كيف اشعلتما النار ؟

أجاب الولد :

ـ نحن دائما نحمل ثقابا فى علبة محكمة من الصاج ·

ـ والأغصان المبتلة ؟

ـ وجدنا أغصانا جافة فى خفاء المبانى ·

كان الطفلان يرتعدان بقسوة ، قربهما الرجل من النار واقترب معهما ، ثم ما لبث ان احتواهما بين صدره وذراعيه ·

ـ هل كان لديكما أمل فى النجاة ؟

قالت الطفلة بصوت باك نحيل ممطوط :

ـ لا يا سيدى ان الجزيرة مسكونة ·

ـ كيف عرفت هذا ؟

وراحا يحكيان له عن الضوء والأشباح سألهما :

ـ اذن كنتما خائفين ·

ـ كنا نشعرَ بالرعب ، وعندما رأيناك تقترب ظنناك واحدا من ··· منهم ·

وربت الرجل رأسيهما وقال :

ـ ليس هناك أشباح ، ان آخرين مثلكما كانت سفنهم تتحطم فيلجأون الى الجزيرة ، ويوقدون النار ويتكلمون لا تخافا مرة أخرى من الأشباح ، وسوف آخذكما الى البيت ·

كان الرجل يبكى فى صمت وهو يضرب الماء بالمجدافين نحو مرسى (هازراتبال) ، ومنها الى (تلبال) ..

هل كانت رحلته الى هنا ضلالا ؟! لا ، بل ان مجيئه الى (سريناجار) كان منة وعزاء ، كان فرحا داخليا غامرا ، انفعالا رائعا لم يكن يتخيل جماله ، ألم ير الطفلين يبكيان من الرعب ثم يضيئان شيئا فشيئا كما قال والداهما العجوزان ؟! وكما أحس عندما احتضنه الطفلان فى حب قبل أن ينصرف من بيتهما !!

كانت أسرة ريفية تسكن بيتا أفضل بكثير من خرائب دلهى وبومباى، بيتا مبنيا بالطوب الحجرى وبه غرفة خاصة للداشية والعلف ..

أعد له العجوزان الشاى الكشميرى اللذيذ من لوزات الشاى المسحوقة، همس الرجل الى نفسه :

(كيف أستطيع أن أصف هذه الفترة من حياتى ؟ هذه الأيام التى قضيتها فى كشمير والتى تقول : ان الحياة بأفراحها العابرة ، بكل ما فيها من براءة وطهر ومجد وجلال ، ليست باقية الا فى عنصر الحيـاة ، فى الانسـان) .

وهمست نفسه اليه :

(ولقد آمنت بذلك وفعلته طيلة حياتك ، فاستمر) .

ووجد نفسه يستخف بكل الأشياء الأخرى الزائلة ويقول لها « الى الجحيم » .

★ ★ ★

ماذا حدث بداخله فى تلك الأيام !! تقدم به العمر ؟ لكنه استطاع هنا ببساطة أن يتقبل هذه الحقيقة ، وأن يتقبل كل ما هو مر المذاق ، وألا يصارع من أجل اصطياد ألوان أخرى ، ان الألوان التى تعود أن يرسم بها تكفي ، ولسوف يجدد الرضا كل ألوان الحياة ..

« ليلة شتوية »

بقلم : برم تشاند PREM CHAND

– ١ –

قال هالكو Halkoo لزوجته :

– لقد جاء ساهنا Sahna هاتي ما لديك من نقود لكى أسدد له الدين ، لابد أن أتخلص من هذا الرجل •

كانت مونى Munni تكنس أرض الدار ، استدارت نحوه وقالت :

– لا يوجد سوى ثلاث روبيات ، اذا بددتها فكيف تشترى البطانية ؟ كيف ستحتمل ليالى هذا الشتاء القارسة ؟ قل له اننا سندفع له بعد الحصاد •

وقف هالكو يفكر لحظات ، لن أستطيع أن أنام فى الحقل بدون بطانية !! لكن ساهنا لن يقبل التأجيل !! وقد يشتم ويهدد ، حسنا سأتحمل اهاناته ، هذا أفضل من أن أتجمد في الحقل ، ولكن ساهنا لن يتحرك دون أن يأخذ حقه !! اقترب بجسده الضخم من زوجته وقال :

– أعطيه الثلاث روبيات يا مونى ، وسوف أبحث عن وسيلة أخرى للحصول على بطانية •

قالت مونى وهى تبتعد عنه مقطبة :

– قل لى ما هى هذه الوسيلة الأخرى ؟ هل هناك من سيهبك بطانية ؟ ان ديوننا عديدة ولن نستطيع سدادها الى الأبد ، انى أسألك لماذا لا تترك الزراعة ؟ عند الحصاد سوف يحاصرنا الدائنون ، هذه هى الزراعة ، كأننا نعمل طول العمر لتسديد الديون ، لو عملت أجيرا سوف تكسب قوتك وكفانا هما من الزراعة ، اني لن أعطي الروبيات لأحد •

ـ اذن سأتلقى منه الشتائم .

قالت مونى بغضب :

ـ ولماذا يشتم ؟ هل هو حاكم فى هذا البلد ؟!

قالت هذا وارتخت فى جبينها التوترات ، الحقيقة المختفية وراء حالة هالكو برزت أمامها مثل حيوان مفترس ، اتجهت نحو الرف .. عادت من هناك بالروبيات .. وضعتها فى كف هالكو وقالت :

بعد موسم الحصاد القادم عليك أن تهجر الزراعة ، لو عملت أجيرا فانك على الأقل ستجد رغيفا تأكله فى هدوء ، يجب ألا نعانى من تهديد الدائنين ، قل لى ما هذه الزراعة العجيبة ؟ تعمل وتكدح ثم لا تجنى الا التهديد ؟

سار هالكو بالنقود ، كأنما كان ذاهبا ليدفن قلبه ، لقد جمع هذه الروبيات من أجل البطانية ، جمعها من كسور الروبيات ومن كسور الكسور كلما باع شيئا من المحصول ، وها هو الآن يخسرها !! ومع كل خطوة تقدمها ليسدد الدين ، كان ظهره يزداد انحناء تحت وطأة الفقر .

ـ ٢ ـ

ليلة شتوية مظلمة ، حتى النجوم بدت كأنها تجمدت ، كان هالكو يرتعد من البرد وهو نائم عند رأس الحقل .. تحت سقيفة من عصى الغاب وأوراق القصب والخرق البالية ، والى جواره كان يرقد الكلب جابرا Jabra يعوى من البرد . وقد خبأ رأسه تحت صدره .. عاجزا مثل هالكو عن النوم .

ثنى هالكو ركبتيه الى أعلى حتى لامس بهما عنقه وقال :

ـ جابرا ؟ هل انت بردان ؟ اه ؟ قلت لك ابق فى الدار ونم على القش .. فلماذا أتيت ؟ ماذا كنت تتوقع أن تجد هنا ؟ ماذا يمكن أن أفعله من أجلك الآن ؟ ظننت أنى جئت الى هنا لألتهم الأطعمة الدسمة اللذيذة وحدى ؟ يمكنك الآن أن تبكى وتئن كما تشاء !!

حرك جابرا ذيله .. ثم رفع رأسه ليئن بصوت أعلى ، تثاءب ، انخفض صوته ، ربما لأن صوتا في داخله قال له : عيب أن تزعج بأنينك نوم سيدك ....

أخرج هالكو يديه من تحت الملاءة ، ربت بها ظهر جابرا وقال :

ــ من الغد ٠٠ لا تأت معى ، والا فسوف تموت من البرد من أين تأتى الرياح الغربية بكل هذا الصقيع ؟ الله وحده يعلم ، دعنى أنهض وأدخن مرة أخرى ، لقد أوشك الليل أن ينتهى ، دخنت حتى الآن ثمانى مرات ، هذه مكافأتى من الزراعة ، هناك آخرون محظوظون ٠٠٠ الشتاء يفر من مساكنهم خوفا من الدفء الذى يسببه حرارة الصيف ، لديهم أغطية ثقيلة ووسائد ، وسجاجيد فاخرة وبطاطين ، ليس للشتاء سلطان عليهم ، أية أدوار غريبة هذه التى يلعبها القدر ؟ حظنا يا جابرا أن نعمل ٠٠ وحظهم أن يستمتعوا ، ونهض هالكو ، نبش فى حفرة النار حتى عثر على جمرة صغيرة جهز بها غليونه الفخارى ، ونهض جابرا أيضا ، جذب هالكو نفسا من الدخان وقال :

ــ هل تدخن ؟ التدخين لا يحمى من البرد لكنه يقتل الوقت ٠

نظر اليه جابرا بعينين مليئتين بالحب ، قال هالكو :

ــ عليك أن تصبر الليلة على البرد ، غدا سأفرش لك فرشة من القش ، يمكنك أن تخبىء نفسك فيها من البرد ٠

رفع جابرا كفيه الأماميتين ووضعهما فوق مرفقى هالكو ، ثم قرب فكه الى وجهه ، شعر هالكو بدفء أنفاس جابرا ، انتهى من التدخين وعاد الى الرقاد لعله ينام ، بعد لحظات قليلة أحس بقلبه يرتجف ، تقلب على جنبيه لكن البرد كان يدق قلبه كشيطان ، وعندما لم يعد قادرا على احتمال البرد جذب اليه جابرا ببطء ٠٠ وأخذ رأسه فى حضنه ، انبعثت من الكلب رائحة كريهة لكنه وجد فى عناق الكلب شيئا من الراحة ٠ راحة لم يحس بها منذ شهور عديدة ، وربما أحس جابرا أن حضن هالكو هو الجنة ، ولم تشمئز روح هالكو النقية من رائحة الكلب ، بل انه يعانقه بنفس الشعور الذى عانق به من قبل أخا أو صديقا ، لم يحس بازدياد آلام الفقر الذى أوصله الى هذه الحال ٠٠ بل ان هذه الصداقة الغريبة بينه وبين كلبه تهون عليه الآن كثيرا من المعاناة ٠

وفجأة ، سمع جابرا صوت حيوان ما ، سحب رأسه من صدر هالكو وهب واقفا ، خرج من الكوخ يجرى وينبح ، نادى عليه هالكو وأعاد النداء ، لكن جابرا لم يعد ، راح يشق الحقل دون أن يتوقف عن النباح ، مرات عديدة كان يتوقف لحظة ثم يهم بالعودة ٠٠ لكنه سرعان ما يعاود الجرى والنباح ٠

- ٣ -

ومرت ساعة أخرى ، بدأ الليل يتلفف رياحه القارسة ويذروها فوق الحقول ، نهض هالكو لاصقا ركبتيه بصدره وملقيا برأسه فوقهما ، شيء غريب !! ان البرد لم ينقص !! دماؤه تجمدت وبدلا منها هناك جليد يتدافع في عروقه ، رفع رأسه نحو السماء ليرى كم بقى من الليل ، كان نجم الدب الأكبر ما يزال في منتصف الطريق ، عندما يصبح الدب الأكبر فوق رأسه تماما يطلع الصباح ، لا يزال الوقت طويلا حتى ينقشع هذا الليل !!

قريبا من حقل هالكو كانت هناك حديقة مانجو ، هناك أكوام من الأوراق الجافة تملأ أرض الحديقة ، فكر في أن يجمعها ويشعل فيها النار ليستدفيء ، لو شاهده أحد هناك سيظنه شبحا ، ويمكن أن يكون هناك حيوان أو كلب مفترس ، لكنه لم يعد قادرا على التحمل !!

اقتلع بضعة جذور جافة من الحقل المجاور ، أشعلها وحملها في يده كمصباح ، اتجه نحو حديقة المانجو ، رآه جابرا فأسرع نحوه من وسط الحقل وجاء يهز ذيله ، قال هالكو :

- البرد سيقتلني يا جابرا ، تعال معي نشعل نارا في هذه الأوراق ، وعندما نشعر بالدفء نسرع الى عشتنا وننام .

عبر جابرا عن موافقته بالنباح وسبق هالكو الى حديقة المانجو .

كان الظلام هناك ثقيلا ، والريح تعوى بين الأوراق ، وقطرات الندى تتساقط من الأشجار ، وفجأة هبت ريح محملة برائحة الحناء ، قال هالكو :

- ما أجمل رائحتها يا جابرا !! هل أنت أيضا تشمها ؟

كان جابرا قد عثر على قطعة من العظم وراح يقضمها ، وضع هالكو الجذور المشتعلة على الأرض وبدأ يجمع الأوراق الجافة ، في لحظات كان قد جمع كومة كبيرة ، البرد يوشك أن يشل يديه ، وقدماه الحافيتان فقدتا الاحساس تماما ، همس لنفسه : (على أن أحرق البرد في هذه النار حتى أحوله الى تراب) .

تحولت النار التي أشعلها الى حريق ثائر ، لامست النار أغصان الشجرة القريبة ، وامتدت ألسنة اللهب الى هنا وهناك ، بدت الأشجار الضخمة كأنها تحمل على رءوسها ظلمة الليل الواسعة ، وبدا الحريق مثل قارب صغير يتقلب فوق أمواج محيط من الظلام .

هالكو يستدفيء الآن أمام النار ، لحظات ولملم الملاءة من على جسده ووضعها الى جواره ، فرد ساقيه الى الأمام كأنه يتحدى البرد ، سأل جابرا :

ــ حسنا يا جابرا ، ألا تشعر الآن بالدفء ؟

نبح جابرا نباحا خافتا كأنما يقول :

ــ بل على ألا أشعر بالبرد الى الأبد ٠

قال هالــكو :

ــ اننا لو فكرنا في هذا العلاج من قبل ، لما تجمدنا هكذا من البرد هز جابرا ذيله موافقا ٠

ــ حسنا دعنا نقفز فوق النار ، فلنر من منا يستطيع أن يعبرها ، ولكن اسمع يا ولدى !! اذا أصبت بحروق فلن أحضر لك أدوية ٠

نظر جابرا بخوف الى النار الهائلة ، بينما أضاف هالكو :

ــ اياك أن تحكي عن هذا لموني ، والا فانها ستتشاجر معى !!

قال هذا وقفز فوق النار ، قفزة واحدة ووجد نفسه على الجانب الآخر ، لامست قدماه النار لكنه لم يهتم بذلك ، ودار جابرا حول النار حتى لحق بصاحبه ، قال هالكو :

ــ لا لا ، ليس هذا حسنا ، عليك أن تقفز فوق النار ، انظر !! هكذا ٠

وقفز هالكو فعبر النار مرة أخرى ٠

ــ ٤ ــ

احترقت الأوراق تماما ، وخيمت الظلمة ثانية على حديقة المانجو ، كانت هناك بعض جمرات خافتة تحت تراب الحريق ، عادت الريح تبعث فيها الحياة ، لكنها مالبثت أن أغمضت عيونها وانطفأت ٠

لف هالكو نفسه في الملاءة مرة أخرى ، واقترب أكثر من تراب الحريق وراح يدندن بأغنية قديمة ، كان جسده دافئا ، لكن البرد عاد يتكاثر حتى بدأ هالكو يرتعد ، بينما راح جابرا ينبح عاليا وهو يجرى نحو الحقل ، شعر هالكو كأن قطيعا من الأبقار اقتحم حقله ، أصوات

القطيع تصل الى أذنيه ، القطيع يرعى فى الحقل ، انه يسمع خوار البقر وصوت أسنانها وهى تمضغ النبات ، قال لنفسه (لا ، مادام جابرا هناك فلا حيوان يستطيع أن يدخل الحقل والا مزقه جابرا اربا ، انى !! انى مخطىء !! لقد خدعت ، انى لم أسمع أى شىء !!) .

ونادى بصوت عال :

ـ جابرا ؟ يا جابرا ؟

لكن جابرا استمر هناك ينبح ولم يعد .

عاد هالكو يسمع صوت القطيع يرعى ، هل يخدع نفسه ثانية ويقول انى لم أسمع أى شىء ؟ لكن . مستحيل أن يترك مكانه الدافىء ، بدت له فكرة مستخيلة أن يطارد القطيع فى هذا الصقيع ، ولم يتحرك .

جابرا هناك لا يزال ينبح ، والقطيع يلتهم المحصول الناضج ، ما كان أروعه من محصـــول !! لابد أن البقرات الشريرة قد أتت عليه الآن تماما !!

ونهض هالكو بعزم جديد ، خطا خطوتين ، لكن الريح لطمت وجهه وجسده لطمات قاسية البرودة فعاد الى النار الخامدة ، وراح يقلب فى رمادها بحثا عن بصيص من النار .

كان صوت جابرا قد بح من كثرة النباح ، بينما قطيع البقر قد استلقى مضطجعا فوق شجيرات الحقل ، وهالكو مستلق بجوار الرماد الدافىء فى هدوء ، عاجزا عن الحركة تماما ، كأن أطرافه مقيدة بالحبال ، الى أن لف نفسه بالملاءة واستغرق فى النوم .

عندما استيقظ فى الصباح ، كان ضوء الشمس الساطعة يغمر المكان، وكانت مونى واقفة الى جواره تقول :

ـ ألن تستيقظ اليوم ؟ تنام هنا والمحصول قد ضاع ؟

نهض هالكو يسألها :

ـ هل كنت فى الحقل الآن ؟

ـ نعم ، لقد دمر المحصول تماما ، لماذا تنام هنا ؟ ما فائدة الكوخ الذى فى حقلنا اذن ؟

قال هالكو فى صوت ضعيف :

ـ انك تفكرين فقط فى محصولك ، هل تعرفين أنى فى الليلة الماضية اقتربت من الموت ؟ كنت أعانى من مغص قاتل يا مونى ، لا أستطيع أن أصف لك ما كنت أعانى ·

وذهبا معا الى الحقل ، لم يعد هناك ما يستحق أن يحصد ، وجابرا منبطح كأنه ميت تحت سقيفة الغاب ·

تجولا بعيونهما فى الحقل ، كان الحـزن يكسو وجه مونى ، لكن هالكو بدا سعيدا ، قالت مونى كأنها تنتحب :

ـ والآن ، عليك أن تعمل أجيرا لتحصل على القوت !!

أجاب هالكو بفرح :

ـ نعم ، على الأقل لن أنام هنا ثانية فى البرد الكئيب ·

رائحـــة الكيروســـين

● بقلم : الأديبة : أمريتا · بريتام ●

خارج البيت صهلت فرســـة ، تعرفت (جوليرى) على الصهيل فهرولت الى الخارج ، كانت الفرسة من قرية أبويها ، وضعت رأسها على رقبة الفرسة وكأنها تسند رأسها على باب بيت أبيها ·

كان والدا (جوليرى) يعيشان فى تشامبا على بعد أميال قليلة من قرية زوجها الواقعة على أحد المرتفعـــات الجبلية ، والتى يربطها بقرية والديها طريق منحدر نحو الســفح ، يستطيع الناظر من قمته أن يرى تشامبا ، قرية كبيرة راقدة تحت أقدام المرتفعات عند نهاية المدى ، وكلما كان الحنين يستبد بالزوجة الصغيرة (جوليرى) الى موطنها القديم ، كانت تطلب من زوجها أن يصحبها الى مشارف الطريق المنحدر ، حيث تستطيع أن ترى بيوت (تشامبا) تتلألأ فى ضوء الغروب ، وتعود بعـد ذلك الى بيت زوجها وقد توهج قلبها بالزهو ·

مرة واحدة كل عام ، بعد موسم الحصـــاد ، كان يسمح للزوجة الصغيرة أن تقضى عدة أيام مع أسرتها فى تشامبا ، كانت هناك اثنتان من صديقاتها ·· متزوجتان أيضا خارج منطقة تشامبا ، تأتيان الى القرية فى نفس الوقت من السنة ، كانت البنات الثلاث يتطلعن الى لقاء بعضهن كل عام ، يقضين معا عدة ساعات كل يوم ، يتحدثن عن خبراتهن منذ الزواج ، وما يلاقين من أفراح وأحزان ، يتجولن فى شوارع القرية الى أن يجىء عيد الحصاد ، كانت البنات الثلاث يجهزن ملابس جديدة لهذا العيد ، وتصبغ كل منهن شالها بالألوان الزاهية ، وترصعه بحلى براقة ، وتشترى عديدا من الخلاخيل والأقراط الفضية ·

كانت (جوليرى) كل عام تعد الأيام الباقية على موسم الحصاد ، وعندما تهب نسمات الخريف فتنقى السماء من سحب رياح المونسون ·· كانت تبدأ فى الاستعداد للرحلة الى تشامبا ·· لكنها تستمر فى القيام بأعمالها اليومية ، تطعم الماشية ، تطهو الطعام لوالدى زوجها ، ثم تعود

الى الجلوس لتحسب عدد الأيام الباقية ، الى أن يأتى أحدهم من تشامبا ، ليأخذها الى بيت والديها ٠

والآن ، مرة أخرى ، جاء وقت الزيارة السنوية ، راحت تلاطف الفرسة بفرح ، ثم حيت (ناتو) خادم والديها الذى جاء بالفرسة ، وأخذت تستعد للرحيل فى اليوم التالى ٠

لم يكن فى وسع (جوليرى) أن تصوغ فرحها فى كلمات ، لكن وجهها كان كافيـا للتعبير ، سحب زوجها (ماناك) نفسـا من نرجيلته وأغمض عينيـه ، بدا كأنه لا يستسيغ طعم التبغ أو كأنه لا يتحمل أن يواجه عينى زوجته ، ناشدته زوجته قائلة :

ـ ستأتى الى مهرجان تشامبا ، أليس كذلك ؟ لابد أن تأتى ولو ليوم واحد ٠

وضع ماناك النارجيلة جانبا ولم يجب ٠

قالت جوليرى ملاطفة :

ـ لماذا لا ترد على ؟ هل أقول لك شيئا ؟

ـ أعرف ما تريدين قوله ، تريدين أن تقولى انك تذهبين الى بيت أبيك مرة واحدة كل عام ، أليس كذلك ؟ ان أحدا لم يمنعك من قبل ٠

ـ اذن لماذا تريد أن تمنعنى هذه المرة ؟

ـ نعم ، هذه المرة فقط يا جوليرى ٠

قالت فى عناد طفولى :

ـ ان أمك لم تقل شيئا ، فلماذا تقف فى طريقى ؟

ـ أمى ٠٠ يا جوليرى ٠٠٠

ولم يكمل ماناك عبارته ٠

وفى الصباح الذى انتظرته طويلا ٠٠ كانت (جوليرى) جاهزة للسفر منذ ما قبل الفجر ، لم يكن لديها أطفال لأنها لم تنجب ، لذلك فلم تكن هناك مشكلة أطفال تتركهم مع والدى زوجها أو تأخذهم معها ، أسرج (ناتو) الفرسة بينما كانت جوليرى تودع والدى زوجها ، اللذين ربت كل منهما رأسها وباركها ٠

قال ماناك :

ـ سوف آتى معك جزءا من الطريق ٠

وانطلق الركب ، جوليرى فى قمة السعادة ، تخبىء ناي زوجها تحت شالها ، بلغ الركب قرية (كاجيار) ، ثم انحدر نحو تشامبا مباشرة ، أخرجت جوليرى الناى من تحت شالها وأعطته لزوجها ، ثم احتضنت يده بيدها وقالت :

ـ هيـــا ، اعزف على الناى ·

لكنه كان غارقا فى أفكاره تماما ·

ـ لماذا لا تعزف ؟

نظر اليها بحزن ، ثم رفع الناى الى شفتيه ، وراح يعزف لحنا حزينا كالنحيب ، وفجأة توقف وقال :

ـ جوليرى ! لا تذهبى بعيدا عنى ! أرجوك ثانية ·· لا تذهبى هذه المرة ·

ـ ولكن لماذا ؟ ستأتى الى تشامبا يوم عيد الحصاد ، وسنعود معا ، أعدك لن أبقى هناك بعد العيد ·

ولم يعاود ماناك الرجاء ·

توقف الركب على جانب الطريق ، سحب (ناتو) الفرسة وابتعد بها الى الأمام ليترك الزوجين وحدهما ، غرق ماناك فى ذكرياته ، منذ سبع سنوات ، وفى مثل هذا الوقت من العام ، كان قد ذهب مع أصدقائه على نفس هذه الطريق ، ليحضروا مهرجان عيد الحصاد فى تشامبا ، وفى ذلك المهرجان رأى جوليرى لأول مرة ·· ووهب كل منهما قلبه للآخر ، وعندما استطاع أن يلتقيا على انفراد بعيدا عن ضجيج المهرجان ، أخذ يدها فى يده وقال :

ـ انك تشبهين حبات القمح الطرية المليئة باللبن داخل سنابلها ·

فى ذلك اليوم البعيد أجابته جوليرى ويدها ترتعش فى يده :

ـ ان الماشية هى التى تحب السنابل طرية ، أما الناس فيحبونها مشوية ، اذا كنت تريدنى فاذهب الى أبى واطلب منه يدى ·

وكالعادة ـ بمعونة أحد أقرباء ماناك ـ كان يجب أن يتحدد مهر العروس ، كان ماناك قلقا لأنه لم يكن يعرف كم سيطلب والد جوليرى مهرا لها ، فاذا بوالدها أحد أثرياء تشامبا ، وقد أقسم منذ كانت طفلة بألا يأخذ لها مهرا ، فقط يريد لها شابا يستحقها ومن أسرة طيبة ، ولما كان هـذان الشرطان ينطبقان على ماناك ، فسرعـان ما تزوج بحبيبته جوليرى ·

أفاق على يد جوليرى فوق كتفه وهى تسأله فى عتاب :

ـ بماذا تحلم ؟

لم يجب ، وصهلت الفرسة عاليا ، استحثت جوليرى الفرسة على الرحيل وهى تسأل ماناك ؟

ـ هل تعرف الغابة الصغيرة ذات الأزهار الزرقاء التى تبعد عن هنا ميلين ؟ يقال ان من يخترقها يصاب بالصمم ·

ـ نعـم ·

ـ يبدو أنك عبرت هذه الغابة لأنك لا تسمع شيئا مما أقول ·

تنهد بعمق وقال :

ـ أنت على حق يا جوليرى ، أنا لا أسمع شيئا مما تقولين ·

ونظر كل منهما الى الآخر دون أن يفهم ما يدور برأسه ، ثم قالت جوليرى برقة :

ـ سـوف أذهب الآن ، عد أنت فقد قطعت معنا جزءا كبيرا من الطريق ·

ـ وأنت ! لقد سرت على قدميك كل هذه المسافة ، اصعدى فوق ظهر الفرسة ·

ـ اذن خذ الناى ·

ـ خذيه أنت معك ·

سألته باسمة وكأن الشمس أشرقت فى عينيها :

ـ هل ستأتى وتعزف عليه فى المهرجان ؟

أدار وجهه بعيدا عنها ، حارت ، لكنها هزت كتفيها واتخذت طريقها فوق الفرسة نحو تشامبا ، وعاد ماناك الى بيت والديه ·

ارتمى جالسا على حافة سريره فى فتور واحساس بالهوان ، وجاءت أمه تسأله :

ـ لقد تأخرت طويلا ، هل صحبتها الى أعلى التل ؟

تحجرت فى حلقة الكلمات ·

ـ لماذا أنت محنى الظهر هكذا مثل امرأة عجوز ؟ يبقى فقط أن تبكى مثل طفل محروم !

وظل صامتا ، واستطردت أمه :

ـ لن أدع الأمر يصل الى ثماني سنوات ·

كانت قد اتخذت قرارا من قبل ودفعت خمسمائة روبية مهرا لعروس أخرى ، وبمجرد أن ذهبت جوليرى الى بيت أبيها بدأت أم ماناك تعد لزواجه الثانى ·

طاعة لأمه وللتقاليد ·· استجاب جسد ماناك للمرأة الجديدة ، لكن قلبه كان قد مات في صدره ·

وذات صباح بينما كان يدخن النارجيلة ·· مر به صديق قديم ، ناداه ماناك قائلا :

ـ بهافانى ؟ الى أين أنت ذاهب مبكرا هكذا ؟

توقف بهافاني ، كان يحمل صرة صغيرة على كتفه ، أجاب اجابة غامضة :

ـ ليس الى مكان معين ·

تعجب ماناك وقال :

ـ لابد أن تكون ذاهبا الى مكان معين يا بهافانى ! لماذا لا تجيء وتدخن معى النارجيلة ؟

جلس بهافاني بجانبه ، ثم تناول من يده خرطوم النارجيلة وقال :

ـ أنا ذاهب الى تشامبا لأحضر مهرجان الحصاد ·

اخترقت كلماته قلب ماناك مثل سلاح حاد ، سأل شاردا :

ـ هل المهرجان اليوم ؟

أجابه بهافانى بنبرات جافة :

ـ انه نفس اليوم كل عام يا ماناك ! هل نسيت ؟ ألم تكن معنا فى نفس المهرجان منذ سبع سنوات ؟!

ولم يسترسل بهافانى ، لكن ماناك أدرك ما يعنيه صديقه القديم فأطبق عليه وجوم حزين ، ووضع بهافانى خرطوم النارجيلة وحمل الصرة على كتفه مرة أخرى ، كان هناك ناى فى الصرة برز منه جزء خارجها ، ودع بهافانى صديقه وانصرف ، بينما ظلت عينا ماناك ترنوان الى الناى البارز من الصرة ·· حتى اختفى عن عينيه ·

في عصر اليوم التالى ٠٠ وكان ماناك فى حقله ٠٠ رأى بهافانى عائدا فحول بصره فى الاتجاه الآخر ، لم يكن يود أن يتحدث اليه أو يسمع منه شيئا عن المهرجان ، لكن بهافانى انحرف عن الطريق الى الحقل وجلس أمام ماناك ، كان وجه (بهافانى) مظلما مثل جمرة مطفأة ، قال بنبرات حزينة :

ــ جوليرى ماتت ٠

ــ ماذا ؟

ــ عندما سمعت بزواجك الثانى ، نقعت ملابسها فى الكيروسين ثم ارتدتها وأشعلت فيها النار ٠

أخرس الألم ماناك ، فقط راح يحدق فى لا شيء ٠٠ شاعرا بأن حياته أيضا قد اشتعلت فيها النار ٠

ومرت الأيام ، عاد ماناك الى عمله بالحقل ، وأصبح يتناول غذاءه عندما يقدم له ، لكنه أصبح شبه ميت ، وجهه شاحب ، وعيناه خاويتان ، الى أن بدأت زوجته الثانية تشكو :

ــ أنا لست زوجته أنا مجرد امرأة تزوجها بالصدفة ٠

ومع ذلك فقد حملت ، سعدت أم ماناك بالخبر وراحت تزفه اليه ، لكنه بدا كأنه لم يفهم ما قالته أمه ، ظلت عيناه خاليتين من التعبير ، وشجعت أمه الزوجة الحامل بأن تتحمل زوجها حتى تلد ، مؤكدة لها أنه بمجرد أن يجيء الطفل فان ماناك سيتغير ٠

ولد الطفل فى موعده ، بابتهاج غسلت أمه جسده ، وألبسته ملابس جميلة ، وذهبت به فوضعته فى حجر ماناك ٠

حدق ماناك فى الطفل الموضوع فى حجره ٠٠ ولم يبد على وجهه أنه أدرك ما جرى ، ظل وجهه شاحبا خاليا من التعبير عن شيء ، وفجأة امتلأت عيناه بالرعب ، وانطلق يصرخ فى هستيرية صاخبة :

ــ خذيه بعيدا عنى ، خذيه بعيدا ، تفوح منه رائحة الكيروسين ٠

قبعة المهرج

بقلم : د • مولك راج أناند ●

انقضى النهار صحوا ، ومع اقتراب المساء تجمعت السحب فوق الأشجار المترامية ••• كأنها تستعد للسقوط فوق الجبال ، ازداد الضباب قتامة ، ثم تدفقت أصوات الرعد فى قلب الخلاء •

كان الكولونيل « أنطون برت » قد عاد لتوه من رحلة صيد فى الغابة ، والكولونيل أنطون هو قائد معسكر السجناء الشمالى فى جنوب أفريقيا ، تقدم الجاويش « كوزمو » فأعطاه زجاجة الخمر ذات الثلاثة نجوم ليطفىء بها ظمأه •

وعلى مرمى البصر من شرفة البيت الكبير الذى يسكنه الكولونيل ، تناثرت الحجارة الناتجة عن عملية تفتيت الصخور بالديناميت ، والتى يقوم بها السجناء ، حتى شكلت ما يشبه أرضا مخصصة لعرض الأحجار ، والى يسار البيت الكبير بدت القلعة الصغيرة بجدرانها العالية هزيلة كئيبة ، شعر الكولونيل بنوع غريب من الاعياء والغثيان ، نصفه مرارة ونصفه حنين الى الوطن ، الى بيته المحاط بحدائق الزيتون فى « كيب تاون » ، وراق له أن ينادى على الجاويش ، وقال له آمرا :

— كوزمو ! قل لهؤلاء السود أن يرقصوا •

يبلغ الآن ٩٠ عاما ، أهم الروائيين الهنود المعاصرين ، يكتب بالانجليزية ، له عشرون رواية وعشر مجموعات قصصية ، وعشرات الكتب فى الفن والثقافة والفلسفة والمطبخ الهندى والمسرح والسياسة والتعليم والرسم واللغة العامية وتقاليد القبائل وتاريخ البريد فى الهند ، نال عدة جوائز أكاديمية وسياسية ، يكمل الآن كتابة سيرته الذاتية فى سبعة مجلدات باسم (عصور الانسان السبعة) ، زار معظم بلاد العالم ، أشهر رواياته : المنبوذ — ورقتان وبرعم — وثلاثية لالو •

فى تلك البقاع المهجورة الشاسعة بدت له القلعة مثل حارس وحيد لحضارة الرجل الأبيض ، وفيما عدا القرى القليلة الموالية للحكومة لم يكن هناك ما يمكن أن يخلق البهجة فى قلب الكولونيل سوى ما يترامى اليه من غنـــاء النســاء أو صوت الطبــول ٠٠ أو دمدمات نيران الرقص المجنونة ، لكن القرية على بعد ميل ، وهم هناك يبدأون مهرجانات الليل متأخرين ، والمسجونون هنا تخيم عليهم الكآبة ٠

تظاهر كوزمو بأنه لم يسمع أمر القائد ٠

عبرت السماء سحب ثقيلة تنذر بالمطر ، شد الكولونيل نفسه من كل هذا الطقس الردىء ٠٠ الذى يتراوح بين الحرارة الاستوائية والبرد القطبى ، عبر خدمته رأى التلال المترامية فى ولاية البرتقال ، ورأى نفسه أصم أمام السماوات المحملة بالسحب الرمادية ، وعندما كان يتدرب فى « ساند هيرست » ببريطانيا رأى الرذاذ الذى لا ينقطع ، لكنه هنا لم يستطع أن يتحمل العصيان ، صرخ :

ـ كوزمو !

انتزع الجاويش نفسه من الآلام المبرحة فى عظامه لكى يقوم بواجبه ، تلك الآلام التى يتخفف منها بفضل التراتيل وايقاع الأقدام ، أسرع الى الشرفة حيث أدى التحية العسكرية ، رفع الكولونيل وجهه ذا الخدين الغائرين وصرخ :

ـ ألم تسمع ندائى ؟

أجاب كوزمو كاذبا :

ـ لا يا سيدى ٠

ـ الرقص !

ـ لقد جاء الفلاحون بالأمس ورقصوا فى عيد القديسة فاتيما ولن يجيئوا مرة أخرى

ـ لقد أعطيتهم نقودا بالأمس ٠

ظل كوزمو خافضا بصره أمام سيده ، زادت ظلال السحب وجهه قتامة ، وفى السماء انفجر غضب آخر شق بوابات السماء ، كأن حراب حشود المتمردين قد اقتحمت بيت الله ٠

ـ قل للحراس أن يحضروا ذلك الطبيب الأسود ، دكتور آدم رئيس العصابة ، وقل للحراس أن يأتوا ليشربوا الروم ماركة « كولينز » .

أحنى الرقيب رأســـه كأنمـا ليؤكد بالفطرة نغمة الأمر ، ضرب الكولونيل الأرض بقدمه وأرعد :

ـ هيـا اذهب ! اخـــرج .

كان صوت الرعد في السماء أقوى من صوت الكولونيل ، مما ضاعف الفزع في نفس كوزمو وجعله ينصرف عدوا .

كانت هناك رقرقات نسيم دافئة ، وبدا كأن المطر على وشك السقوط ، لكن الكتلة الرئيسسية من الســحاب راحت تعبر الفضـــاء نحو التلال المنخفضة ، بينما أخـذ حشد متمرد من سحب أقل كثافة يتجمع فوق الصخور ، متتابعة متباطئة ، كأنما هي حشود تتجمع على الأرض ، آتية من حيث لا يدرى أحد .. ومهددة أساس النظام .

في نظرة طويلة رفع الكولونيل عينيه الســوداوين الضاربتين الى الزرقة نحو السماء ، كأنما بنظرة واحدة سوف يشتت القوى المعادية ، لكنه في الحقيقة أحس بأنه جبان أمام عناصر الطبيعة ، ودار نسر منطلقا من عشه غائصا في حائط العاصفة ، أهمل الكولونيل خفقة في قلبه كرد فعل تلقائي ضد نفسه ، ثم خفض عينيه عائدا الى الشراب .

رفع الكأس ، لمس بها خده الأيمن الجاف ، ليشعر بالبلسم المهدىء لملمسها الحريري ، وخرجت أنفاسه حارة من بين شفتيه ، كأنها تضرعات من أجل البركة .

انتبه الى صوت أقدام متثاقلة ، أحس بالقوة متوقعا قدوم الطبيب الأسود ، وظهرت مقدمة الموكب الصــغير ، كأنما بزغت فجأة من باطن أرض الفناء ، وظهر دكتور آدم ، رجل نحيل متوسط الطول ، يبرق بياض عينيه في أعلى قامته التي تشبه أشباح الموتى ، ولون جاكتته الصفراء مضاء لوجهه الأنيق .

قال الكولونيل كلاما خبيثا ذا معنيين ، كلاما مكونا من تلك الألفاظ الشائعة في « ليفنجستون » :

ـ دكتور آدم ! أنا أخمن أن ...

لكن دكتور آدم لم يحركه الاستهزاء ولم ينطق بأية كلمة ، كل ما فعله أنه ظل واقفا حيث هو ، على بعد خمس ياردات من الحاكم ، ووقف

حراس القلعة الخمسة خلف السجين • عبرت الأفق نسمات كليلة قلقة ، ثم برق خط من الضوء عبر الجبل البعيد •

أحس الكولونيل أن الله قد فضل هذا الرجل الأسود اذ أحاطه بجيش من الحراس ، انتظر الفرصة مستحضرا مقدرته على المرح :

اني أسمع أنك تعلمت رقصة الثعلب ، والفالس ، وحتى رقصة التانجو تعلمتها فى لندن •• أليس كذلك ؟

طأطأ دكتور آدم رأسه ، لقد منحته المعاناة فى معسكر الاعتقال رباطة جأش فوق الهدوء ، وأضيف الى هذا ما يعترى وجهه الآن وحشة •

لقد أحببت بناتنا الانجليزيات وأخذتهن بين ذراعيك ، أليس كذلك ؟ لا شك أنك كنت تختار الصبايا فقط لتراقصهن !

تلوت قسمات السجين ، لكن بياض عينيه انخفض هاربا بكبريائه من العار الذى تحمله سوقية الكولونيل •

ــ وسمعت أنك نسيت الرقصات الوطنية القبلية !

هز دكتور آدم رأسه بعلامة النفى •

طالما انهزم الكولونيل أمام صمت هؤلاء السود ، لكن هذا الرجل يفوقهم دون جدال •• بأفكاره وأحاسيسه ، هل هم بشر ؟ ينبغى أن تنشق السماء وتصب نارا ، لكنهم سوف يظلون على ثباتهم !

كأن الله استجاب لتنبؤات الكولونيل ، فقد لمع البرق مصحوبا بتمزق ستائر السماء ، ومع ذلك فقد عاد للجلوس طلبا للراحة ، وظلت هيئة دكتور آدم ثابتة ، قليل الكلام ومتجهما ، فكر الكولونيل : هل هناك ابتسامة خفيفة تمر على شفتى السجين ؟ أم أننى أتخيل ذلك ؟!

ــ اذن هيا ، ارقص احدى رقصات قبيلتك ، دعنا نستمتع بشىء من اللهو !

ظل الرجل واقفا كتمثال •• كأنه شبح لنفسه ، جن جنون الكولونيل فهتف بخادمه :

ــ كوزمو !

تقدم الجاويش من بين الحراس ، أيضا مثل شبح :

ــ أعطه قبعة المهرج •• تلك التى اشتريتها بالأمس من رجال القبائل ! قبعة القرد الحمراء انه بها سيرقص أفضل

أسرع كوزمو الى الشرفة ، وجاء بالقبعة التى كانت معلقة على حامل القبعات ، وقدمها للكولونيل •

ـ ضعها على رأسه ! أو ضعها على رأسك !

وثب كوزمو الى الأمام مدفوعا بثقل صوت الكولونيل ·· وتقدم نحو السجين ·

عبر العذاب الطويل ·· كانت هذه مجرد حادثة واحدة فى حياة دكتور آدم ، لذلك لم يضطرب عندما راح كوزمو يحكم وضع قبعة المهرج على رأسه ·

عند أول نظرة ألقاهـا الكولونيل على رأس السجين بالقبعة ·· ضحك الكولونيل ضحكة مصطنعة ، ولدت الضحكة بهجة ما لبثت أن انتهت فجأة ، ذلك لأن أحدا لم يشاركه اللهو والمرح ، اكتأب وجهه ـ أصبح المعذب معذبا ، وفجأة زعق فى الحراس :

ـ انظروا الى هذا المهرج واضحكوا ! لماذا لا تضحكون ؟!

فى ظلال الفناء لم يجد جديد سوى ابتسامات قليلة مصطنعة ، كان أيسر عليهم أن يطلقوا الرصاص على السجين من أن يضحكوا منه ، ذلك لأنه كان هناك الرعب دائما من أن يضحك السجين منهم أو يبصق على وجوههم ، كما فعل الأفارقة قبل ذلك مرارا ·

جف حلق الكولونيل ، رفع زجاجة « الروم » وعب ما تبقى بها من خمر ، سال بعد لعابه وهو يصرخ :

ـ ارقص أيها الرجل ! ارقص ·

ازداد الرعد فى الفضاء حتى أصبح مثل سيمفونية هستيرية ، ورأى دكتور آدم أن صوت الرعد ليس مصاحبا لائقا « للباليه » الذى يطلبه الكولونيل ·

قفز الكولونيل من مجلسه المرتفع ، أمسك بيد السجين وراح يديره فى مدار دائرى وهو يصرخ :

ـ ها ها ها ! ها هو الرجل القبلى يرقص !

استسلم الرجل للدوران ، وانشقت السحب عن ضوء باهر كأنه بشير بالتحرير ، بينما تشبث الكولونيل بالضحك :

ـ الأبله بقبعة المهرج ! هاها !

وبينما هو يدير السجين خطر له أنه ليس هناك فريق يشـاركه الرقص ، أفرغه هذا الخاطر تماما من الرضا ، توقف ، ركل السجين فى ظهره ، سقط دكتور آدم بين الحراس ، عاد الكولونيل يصرخ :

ـ ارقص ! ارقص أيها الأبله أو اذهب الى الجحيم ·

ارتجف الحراس قليلا لفورة الغضب التى انتــابت قائدهم ، ثم أمسكوا بالسجين المنهار ·

عاد الكولونيل الى الجلوس على مقعده متهدما ، وعادت النسمات المترقرقة القلقة تكنس الفناء ، ركز الكولونيل بصره على السجين ، وفجأة زمجر صارخا :

ـ اخــــرج !

ثم بهياج أقل :

ـ اذهب يابن الزانية !

وانهمرت من السحب سيول المطر ، كأن أشباح رجال القبائل قد أذابت قلب الله ، وهمهم الكولونيل بنبرات مدمدمة :

ـ خذه الى زنزانته ·

واستسلم دكتور آدم لدفعات الحراس وركلاتهم ، وعلى بعد خطوات قليلة استدار الى الكولونيل ضاحكا وهاتفا :

ـ هاها !

ثم همهم الى نفسه :

ـ سوف نرى من الذى سيضحك أخيرا !

العــودة الى البيت

بقلم : رابندرانات تاجور

كان (فاتيك تشاكرافارتى) زعيما لشلة الصبية الأشـقياء فى القرية ، وذات يوم وضع خطة لاختيار أشقياء جدد يمكن أن يكونوا أهلا للانضمام الى الشلة ٠

كان هناك على جسر النهر جذع شجرة ثقيل ملقى فوق الطين ٠٠ فى انتظار أن يشكل صاريا لمركب شراعية ، وكانت خطة فاتيك هى أن يعمل أفراد الشلة معا لنقل جذع الشجرة الى بعيد بدحرجته فوق الطين ، وعندما يأتى صاحب الجذع ولا يجده فى مكانه ســيندهش ثم يغضب ويشتم ٠٠ بينما أفراد الشلة سوف يستمتعون بالضحكات والمرح ٠

وافق الجميع على خطة فاتيك وبدأوا الاستعداد لتنفيذها ، ولكن بمجرد بدء التنفيذ وسط الصخب والفرح ٠٠ تلكأ (ماكهـان) الأخ الأصغر لـ (فاتيـك) ، ثم جلس أمام جذع الشجرة ولزم الصمت ، تحير الأولاد لحظة ، ثم تقدم أحدهم فدفعه بحذر طالبا منه أن ينهض ، لكن (ماكهان) ظل جالسا دون أدنى اهتمام ، وبدا آنذاك مثل فيلسوف صغير يتأمل لعبة عابثة حمقاء ، اقترب (فاتيك) من أخيه وصرخ فيه :

ـ ماكهان ؟ اذا لم تنهض فورا فسوف أسحقك !!

لكن ماكهان لم يفعل شيئا سوى أن زحف قليلا الى مكان مريـح أكثر للجلوس أمام جذع الشجرة ٠

اذا كان على فاتيك أن يحافظ على كرامته الآن فعليـه أن ينفذ تهديده لأخيه ، لكن شجاعته خانته عند مواجهة الموقف ، ومع ذلك فقد عثر عقله الخلاق بسرعة على وسيلة جديدة لاهانة أخيه ٠٠ وتقـديم تسلية أيضا لأتباعه ، أعطى أمرا بدحرجة الجذع و (ماكهان) معا ، أحس ماكهان انه أصبح أمام خطر حقيقى لكنه بقى جالسا فى مكانه ،

وبدأ الأولاد يستعدون لدحرجة الجذع بكل قوتهم وهم يهللون :

ـ واحد ، اثنين ، ثلاثة ، ابدأ •

(وعند كلمة « ابدأ » تدحرج جذع الشجرة ، وتدحرجت معه فلسفة (ماكهان) وكرامته واعتزازه بنفسه ، هلل الأولاد بأصواتهم الخشنة ، لكن (فاتيك) أحس بنوع من الخوف مما قد يحـــدث ، وقد حـــدث ما توقعه ، في لحظة خاطفة نهض (ماكهان) مندفعا كالقضاء وهادرا مثل بركان ، انقض على (فاتيك) بكفيه وأظافره حتى أدمى وجهه ، ثم راح يضربه بقبضتيه ويركله بقدميه حتى أحس بأنه قد استرد كرامته ، وبعد ذلك اتجه نحو البيت باكيا •

هكذا انتهى الفصل الأول من الصراع •

مسح (فاتيك) وجهه من الدماء ، وربت ما به من جروح ، ثم سار خطوات الى حيث جلس على حافة صندل بعضه غارق فى مياه النهــر ، وراح ينزع من حوله بعض الحشائش ، ليقضمها بأسنانه فى غيظ ثم يطوح بها تباعا •

لاحت لعينيه مركب قادمة نحو الشاطىء ، ظل يرقبها حتى هبط منها رجل متوسط العمر ذو شعر رمادى وشارب أسود ، تقدم الرجل الى (فاتيك) وسأله عن بيت الـ (تشاكرافارتى) ، أجابه فاتيك دون أن يتوقف عن قضم الحشائش •

ـ هنـــاك

كان مستحيلا أن يفهم الرجل أية « هناك » يقصد الصبى فسأله مرة أخرى ، لكن الصبى راح يؤرجح قدميه أماما وخلفا ثم قال للرجل :

ـ اذهب وابحث عنه •

وعاد الى قضم الحشائش •

فى تلك اللحظة جاء خادم من البيت وقال لفاتيك :

ـ أمك تريدك أن تعود الى البيت •

رفض فاتيك أن يتحرك فانقلب الخادم الى سيد ، مد يديه نحو فاتيك وجذبه بغلظة جعلته ينهض رغم أنفه ، ثم راح الخادم يركله فى غضب فيرغمه على السير أمامه نحو البيت •

عندما وصل فاتيك الى البيت صرخت فيه أمه :

ـ اذن فقد ضربت (ماكهان) مرة أخرى ؟!

أجاب فاتيك ساخطا :

ـ لا ، لم أضربه ، من قال لك انى ضربته ؟

صرخت فيه أمه مرة أخرى :

ـ لا تكذب !! لقد ضربته !!

قال فاتيك مقطبا :

ـ أنا لم أضربه ، اسأليه !!

فكر (ماكهان) لحظات ، ثم فضل الا يغير أقواله وهتف :

ـ نعم يا أمى ، ضربنى ٠

نفد صبر فاتيك ، لم يستطع أن يتحمل كذب أخيه مرة أخرى اندفع نحوه ٠٠ أمطره بوابل من الضربات وهو يردد فى هياج :

ـ اذن ، خذ هذه ، وهذه ، وهذه ، لأنك كذاب ، خذ ٠٠

قفزت الأم فجرت فاتيك بعيدا وهى تضربه بغضب أكبر من غضبه ، عندما دفعها فاتيك بعيدا عنه صرخت فيه مذعورة :

ـ ماذا ؟ ماذا أيها الوغد الصغير ؟ هل تضرب أمك ؟!

عند ذلك أطل عليهما الرجل الغريب ذو الشعر الرمادى والشارب الأسود وهو مندهش ، نظر اليه فاتيك فى خجل ، وعندما وقعت عينا الأم على الرجل الغريب انقلب غضبها الى دهشة ، كان هذا الغريب أخاها ٠

ـ أخى !! لماذا ؟ من أين ؟ من أين أتيت ؟ وانحنت نحو الأرض تحييه بلمس قدميه بيديها ٠

كان أخوها (بيشامبر) قد رحل عن الولاية بعد زواج أخته مباشرة ، الى حيث وجد لنفسه عملا فى مدينة بومباى ، وكانت أخته أثناء غيابه قد فقدت زوجها ، ولما عاد (بيشامبر) الى كلكتا أخذ يسأل طويلا عن أخته ، حتى عرف أنها انتقلت الى تلك القرية ، فأسرع اليها ٠

كانت الأيام القليلة التالية مفعمة بالبهجة ، سألها أخوها كيف استطاعت أن تربى ولديها !! قالت له ان (فاتيك) دائم الازعاج ، وكسول وغير مطيع ومتوحش ، لكن (ماكهان) ولد نقى كالذهب ٠٠ هادىء كالحمل الوديع ، وعاشق للقراءة والتأمل ، عرض عليها (بيشامبر) أن يأخذ (فاتيك) معه ويعلمه مع أبنائه فى كلكتا ، وعلى الفور وافقت الأرملة ، ووجه بيشامبر السؤال للصبى :

ـ فاتيك ؟ هل تود أن تأتى معى الى كلكتا ؟

فرح فاتيك فرحا غامرا ، وفى نبرات واثقة هتف :

ـ أوه !! بالتأكيد يا خالى سوف أذهب معك ٠

كانت خدمة كبرى للأم ، فهى بذلك ستتخلص من ازعاج فاتيك ٠ خاصة وأن الحب مفقود بينه وبين أخيه ، انها كثيرا ما كانت تخشى أن يغرق فاتيك أخاه فى النهر ، أو يشج رأسه فى احدى المعارك ، أو يدفعه الى خطر ما ، وفى نفس الوقت كانت دهشتها مختلطة بالحزن ، وهى تسأل نفسها عن سر هذا الشوق الطاغى لدى الصبى لأن يترك بيته !!

الى أن انتهت استعدادات الرحيل لم يتوقف فاتيك عن سؤال خاله كل دقيقة عن موعد السفر ، كان ينتظر الموعد بشوق عارم ، الى حد أنه ظل مستيقظا معظم ساعات الليل ، وفى الصباح مد يديه نحو أخيه باقتناع كامل ، فأهداه سنارته ، والمطواة الطويلة ، ثم عاد فأهداه كل ما يملك من قطع الرخام ، حتى بدا كرمه نحو أخيه ساعة الرحيل كرما بلا حدود ٠

فى كلكتا ، رأى فاتيك زوجة خالة لأول مرة ، لم تكن زوجة الخال سعيدة بهذه الاضافة غير الضرورية لأسرتها ، كان يكفيها عناء تربية أبنائها الثلاثة ، أما أن يجىء لها زوجها بصبى آخر فى سن الرابعة عشرة ، فهذا أمر يدعوها الى الضيق والقلق ، كان يجب على زوجها ، أن يفكر كثيرا ٠٠ قبل أن يقدم على هذا التصرف الأحمق ٠

ليس فى العالم شىء أكثر ازعاجا من صبى فى الرابعة عشرة ، فلا هو مسل ولا مفيد ، مستحيل أن تحنو عليه كما تحنو على طفل صغير ، وهو دائما متمسك برأيه فى عناد ، اذا تلعثم فى الكلام خجلا فهو فى نظر الآخرين طفل صغير ، واذا تحدث بأسلوب الكبار فهو ولد غير مهذب وقليل الحياء ، حديثه دائما يبعث على الاستياء ، انه فى سن لا تريح الآخرين ، يخلع ملابسه فى عجلة ويقذف بها كيفما اتفق ، صوته أجش وعال ومضطرب ، ملامحه فى هذه السن تزداد حدة وتفقد جمالها القديم ، من السهل أن تغفر للطفل الصغير قصوره ، لكنه من الصعب أن تتحمل أخطاء صبى فى الرابعة عشرة ، حتى لو كانت هذه الأخطاء هفوات صغيرة ، ان لدى الصبى فى هذه السن شعورا مرضيا بالذات ، فهو مع الكبار اما متهور لا يتحدث فى الوقت المناسب ٠٠ أو خجول الى درجة يبدو معها أنه يكره الذين جاءوا به الى الحياة ، وهو غالبا يشتهى الحب

والتعارف ، ويصبح عبدا مخلصا لمن يبـــدى نحوه التقدير والاحترام ، وفى الغالب لايبدى له أحد حبا لأن ذلك يعتبر تدليلا غير ملائم لولد فى هذه السن ، أما اذا وجه أحد اليه اللوم أو الزجر ، فانه يصبح مثل كلب ضال تاه من صاحبه ٠

ان البيت هو الجنـــة الوحيـــدة التى يمكن أن يحبها صبى فى الرابعة عشرة ، أما أن يعيش فى بيت غـريب مع أناس غـرباء فهذا بالنسبة له أشد العذاب ، لكنه يصبح فى منتهى السعادة اذا اختصته النساء بنظرات الود ولمسات المرح ٠٠ حتى لو كانت مشوبة بشىء من الاستخفاف ، ولذلك فقد كان عذابا لفاتيك أن يكون ضيفا غير مرغوب فيه من زوجة خاله التى كانت دائمة الاحتقار له والاستخفاف به ، ومع ذلك فانها عندما تطلب منه أن يقوم بأى عمل بدلا منها كان يؤديه باتقان وهو يحلق على أجنحة السعادة ، ولكنها كانت كثيرا ما تقول له بعد القيـــام بالعمل الذى كلفته به :

ــ لماذا أنت غبى الى هذا الحد ؟ هيا ، هيا عد الى دروسك ٠

هذا السلوك من زوجة خاله رسب فى نفسه شعورا بالاضطهاد ، وبالرغبة فى الانطلاق ، يحس بالحاجة الى ملء رئتيه بهـــواء نقى فى الخلاء ، ولكن من أين له بالخلاء وهو محاط من كل ناحية ببيوت كلكتا وجدرانها المتلاصقة ؟! ليلة بعد أخرى راح يحلم بالقـــرية ٠٠ ويعذبه الشوق الى بيته هناك ، تذكر الخميلة البهيجة التى كان يقضى نهـــاره فيها ، ممسكا بخيط طائرته الورقية التى تلاعبها الريح فى الفضـــاء ، وتذكر شاطىء النهر حيث كان يتجـــول مزاحما بغنائه أغاريد البلابل والعصـــافير ، وجداول المياه الصافية الهادئة حيث كان يسبح ويغوص كلما شاء ، وعصبة الصبية الذين كان يسيطر عليهم سيطرة طاغية ، حتى أمه التى طالما تحاملت عليه وظلمته ، بدأت تملأ خياله نهارا وليلا ، أنه الآن يتلهف لأن يكون مع شخص يحبه ويحنو عليه ، ولقد بدأ يبكى بكاء مكتوما فى أعماق قلبه لهفة الى رؤية أمه ، كان بكاؤه يشبه خوار عجل صغير لرؤية الغسق ، وكان حبه أقرب ما يكون الى فطرة الحيوان ، حبا يقتات الذبول فى قلبه العصبى القبيح الرقيق ، لكن أحدا فى البيت لم يستشف مشـــاعر الصبى التى افترست عقله كمـــا يفترس الجزار الذبيحـــة ٠

٠٠٠

وفى المدرسة لم يعد هناك تلميذ أكثر تخلفا من فاتيك ، فعندما يسأله المدرس سؤالا ، يحـــدق فى وجه المدرس ويظل صامتا ، مثـــل حمار حملوه فوق طاقته راح الصبى يتلقى ضرب المدرسين ٠٠ وسخرية

زملائه فى الفصل ، وعندما كان الأولاد يخرجون من بيوتهم للعب كان فاتيك يقف بجوار النافذة حزينا رانيا الى السطوح البعيدة ، واذا شد بصره أطفال يلعبون فى احدى الشرفات كان قلبه يتمزق ألما وشوقا الى أجران القرية .

ذات يوم استجمع فاتيك شجاعته وسأل خاله :

ـ خالى ؟ متى أستطيع العودة إلى بيتى ؟

ـ عليك أن تنتظر حتى تجىء الاجازة يا فاتيك .

ـ لكن الأجازة بعيدة لاتجىء الا فى أكتوبر .

وذات يوم آخر فقد فاتيك كتابا مدرسيا ، كان من الصعب عليه ـ حتى بالاستعانة بالكتب ـ أن يجهز دروس اليوم التالى ، أما الآن فقد أصبح كل شىء مستحيلا ، صار بؤسه العميق باعثا لخجل أبناء خاله من انتسابه اليهم ، أصبحوا يتهكمون عليه ويشتمونه أضعاف ما يفعل الآخرون ، ومع ذلك فقد ذهب فاتيك الى زوجة خاله ذات صباح وأخبرها بأنه فقد كتابه ، عند ذلك انفجرت فيه بأقسى عبارات الازدراء :

ـ أيها الولد العظيم !! يا ثقيل الظل يا جلف !! كيف أستطيع أن أشترى لك كتابا جديدا كل شهر خمس مرات وأنا لدى أسرة على أن أرعاها ؟

فى مساء ذلك اليوم .. وفى طريق عودته من المدرسة .. كان فاتيك يعانى من صداع ثقيل ، وكان جسده يرتعش ، أحس كأنه أصيب بالملاريا ، لكن خوفه الأكبر كان من الازعاج الذى سوف يصيب زوجة خاله من مرضه بالملاريا .

وفى الصباح التالى اختفى فاتيك من البيت ، عبثا حاولوا العثور عليه فى الناحية وبيوت الجيران ، كان المطر ينهمر سيولا طوال الليلة السابقة وما يزال ، والذين ذهبوا للبحث عن فاتيك عادوا بملابسهم وأجسامهم مبتلة ، وأخيرا لجأ (بيشامبر) الى البوليس ليساعده .

عند حلول المساء ، وكان المطر ما يزال ينهمر ويقلب الشوارع أنهارا ، وقفت عربة بوليس بالباب ، هبط منها اثنان من الكونستبلات يحملان فاتيك فوق أيديهما وانزلاه أمام (بيشامبر) ، كان الصبى مبتلا من رأسه الى قدميه وملطخا بالطين ، والحمى ترعش وجهه وعينيه وأطرافه ، حمله بيشامبر بين ذراعيه الى داخل البيت .. وهناك راحت زوجته تلومه بصوت مرتفع :

ـ أى حشد من المشاكل يسببها لنـــا هذا الولد !! ألم يكن من الأفضل أن تعيده الى أمه !!

عندما سمع فاتيك هذه الكلمات انخرط يبكى فى نشيج لاهث وهو يقول لخاله :

ـ لقد كنت فى الطريق الى بيتنا ، لكنهم أمسكوا بى وجرجرونى الى هنـــا .

تزايدت الحمى ، وعندما هبط الليل كان فاتيك قد بدأ يهذى ، جاء له خاله بطبيب ، وبعد انصراف الطبيب فتح الصبى عينيه ، حدق فى السقف شاردا وقال :

ـ خالى ؟ هل جاءت الاجازة ؟

ازدحمت عينـــا بيشـــامير بالدموع ، أخذ يدى فاتيك الرقيقتين الساخنتين بين يديه وظل ساهرا الى جواره طوال الليل ، مرة أخرى عاد الصبى يتمتم ، وفجأة تحولت تمتماته الى صياح :

ـ أمى !! انى أقول الحقيقة يا أمى !!

وفى الصباح استرد قليلا من الوعى .. جالت عيناه فى أرجـــاء الغـــرفة كمن ينتظـــر قدوم شخص ما ، ولما طال انتظاره انقلب بحركة يائسة وأعطى وجهه للحائط .

قرأ الخال أفكار الصبى فأحنى رأسه فوقه وهمس :

ـ فاتيك ؟ لقد أرسلت لأمك لكى تأتى .

وجرجر النهار أذياله ورحل ، جاء الطبيب مرة أخرى وقال بصوت مضطرب ان الصبى أصبح فى حالة حرجة وخطيرة ، بينما كان فاتيك يردد فى صرخات مشوشة :

ـ بجوار العلامة ، ثلاث قامات ، بجوار العلامة ، أربع قامات بجوار العلامة .

كثيرا ما كان يسمع البحارة فى المراكب البخـــارية وهم يتنادون بموقع العلامة التى ترشدهم الى المرسى . والآن يخوض الصبى بنفســه بحرا مضطربا بلا قرار .

ومع الغسق جاءت أمه .. مندفعة الى الحجـرة مثـــل الاعصـــار ، متمايلة الى الأمام والخلف وهى تولول فى كل اتجاه ، رمت بنفسها الى جوار ابنها وراحت تبكى وتنتحب وتصرخ :

ـ فاتيك حبيبى ؟ فاتيك !!

توقف جسد الصبى برهة عن ارتعاشاته القلقة ، وكفت يداه من تحسس الفضاء ، وهمس ذاهلا ..

ـ هــه ؟

صرخت أمه مرة أخرى :

ـ فاتيك حبيبى ؟ فاتيك ؟ فاتيك ؟ حبيبى ؟

ببطء شديد جالت عيناه فيما حوله ، لكنه لم يستطع أن يـرى الزحام حول الفراش ، وبعد لحظات من الصمت عاد يتمتم :

ـ أمى ؟ هل جاءت الأجازة ؟

« مالينى »

مسرحية من فصل واحد

تاليف : رابندرانات تاجـــور

شخصيات المسرحيــة

- **مالينى** : أمــيرة شابة ·
- الملكة : أم مالينى ·
- الملك : والد مالينى ·
- كيمانكار : كاهن تحت التمرين ·
- ســـوبريا : كاهن تحت التمرين
- الكاهن الأول
- الكاهن الثانى
- الكاهن الثالث
- خادم البـــلاط

●● المشهد الأول ●●

« شرفة القصر المواجهة للميدان ، تقف فى الشرفة الأميرة الصبية لجميلة مالينى ٠٠ تحدق نحو السماء فى وداعة ٠٠ تغمض عينيها لحظات ٠٠ ثم تفتحهما فى اندهاش عميق بالوجود ٠٠ » ٠

مالينى : لقد جاءت اللحظة ، اللحظة التى تطالبنى بحياتى ، ها أنذا مثل قطرة ندى فوق ورقة لوتس ترتعش على صدر هذا الزمان المديد ، أغلق عينى ، فأبدو ، أبدو وكأنى أسمع ضجيج السماء ! قلبى يسكنه العذاب ، لست أعرف سببا لهذا العذاب !

(تدخل الملكة الى الشرفة)

الملكة : ابنتى ! ما هذا ! لماذا تنسين ارتداء الملابس التى تليق بجمالك وشبابك ؟ أين حليك يا فجـــرى الجميل ؟ كيف تستطيعين أن تستغنى عن رنين الذهب هنا فى أذنيك ! وعلى صـــدرك ، وفى معصميك ؟

مالينى : أماه ! ان البعض يولدون فقراء ٠٠ حتى هنا فى بيت الملك ، ان الثروة لا تغرى أولئك الذين ٠٠ الذين قدر عليهم أن يجدوا غناهم فى فقرهم ٠

الملكة : هذه الطفلة التى كانت لغتها الوحيدة هى البكاء ، كيف تتحدث الى بمثل هذه الألغاز ! ان قلبى يزلزله الخوف عندما أســـتمع اليك ، من أين جئت بعقيدتك الجديدة ؟ هذه العقيدة التى تخالف كل كتبنا المقدسة ؟ استمعى الى يا طفلتى ، انهـــم يقولون ، ان الرهبان البوذيين الذين تعلمت على أيديهم ، يزاولون الســـحر ، ويلقون بسحرهم فى عقول الناس لكى يؤمنوا بالأكاذيب ، ولكن ، ولكنى أسألك : هل العقيدة شىء يجب على الانسان أن يبحث عنه ؟! أليست العقيدة مثل ضوء الشمس الذى يوهب لك طوال العمر ؟ انى ٠٠ انى امرأة بسيطة لا أستطيع أن أفهم كل أديان النـــاس

ومذاهبهم ، أنا فقط أعرف الهدف الحقيقى للنساء ، وهو منحة تأتى الى أيديهن بلا سؤال ، فى صورة الأزواج والأطفال ٠

(يدخـــل الملك)

الملك : ابنتى ! ان السحب العاصفة تتجمع فوق بيت الملك ، لا تتمادى فى السير على طريق الخطر ٠ توقفى ٠ توقفى ولو لفترة قصيرة ٠

الملكة : ما هذه الكلمات الغامضة ؟!

الملك : يا طفلتى الحمقاء ، اذا كان عليك أن تجلبى هذه العقيدة الجديدة الى وطننا العريق ، فلا تدعيها تأتى مثل طوفان مفاجىء يهـــدد الساكنين على الشاطىء ، احتفظى بايمانك لنفسك ، لكى لاتنهال على عقيدتك كراهية الشعب وسخريتهم ٠

الملكة : لا تزجر ابنتى ، بل علمها الدهاء ، علمها دهاء دبلوماسيتك ، لقد تركت لها أن تختار معلميها بنفسها ، وتختار لنفسها الطريق ، لست أدرى اذن من يستطيع أن يلومها !

الملك : أيتها الملكة ان شعبى ثائر ، انهم يصرخون فى الخارج مطالبين بنفى ابنتى من المملكة ٠

الملكة : نفى ابنتك من المملكة ؟

الملك : الكهنة ، الكهنة خائفون من ابتعادها عن ديننا ، لقد اجتمعوا و ــ وناقشوا ضلالها ــ

الملكة : ضلالها ؟ حقـــا ؟ وهل الحقيقة كلها محصورة فى كتبهم العفنة وحدها ؟ دعنى ألق بعقائدهم بعيدا ، هــذه العقائد التى نخرها السوس فليأتوا ويتلقوا الدروس من هذه الطفلة ، انى أقول لك أيها الملك : ان ابنتى ليست بنتا عادية ، انهـــا لهب من النار النقية ، لقد ولدت فى ابنتى أرواح مقدسة ، لاتزدريها ، والا فانك يوما ستضرب رأسك بكفيك وتبكى ٠٠ دون أن تجد لابنتى أثرا ٠

مالينى : أبى ٠٠ حقق لشعبك ما يطلبه ، لقد حانت اللحظة الرائعـــة ، اطردنى الى المنفى ٠

الملك : لماذا يا ابنتى ؟ أى عوز تحسين به فى بيت أبيك ؟

مالينى : أنصت الى يا أبى ، ان هؤلاء الذين يصرخون مطالبين بنفيى من المملكة ينتحبون أيضا من أجلى ، أماه ! ليس لدى كلمات أستطيع بها أن أعبر عما فى عقلى ، اتركينى ، اتركينى أذهب الى المنفى دون

أن تندمي ، كوني مثل الشجرة التي تنثر أزهارها دون أن تلتفت اليها ، دعيني أذهب الى كل البشر ، ان العالم كله يطلبني من الملك .

الملك : ما هذا الذي تقولين يا ابنتي ؟ اني لا أفهمك .

مالينى : أبي ، انك ملك ، كن قويا وأنجز مهمتك .

الملكة : ابنتي ؟ أليس لك هنا في القصر مكان ؟ أليس هذا القصر مسقط رأسك ؟ هل – هل أثقال العالم كلها في انتظار كتفيك الصغيرتين ؟

مالينى : وأنا مستيقظة أحلم ، أحلم أن الريح متوحشة ، وأن المياه مضطربة ، والليل مظلم . والزورق قد رسا رسوا هادئا في السماء ، أين القائد الذي سيعود بالتائهين الى بيتهم ؟ أحس بأني أعرف الطريق ، وعندما ألمس الزورق .. سوف يهتز بالحياة .. وينطلق .

الملكة : هل تسمع أيها الملك ؟ كلمات من هذه ؟ هل هي كلمات هذه الفتاة الصغيرة ؟ هل هذه ابنتك حقا وأنا التي ولدتها !

الملك : نعم ، على الرغم من أن الليل هو الذي يلد الفجر ، فان الفجر لا ينتمي الى الليل ، ان الفجر ينتمي الى كل العالم .

الملكة : أليس لديك شيء تقيدها به في بيتك ؟ تقيد هذا الطيف الجميل!! تعالي يا حبيبتي ، لقد تناثر شعرك على كتفيك ، دعيني ألملم شعرك وأسويه وأعصبه . هل هم يتحدثون عن النفي أيها الملك ؟ اذا كان النفي جزءا من عقيدتهم ، اذن فلندع هذه العقيدة الجديدة تقبل ، لعل الكهنة يتعلمون من جديد ماذا يكون الحق .

الملك : أيتها الملكة ، هيا نبتعد بابنتنا عن الشرفة ، هل ترين الزحام يتكاثر في الطريق ؟

« يخرجون من الشرفة – يدخل زحام من الكهنة الى الشارع المقابل للشرفة ، يهتفون » .

الكهنة : النفي لابنة الملك ! النفي لابنة الملك !

كيما نكار : أيها الأصدقاء ، فليظل قراركم ثابتا ، ان المرأة هائلة ترتعش انه
عدوا لنا يجب أن يلقى في قلبها الرعب أكثر نفسه في سعادة
من العبث أن نعامل المرأة بمنطق الحكمة المنيعة !
خجلا ، أليس مخجلا أن
الى ضعف المرأة

الكاهن الأول : يجب أن نعقد جسلة مع ملكنا ، لنخبره بأن الحية التى ترتع فى عشه الملكى قد رفعت رأسها السام ، وأن هدفها هو قلب عقيدتنا المقدســـة .

سوبريا : عقيدتنا ؟ يالى من غبى !! اننى لا أفهمك ، أخبرنى يا سيدى . هل عقيدتكم تطالب بنفى فتاة بريئة ؟

الكاهن الأول : انك فضولى ومؤذ يا سويريا ، أنت هكذا دائما .. عائق معطل لمشروعاتنا .

الكاهن الثانى : لقــد اتحدنا للدفاع عما نؤمن به ، وها أنت تأتى مثل شرخ خبيث فى الحائط ، انك ابتسامة باهتة على شفاهنا المثقلة بالازدراء .

سويريا : هل تعتقد أننا بقوة البشر سوف نفرض الحق ؟ وأن العقل سوف يغرق فى أمواج صيحاتكم ؟

الكاهن الأول : هذه وقاحة صارخة يا سويريا .

سويريا : أنا لست وقحا ، الوقحون هم هؤلاء الذين يصوغون أسفارهم لتناسب قلوبهم الضيقة .

الكاهن الثانى : لقد وافقنا جميعا على نفى الأميرة ، والذى يؤمن بغير ذلك عليه أن يترك هذا الاجتماع .

سويريا : أيها الكهنة كان خطأ منكم أن تختارونى عضوا فى حلفكم هذا ، فأنا لست ظلا لكم .. ولا صدى لتعاليمكم . أنا لن أدخل الى أبهاء الحق بالصوت المجلجل ، انى أشعر بالخزى أن أدين بعقيدة تعتمد فى بقائها على القوة .

(مخاطبا كيما نكار) يا صديقى العزيز ، دعنى أذهب .

كيما نكار : لا لن تذهب ، انى أعرف أنك رزين فى كل أفعالك ، أنت فقط تنتابك الشكوك عندما تجادل ، اسكت يا صديقى ، اسكت لأن الزمن فاسد وشرير !

...ر يا : على أية حال ، ان يقين العماء الغبى .. هو أقسى ما يمـــكن لكن ... كيف تفكرون فى انقاذ عقيدتنا بنفى فتاة من بيتها ؟ أليست تؤمن بأن ا...ها ؟ ...ة وروحها ؟ اذا كان الأمر كذلك فما الخطأ ؟ أليس ... فائدة ؟

كميا نكار : ان العقيدة واحدة في جوهرها ، لكنها مختلفة الأشكال ، ان الماء واحد ، لكن اختلاف أشكال الأوانى يجعل الماء ذا أشكال مختلفة ، كذلك اختلاف الأنهار واتجاهات جسورها يوجه الماء لشعوب مختلفة • اذا تفجر فى قلبك ينبوع ماء عذب ، فلا تزدر جيرانك الذين يدفعهم العطش الى بركة أجدادهم ، حيث تنتشر الطحالب على جدرانها المنحدرة ، وتقف الأشجار العتيقة على جسورها ، لأن هذه الطحالب التى كانت طرية قد أنضجتها العصور ، وهذه الأشجار الوفية تعطى ثمارها الخالدة بلا انقطاع •

سوبريا : انى سوف أتبعك يا صديقى ، كما فعلت دائما ، سأتبعك دون مناقشة أو سؤال •

(يدخل الكاهن الثالث)

الكاهن الثالث : لدى أخبار طيبة ، لقد ذاعت كلماتنا ، انتشرت وسادت ، والجيش الملكى سينضم الينا علانية •

الكاهن الثانى : الجيش ؟ انى لا أطمئن لهذا الخبر •

الكاهن الأول : ولا أنا ، ان هذا الخبر يحمل رائحة الثورة •

الكاهن الثانى : يا كيمانكار •• انى لست مستعدا لمثل هذه الاجراءات العنيفة •

الكاهن الأول : ان ايماننا سوف يحملنا الى النصر ، الايمان لا أيدينا علينا أن نتوب ونتلو الأسفار المقدسة ، هيا نصلى لالهتنا الحارسة •

الكاهن الثانى : يا الهتى !! تعالى ! ان انتقامك هو السلاح الوحيد فى أيدى عبادك ، تعطفى بالهبوط الينا ، حطمى أعداءنا ، بل اسحقيهم ، حوليهم الى تراب هؤلاء الكفار العميان المتغطرسين ، وأثبتى لنا عظمة ايماننا ، وقودينا بنفسك يا إلهتى الى النصر •

الجميع : نتوسل اليك يا أماه ! انزلى من علياء سمائك ، وبرهنى على سلطانك بين أبناء الموت •

(تدخـــل مالينى)

مالينى : هاأنذا أتيت •

(ينحنى الجميع اجلالا لها ، ماعدا كيمانكار وسوبريا الذى يخطو ويقف بعيدا يراقب ما يحدث) •

الكاهن الثانى : يا الهتى ! لقد أتيت أخيرا ، مثل ابنة للانسان أتيت ، مستعيدة بيننا كل قوتك المروعة ، ها أنت فى صـورة فتاة رائعة الجمال ، من أين أتيت يا أماه ؟ ماذا ترغبين ؟ بل بماذا تأمرين ؟ ؟ ٠

مالينى : لقد هبطت الى منفاى كما تنادون ٠

الكاهن الثانى : من السماء الى المنفى ؟ لأن أبناءك الأرضـيين تضرعوا اليـك ؟

الكاهن الأول : سامحينا يا أماه ! ان الخراب المطلق يهدد هذا العالم ، والعالم يصرخ اليك عاليا لتنقذيه ٠

مالينى : لن أتخلى عنكم،ولن أهجركم،انى أعرف أن أبوابكم دائما مفتوحة من أجلى ، لقد سمعت صراخكم الذى يطالب بنفيى ، فنهضت من فراش الثراء والسعادة فى بيت الملك ٠

كيمانكار : الأميرة ؟

الجميع : ابنة الملك ؟

مالينى : انى مطرودة من بيتى ، لذلك ينبغى على أن أتخذ بيتكم بيتا لى ، ولكن ، أخبرونى بصدق ، هل أنتم فى حاجة الى ؟ لقد كنت أعيش فى عزلة ، هل ناديتمونى من الخارج ؟ ألم أكن أحلم ؟

الكاهن الأول : أماه !! لقد أتيت فاتخذت مكانك فى أعماق قلوبنا ٠

مالينى : لقد ولدت فى بيت ملك ، لم أطل مرة واحدة من نافذتى ، كنت أسمع أنه عالم محزن ، ذلك العالم البعيد عن عينى ، لكنى لم أعرف بعد أين مصدر الألم فى جسد العالم ، علمونى كيف أكتشف مصدر الألم ٠

الكاهن الأول : ان صوتك العذب يملأ عيوننا بالدموع ٠

مالينى : (ناظرة الى أعلى) لقد أفلت القمر بعيدا عن تلك السحب ، هناك سلام رحيب ، ها هى السـماء تبدو كأنها تضـم العالم كله بين ذراعيها ، فى حضن فسيح من ضوء القمر ، هناك يمتد الطريق !! يضيع بين الأشجار المهيبة وبين سكون الظلال ، البيوت هناك ٠٠ والمعبد ٠٠٠ شاطىء النهر البعيد يبدو موحش الظلمة ، وأنا ، كأنى هبطت مثل رخة مطر مفاجئة من أحلام السحاب ، على جانب طريق ظامئة فى عالم البشر ٠

الكاهن الأول : أنت لهذا العالم روحه المقدسة !!

الكاهن الثانی : عندما هنفنا بنفيك ، لماذا لم تحترق ألسنتنا فی نيران الألم ؟!

الكاهن الأول : تعالوا أيها الكهنة !! هيا نعيد أمنا الى بينها •

الجميع : (يهتفون) النصر لأم العـــالم ، النصر لامنــــا فی قلب ابنة الانســـــان •

(تذهب مالينی وهم يحيطون بها)

كيما نكار : (لسويريا) فليختف الوهم عن أبصارنا ، أين أنت ذاهب يا سويريا ؟ انك تشبه من يمشی وهو نائم •

سويريا : لا تمسك بی ، دعنی أذهب •

كيما نكار : فلتسيطر علی عواطفك ، أم أنك أيضا ستلقی بنفسك فی النار مع القطيع الأعمی ؟!

سويريا : كيمانكار ؟ هل كان هذا حلما !!

كيما نكار : لا لم يكن حلما ، افتح عينيك يا سويريا واستيقظ •

سويريا : كيمانكار ؟! ان رجاءك فی السماء باطل ، وأنا عبثا ضللت فی متاهات المذاهب ، لم ألتق أبدا بالسلام ، ان آلهة العامة وآلهة الكتب لسيس من بينها الهی ، هذه آلهة لن تحمينی ، ولن تجيب علی تساؤلاتی ، لكننی أخيرا •• اهتديت الی الشوق المقدس الذی يجيش فی قلب هذا الكون النابض •

كيما نكار : يا الهی !! صديقی سويريا ؟! انها لحظة مخيفة عندما يخدع القلب صاحبه ، ثم تصبح الرغبة العمياء كتابه المقدس ، عندما يغتصب الوهم عرش الخوف الذی تجلس عليه الآلهة !! هل ذلك القمر الراقد بين السحب الوبرية اللينة ••هو الشعار الصادق للحقيقه الخالدة ؟ غدا يا صديقی سوف يأتی النهار الصريح الساطع ، والجمع الجائع سوف يذهب ثانية بآلاف الشباك •• ليرضع من بحر الوجود ، عند ذلك ، سيصبح عسيرا تذكر الليلة المقمرة ، ستصبح هـذه الليلة مجرد غشاء رقيق كاذب •• مصنوع من خيوط النوم والوهم والظلام ، مجرد نسيج سحری منسوج من طلاسم المرأة المراوغة ، هل يمكن أن يرقی شیء كهذا الی سمو الحقيقة ؟ هل تستطيع أية عقيدة تولدت من خيالك أن تروی شقوق عطش الظهيرة عنـدما يستيقظ هذا العطش فی أحشاء الحرارة الحارقة ؟؟!

سويريا : يا الهى !! أنا لست أدرى !!

كيمانكار : اذن ، انزع نفسك من أحلامك ، وانظر أمامك ، ان البيت العتيق، يحترف ، يا الهى !! أطفال من هذه العصور ؟ ان أرواح أسلافنا تحلق فوق الخراب الوشيك ، مثل طيور تصرخ فوق أعشاشها المحطمة ، هل هذا وقت الصراخ؟ عندما يكون الليل حالك السواد·· وطرقات الأعداء ندق الأبواب ·· والسكان نائمين··والرجال الذين أسكرتهم الأوهام يضغطون بأيديهم على خناجر اخوتهم ؟

سويريا : انى سأقف الى جوارك

كيمانكار : يجب أن أبتعد عن هذا المكان

سويريا : الى أين ؟ لماذا ؟

كيمانكار : الى بلاد غريبة ، سوف أحضر جنودا من خارج البلاد ، ليخمدوا هذه الأصوات التى تهتف ظمأ الى الدماء ·

سويريا : لكن جنودنا مستعدون ·

كيمانكار : ان الأمل فى مساعدة جنودنا عبث ، انهم يشبهون الحشرات المجنحة التى تقفز دائما نحو النار ، ألا تسمع كيف يهتفون كالمجانين ؟ ان المدينة كلها جنت ، المدينة كلها تحمل مشاعلها المهرجانية نحو أخشاب المحرقة ، لكى تحرق هناك جسد عقيدتها المقدسة ·

سويريا : اذا كان لابد أن تذهب ، فخذنى معك ·

كيمانكار : لا يا صديقى ، بل ابق انت هنا لتراقب كل ما يحدث ، وتخبرنى، لكن ، لا تسمح للبدع الكاذبة أن تبعد قلبك عنى ·

سويريا : ان الكذب ظاهرة حديثة ، لكن صداقتنا قديمة ، لقد كنا دائما معا منذ الطفولة ، هذه أول مرة نفترق ··

كيمانكار : هل يمكن أن يكون فى فراقنا هذا نهاية لصداقتنا !! فى الأزمنة الفاسدة يا سويريا تسقط أقوى الروابط ، الاخوة يقتلون الاخوة ، والأصدقاء ينقلبون أعداء ، انى أخرج الآن الى قلب الظلام ، وفى ظلمة الليل أيضا سوف أعود الى بوابة هذا القصر ، هل سأجد صديقى ساهرا فى انتظارى ؟ ومصباحه مضاء من أجلى ؟ انى أذهب حاملا معى هذا الأمل ·

(يخـــرجان)

(يدخل الملك مع الأمير الى الشرفة)

الملك : انى أخشى أن أضطر الى نفى ابنتى ٠

الأمير : نعم يا أبى ، ان تأجيل الأمر سيصبح كارثة ، برغم انها أختى ، لكن نفيها ٠٠٠

الملك : برقة يا بنى ، قلها برقة ، لا تشك فى أنى سأقوم بواجبى ، تأكد أنى سأنفيها ٠

(يخـــرج الأمـــير)

(تدخـــل الملكة)

الملكة : أخبرنى أيها الملـــك ، أين هى ؟ هل خبأتها ؟ حتى منى أنا تخبئهـــا ؟

الملك : من هى ؟

الملكة : حبيبتى مالينى

الملك : ماذا ؟ أليست فى حجرتها ؟

الملكة : لا ، لقد فشلت فى العثور عليها ، اذهب بجنودك وابحثوا عنها ، حتى لو فتشتم كل المدينة بيتا بيتا ، لقد سرقها أهل المدينة ، أصدر أمرك بنفيهم جميعا ، أخل المدينة من كل أهلها ، الى أن يعيدوا الى مالينى ٠

الملك : أنا سوف أعيدها ، حتى لو تحطمت مملكتى ٠

(يدخل الكهنة والجنود محيطين بمالينى حاملين المشاعل)

الملكة : يا حبيبتى !! ابنتى !! يا طفلتى العنيدة !! لن أدعك تغيبين عن عينى ، كيف استطعت أن تهربى منى وتخرجى من القصر ؟

الكاهن الثانى : لا تغضبى منها أيتها الملكة ، لقد أتت الى بيتنا لتهبنا بركاتها ٠

الكاهن الأول : (للملكة) هل هى ابنتك فقط ؟ أليست تنتمى الينا جميعـــا ؟

الكاهن الثانى : يا أمنا الصغيرة ، لا تنسينا ، يا نجمتنا المضيئة ، التى ستقودنا عبر طرقات الحياة الوعرة ٠

مالينى : لقد فتح لكم بابى ، هذه الجدران لن تفرقنا بعد الآن ٠

الكهنة : اننا لمباركون ، والأرض التى ولدنا عليها مباركة

(الكهنـــة يخـــرجون)

مالينى : أمى ، لقد أتيت بالعالم الخارجى الى بيتك ، انى أبدو كما لو كنت قد فقدت حدود جسدى ، لقد اتحدت مع الحياة غير النهائية فى هذا الكون الجميل •

الملكة : نعم يا ابنتى ، ومنذ الآن ، لن تحتاجى الى الخروج من بيتى ، هاتى العالم كله الى هنا ، لك ولأمك أيضا ، لقد أصبحنا فى الهزيع النانى من الليل ، اجلسى هنا ، اهدئى ، اطمئنى ، يا للحياة المشتعلة فيك !! ان مشاعل الحياة تلتهم النوم من عينيك •

مالينى : (تحتضن أمها) أمى !! أنا متعبة ، جسدى يرتعش ، ما أرحب هذا العالم !! أمى العزيزة ، غنى لى أغنية لأنام ، لقد بلغت عينى الدموع ، والحزن يتساقط على قلبى ، غنى لى أغنية لأنام !!

●● المشـــــهد الثـــانى

(حديقة القصر تحت الشرفة ، مالينى وسويريا)

مالينى : ماذا يمكن أن أقول لك ؟ أنا لست أعرف كيف يكون الجدل ، فأنا لم أقرأ كتبكم • ·

سويريا : انى لم أتعلم الا بين حماقات التعليم ، ثم رميت خلف ظهرى بكل الحوارات والكتب ، أرشدينى يا أميرتى ، ولسوف أتبعك كما يتبع المصباح ظله •

مالينى : ولكن ، أيها الكاهن ، عندما تسألنى فانى أفقد كل قوتى ، ولا أعرف كيف أجيب ، ان هذا يدهشنى ، حتى انت ؟ يا من تعلم كل شىء ؟ تأتى الى لتسألنى ؟!

سويريا : لست آتى اليك يا أميرتى من أجل المعرفة ، بل لتساعدينى على نسيان كل ما تعلمته ، ان الطرق أمامى بلا عدد ، لكن النور قد ضاع منى •

مالينى : يا الهى !! سيدى !! انك تطالبنى بالكثير ، وأنا يا لأشد ما أعانى من العوز !! أين هذا الصوت الذى فى داخلى ؟! أين الصوت الذى جاءنى يوما من السماء ؟ مثل بريق خفى من النور أضاء قلبى واتخذه

مسكنا ؟ لماذا لم تأت فى ذلك اليوم يا سيدى وظللت تعانى من النسك ؟ الآن !! وقد التقيت بالعالم وجها لوجه · صار قلبى جبانا ، لست أعرف كيف أمسك بدفة السفينة الهائلة ·· التى كتب على أن أقودها !! أشعر بأنى وحيدة !! وبأن العالم هائل وبلا ضفاف ، الطرق كثيرة ، والضوء يأتى فجأة من السماء ، ليتلاشى فى اللحظة التالية ، وأنت ؟ أنت أيها العالم الحكيم ·· ألا تساعدنى ؟!

سويريا : انى سعيد الحظ اذ تطلبين معونتى !!

مالينى : هناك زمان أيها الحكيم ، عندما يخنق اليأس كل مسالك الحياة ، عندما ترتد فجأة نظراتى من بعيد الى ذاتى بين زحام البشر وأجد نفسى وحيدة أرتعد من الخوف ، هل تصحبنى عندما تجىء تلك اللحظات السوداء ؟! هل ستنطق بكلمة أمل واحدة ·· تعيدنى مرة أخرى الى الحياة ؟

سويريا : سوف أكون مستعدا ، سوف أجعل قلبى بسيطا نقيا ، وعقلى هادئا ، لأكون قادرا بصدق على خدمتك ·

(يدخـــل خـــادم)

الخادم : (لمالينى) أهل المدينة يا سيدتى جاءوا يطلبون رؤيتك ·

مالينى : ليس اليوم ، سلهم أن يسامحونى ، لابد لى من وقت أشبع فيه عقلى المضنى وأستريح لأتخلص من هذا الملل ·

(يخـــرج الخـــادم)

حدثنى ثانية عن صديقك كيمانكار ، انى مشتاقة لأن أعرف كيف كانت حياتك وتجاربك ·

سويريا : ان كيمانكار صديقى ، أخى ، وسيدى ، هو راجح العقل منذ كان صغيرا ، كانت أفكارى دائما شكوكا مرفرفة ، وكان هو دائما يقربنى من قلبه ، تماما مثلما يحتضن القمر بقعه المظلمة ، ولكن يا أميرتى ، مهما تكن السفينة قوية البناء ، فان ثقبا صغيرا مختفيا فى قاعها سوف يغرقها ، هكذا كان على أن أغرقك يا كيمانكار ، لابد أن أغرقك طاعة لناموس الطبيعة !!

ماليني : هل أغرقت صاحبك ؟

سويريا : نعم أغرقته ، فى ذلك اليوم الذى أجهض فيه التمرد ، خجلا من الضوء الذى يغمر وجهك ، وخجلا من موسيقى السماء التى زفتك الينا ، كان كيمانكار وحده رابط الجأش ، تركنى خلفه وقال ، ان عليه أن يذهب الى بلاد غريبة ليأتى بجنود غرباء ، لكى يقتلعوا العقيدة الجديدة من أرضنا ، أنت تعلمين ما حدث بعد ذلك ، لقد جعلتنى أحيا ثانية فى أرض الميلاد الجديد « الحب لكل الحياة » ، كانت كلماتك هذه كلمات تنتظر منذ الزمان القديم لتصبح حقيقة ، ولقد رأيت هذه الحقيقة بعينى مجسدة فيك ، ناديت بقلبى على صديقى كيمانكار ، لكنه كان قد ابتعد كثيرا من قدرتى على اللحاق به ، ثم جاءنى خطابه الذى يقول فيه ، انه قادم فى صحبة الجيش الغريب ، ليزيل الدين الجديد حتى من الدماء ، وليعاقبك بالموت ، لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك ، فهرولت بالخطاب الى الملك ٠

ماليني : لماذا نسيت نفسك يا سويريا ؟ لماذا هزمك الخوف ؟ أليس فى بيتى حجرة تكفى لاستضافة كيمانكار وجنوده ؟

(يدخـــل الملك)

الملك : تعال بين ذراعى يا سويريا ، لقد ذهبت فى الوقت المناسب لأفاجىء كيمانكار وأجىء به أسيرا ، لو تأخرت ساعة واحدة٠٠فان صاعقة كانت ستنقض على بيتى وأنا نائم ، انك صديقى يا سويريا ، تعال ٠٠٠

سويريا : سامحنى يا الهى !!

الملك : لقد كنت أحب كيمانكار ، ولكن ، ألا تعلم أن حب الملوك حب بلا أساس ؟ سويريا ؟ انى أعطيك مهلة لتفكر ٠٠ وتطلب منى المكافأة التى تروق لك ، قل لى ، أى مكافأة تريد ؟

سويريا : لا شىء يا أبى ، لا شىء ، أنا سوف أحيا ، سوف أحيا شحاذا من باب الى باب ٠

الملك : يا صديقى ، ليس عليك الا أن تطلب ، سويريا ؟ سوف تحصل منى على مقاطعات يسيل لها لعاب الملوك ٠

سويريا : هذه المقاطعات يا أبي لا تغرينى ٠٠ ولا تعزينى ٠

الملك : انى أفهمك ، انى أعرف نحو أى قمر تهفو يداك ، أيها الشاب المجنون كن شجاعا ، اطلب ما يبدو لك مستحيلا ، لماذا لا تتكلم ؟ هل تذكر ذلك اليوم ؟ عندما توسلت الى معهم أن أنفى ابنتى من المملكة ؟ ترى !! هل تكرر نفس رجائك الآن ؟ يا ابنتى العزيزة ؟! هل تعرفين أنك مدينة بحياتك لهذا الفتى النبيل ؟ هل يصعب عليك أن تردى له الدين بما لديك من ... ؟

سويريا : رحمة يا أبى ، لا تكمل هذا الكلام ، ان هناك عبادا كثيرين ، أقصى رغبـــاتهم هى أن يتعبـــدوا طوال حيـــاتهم ، لو أكون واحدا منهم فسوف أكون سعيدا ، ولكن ، أقبل شيئا من الملك مكافأة لى على الخيانة ؟ (**للأميرة**) يا سيدتى ؟ انك تتمتعين بالمجد وبالكمال ، أنت لا تعرفين سر أشواق روح فقيرة مهانة ، انى لا أجرؤ على أن أطلب منك أى شىء .. أكثر من حنان حبك الذى تغمرين به كل مخلوقات هذا العالم .

مالينى : أبى ؟ ما العقاب الذى أعددته ؟

الملك : سوف يموت

مالينى : انى أجثو تحت قدميك .. لكى تصفح عنه .

الملك : ابنتى ؟ لكنه متمرد !!

سويريا : هل تدينه أيها الملك ؟ هو أيضا أدانك عندما أراد أن يعاقبك على عدم نفى مالينى ، لكنه لم يفكر فى أن يسرق مملكتك .. وحياة الانسان مملكته .

مالينى : دع له حياته يا أبى ، عند ذلك فقط .. سوف يكون من حقك أن تهب صداقتك لمن أنقذك من الخطر .

الملك : ما قولك يا سويريا ؟ هل أعيد صديقا الى ذراعى صديقه ؟

سويريا : هذا يا أبى ما يليق بالملوك .

الملك : كل شىء سيأتى فى وقته ، سوف تستعيد صديقك ، لكن كرم الملك يجب ألا يتوقف عند ذلك ، على أن أعطيك هدية تتجاوز آمالك ، ليس مجرد جائزة ، فانك قد كسبت قلبى ، وقلبى الآن مستعد لأن يقدم لك أثمن كنوزه ، ابنتى ! .. لم هذا الخجل ؟ أين كنت تخبئين هذا الخجل قبل الآن ؟ ان فجرك لم يكن له بشائر الضوء الوردية هذه من قبل ، كان ضوء فجرك أبيض ومبهرا فقط ، ولكن ، اليوم ، هناك قطرات دموع رقيقة كالندى تمتزج بحلاوة عينيك .

(لسويريا) اترك قدمى ، انهض وتعالى الى قلبى ، قلبى الذى تتزاحم فيه السعادة والألم ، سويريا ، اتركنى الآن لحظات ، أريد أن أكون وحدى مع مالينى •

(يخـــرج ســـويريا)

أشعر أنى وجدت طفلتى مرة أخرى ، ليس كنجمة ساطعة فى السماء، بل الزهرة الجميلة التى تتفتح فى بهاء الأرض ، انها ابنتى •• حبيبة قلبى مالينى •

(يدخـــل الخـــادم)

الخادم : الأسير كيمانكار بالباب •

الملك : أحضره ، فليأت بعينين ثابتتين ، برأسه المتكبر مرفوعا الى أعلى ، بالطيف المتأمل على جبهته ، مثل سحابة رعدية ساكنة على صدر عاصفة خامدة •

مالينى : ان السلاسل الحديدية تخجل من نفسها •• اذ تقيد أطراف كيمانكار ، ان من يهين الرفعة يا أبى يهين ذاته ، ان كيمانكار يشبه اله المعبد الذى يزدرى من قيدوه •

(يدخل كيمانكار مقيدا بالسلاسل)

الملك : بماذا تتوقع أن أعاقبك ؟

كيمانكار : المـــوت •

الملك : ولكن ، اذا صفحت عنك ؟

كيمانكار : عند ذلك سوف تعود الى الفرصة •• لاكمل العمل الذى كنت قد بدأته •

الملك : يبدو أنك تكره حياتك ، قل لى اذن ما رغبتك الأخيرة !! اذا كانت ثمة رغبة لديك ؟

كيمانكا : أريد أن أرى صديقى سويريا قبل أن أموت •

الملك : (للخادم) قل لسويريا أن يدخل

مالينى : ان فى هذا الوجه قوة تخيفنى ، أبى ، لا تدع سويريا يأتى ،

الملك : ان خوفك لا أساس له يا ابنتى •

(يدخل سويريا متجها نحو كيمانكار فاتحا ذراعيه)

كيمانكار : ليس الآن ، دعنا نتحدث أولا ، وبعد ذلك تكون تحية الحب ، تعال قريبا منى ، أنت تعرف أننى لا أجيد الكلام ، ولم يبق لى من الحياة الا وقت قصير ، لقد انتهت محاكمتى ، أما محاكمتك فلم تنته بعد ، قل لى ، لماذا فعلت هذا ؟

سويريا : يا صديقى ، انك لن تفهمنى ، كان على أن أصون عقيدتى ، حتى لو ضحيت فى سبيل ذلك بحبى ٠

كيمانكار : انى أفهمك يا سويريا ، لقد رأيت أنا أيضا وجه الفتاة يتألق بنور يشع من داخلها ، مثل صوت أصبح ممكنا أن يرى ، ولقد قدمت أنت لبريق هاتين العينين ايمانك بدين آبائك ، وايمانك بخير بلادك ، وشيدت معها دينا جديدا مؤسسا على الغدر والخيانة ٠

سويريا : أنت على حق يا صديقى ، لقد جاءنى الايمان الكامل فى صورة مالينى ، كانت كتبك المقدسة بالنسبة لى بكماء ، وبمعرفة الضوء الباهر فى هاتين العينين قرأت كتاب الخليقة ٠٠ فعرفت أن الايمان الحقيقى هناك ، حيث يكون الانسان ، وحيث يكون الحب ، انه الايمان الذى يأتى من حب الأم لطفلها ٠٠ ذلك الحب الذى يظل يرتد من الطفل الى أمه ما بقى كلاهما فى الحياة ، انه الايمان الذى يهبط مع هبة المحسن ، ويتجسد فى قلب الفقير الذى تلقى الحسنة ، لقد قبلت ميثاق هذا الايمان ، الميثاق الذى تكشف أضواؤه عظمة الانسان كلما أرسلت بصرى الى وجه مالينى ، الوجه الممتلىء بالنور والحب ، والطمأنينة ، والحكمة الخافية ٠

كيمانكار : أنا أيضا يا سويريا ، ذات مرة ، أرسلت بصرى الى هذا الوجه ، وللحظة ، حلمت بأن الايمان ، قد عاد أخيرا فى صورة امرأة ، ليقود قلب الانسان الى السماء ، للحظة تفجرت الموسيقى من ضلوعى ، وأينعت كل آمال حياتى منقلة بالثمار ، ولكن ، ألم أقتحم شباك هذا الوهم لأهيم فى أرض غريبة ؟ ألم أعان من الاذلال فى رفقة الصبر ؟ ألم أتحمل فراقك يا صديقى منذ الطفولة ؟؟ ماذا كنت تفعل أنت أثناء ذلك ؟ جلست فى ظلال حديقة الملك ، وقضيت أوقات فراغك الحلوة فى كسل عابث ، ناسجا لى كذبة متقنة ٠٠ لأصفح بها عن خبلك الذى تسميه دينا جديدا ٠

سويريا : يا صديقى ؟ أليس هذا العالم رحيبا بما فيه الكفاية ؟ لماذا تريد أن تسجن كل الناس داخل فكرك ! مع أن طبيعتهم تخالف طبيعتك ؟؟ انظر الى السماء ٠٠ تلك النجوم التى هناك بلا عدد ، هل يحارب بعضها بعضا لاثبات وحدانية خالقها ؟ ان وحدانية الخالق يا صديقى ليست فى حاجة الى من يدافع عنها ، ألا تستطيع العقائد كلها أن تتجاور بمشاعلها المضيئة فى صداقة وسلام ؟ انه من مصلحة العقائد ذاتها ٠٠ أن تظل كل المشاعل مضيئة لكى تطارد الظلام ٠

كيمانكار : كلمات !! مجرد كلمات !! لتجعل بها الباطل والحق يعيشان جنبا الى جنب ٠٠ فى تآلف خبيث ، ان هذا العالم غير المتناهى ٠٠ ليس واسعا بما فيه الكفاية ، هل على القمح الذى تنضجه الأرض لاطعام الانسان ٠٠ أن يفسح مكانا بين أعواده للأعشاب الضارة ؟ ان « حب الجميع » ليس هدفا بالغ الجمال ، يجب أن يسمح للحب أولا بأن ينقى الأرض من الصداقة الملوثة بالخيانة ، هل استطاع التسامح يوما أن يكون غادرا بقدر ما تفعل الخيانة ؟ ان التسامح يجب أن يموت مثلما يموت قطاع الطرق،فليمت التسامح دفاعا عن عقيدته ، ولكى يعيش الآخرون من بعده فى ثياب المجد والثراء ، لا لا ، ان قلب العالم ليس صلبا كالصخر لكى يتحمل هذه التناقضات البشعة ٠٠ التى تتصادم داخله دون صرخة ألم ٠

سويريا : (لمالينى) سيدتى ، انى باسمك أتقبل هذه الاهانات والأذى ، كيمانكار ! انك تدفع حياتك ثمنا لايمانك ، وأنا أدفع أكثر مما تدفع، انى أخسر حبك الأثمن عندى من الحياة ٠

كيمانكار : كفاك ثرثرة ، كل الحقائق يجب أن تفحص فى حكمة الموت ، هل تذكر يا صديقى أيام كنا معا فى المدرسة ؟ عندما كنا نتخاصم الليل كله ، وفى الصباح نذهب الى معلمنا ، كان معلمنا فى لحظة يعرف من منا على صواب ، دع هذا الصباح يشرق الآن ، فلنذهب الى هناك ، الى أرض النهاية ، نقف أمام الموت بكل قضايانا ، حيث يتبدد ضباب الشكوك فى لحظة ، وتظهر القمم الشاهقة للحقيقة الأبدية ، نحن الأحمقين هناك ٠٠ سوف ينظر كل منا الى الآخر ويضحك، صديقى العزيز ، أحضر معك ما تراه الأفضل هناك والأخلد ٠

سويريا : أنا طوع ارادتك يا صديقى

كيمانكار : اذن تعال الى قابى ، لقد ضللت فى التيه عن رفيقك الحميم ، والآن يا صديقى العزيز ، تعال الى جوارى الى الأبد ، واقبل من صديقك الذى يحبك هدية الموت •

(يضرب سويريا بقيده الحديدى ، يسقط سويريا ميتا)

كيمانكار : [محتضنا جثة سويريا] والآن أيها الملك ناد على جلادك •

الملك : [ناهضا فى ثورة] أين سيفى !

مالينى : لا يا أبى •• لا ، اصفح عن كيمانكار يا أبى •

(ستار)

اقــرأ في هــذه الســلسلة

احلام الاعلام وقصص أخرى	برتراند رسل
الالكترونيات والحياة الحديثة	ى ٠ رادونسكايا
نقطة مقــابل نقطة	الدس هكسلى
الجغرافيا فى مائة عام	ت ٠ و ٠ فريمان
الثقافة والمجتمع	رايموند وليامز
تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ جـ)	ر ٠ ج ٠ فوربس
الأرض الغــامضة	ليستردبل راى
الرواية الانجليزية	والتر آلن
المرشد الى فن المسرح	لويس فارجاس
آلهة مصر	فرانسوا دوماس
الانسان المصرى على الشاشة	د٠ قدرى حفنى وآخرون
القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة	اولج فولكف
الهوية القومية فى السينما العربية	هاشم النحاس
مجموعات النقــود	ديفيد وليام ماكدوال
الموسيقى ـ تعبير نفسى ـ ومنطق	عزيز الشوان
عصر الرواية ـ مقال فى النوع الأدبى	د٠ محسن جاسم الموسوى
ديلان توماس	اشراف س٠ بى٠ كوكس
الانسان ذلك الانسان الفريد	جون لويس
الرواية الحديثة	بول ويست
المسرح المصرى المعاصر	د٠ عبد المعطى شعراوى
على محمود طـه	أنـور المعــداوى
القوة النفسية للأهرام	بيل شول أدنبيت
فن الترجمة	د٠ صفاء خلوصى
تولســـــتوى	رالف ئى ماتلو
ســـــتندال	فيكتور برومبير

رسائل وأحاديث من المنفى	فيكتور هوجو
الجزء والكل (محـــاورات فى مضـــمار الفيزياء الذرية)	فيرنر هيزنبرج
التراث الغامض ماركس والماركسيون	سدنى هوك
فن الأدب الروائى عند تولستوى	ف ٠ ع ٠ أدنيكوف
أدب الأطفال	هادى نعمان الهيتى
احمد حسن الزيات	د٠ نعمة رحيم العزاوى
اعلام العرب فى الكيمياء	د٠ فاضل أحمد الطائى
فكرة المسرح	فرنسيس فرجون
الجحيـــم	هنرى باربوس
صنع القـــرار السياسى	السيد عليوة
التطور الحضـــارى للانســـان	جاكوب برونوفسكى
هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال ؟	د٠ روجر ستروجان
تربية الدواجن	كاتى ثير
الموتى وعالمهم فى مصر القديمة	ا ٠ سبنسر
النحل والطب	د٠ ناعوم بيتروفيتش
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
سياســـة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر ١٨٣٠ ـ ١٩١٤	د٠ لينوار تشامبرز رايت
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة	د٠ جون شندلر
الصـــحافة	بيير البير
اثر الكوميـــديا الالهيـــة لدانتى فى الفـــن التشكيلى	الدكتور غبريال وهبه
الأدب الروسى قبـــل الثـــورة البلشـــفية وبعدها	د٠ رمسيس عوض
حركة عدم الانحياز فى عالم متغير	د٠ محمد نعمان جلال
الفكر الأوروبى الحديث (٤ ج)	فرانكلين ل ٠ باومر
الفن التشكيلى المعـــاصر فى الوطن العربى ١٨٨٥ ـ ١٩٨٥	شوكت الربيعى
التنشئة الأسرية والأبناء الصغار	د٠ محيى الدين أحمد حسين

نظريات الفيلم الكبرى	تاليف : ج٠ ج٠ دادلى أندرو
مختارات من الأدب القصصى	جوزيف كونراد
الحياة فى الكون كيف نشأت وأين توجد ؟	طائفة من العلماء الأمريكيين
حرب الفضاء	د٠ محمد أسعد عبد الرؤوف
ادارة الصراعات الدولية	د٠ السيد عليـوة
الميكروكمبيـوتر	د٠ مصطفى عنانى
مختارات من الأدب اليابانى	صبرى الفضـل
تاريخ ملكية الأراضى فى مصر الحديثة	جابرييل باير
اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة	أنطونى دى كوسبنى وكينيث هينوج
كتابة السيناريو للسينما	دوايت سوين
الزمن وقياسـه	زافيلسكي ف٠س
أجهزة تكييف الهـواء	ابراهيم القرضاوى
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى	بيتر رداى
سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
التجربة اليونانية	س ٠ م بورا
مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية	د٠ عاصم محمد رزق
العلم والطلاب والمدارس	رونالد د٠ سمبسون و نورمان د٠ أندرسون
الشارع المصرى والفكر	د٠ أنور عبد الملك
حوار حول التنمية الاقتصادية	والت روستو
تبسيط الكيمياء	فرد ٠ س ٠ هيس
العادات والتقاليد المصرية	جون بوركهارت
التذوق السينمائى	الان كاسبيار
التخطيط السياحى	سامى عبد المعطى
البذور الكونيـة	فريد هـويل شاندرا ويكراما ماسينج
دراما الشاشة (٢ جـ)	حسين حلمى المهندس
الهيروين والايدز	روى روبرتسون
صور افريقية	دوركاس ماكلينتوك

نجيب محفوظ على الشاشة	هاشم النحاس
الكمبيوتر فى مجالات الحياة	د. محمود سرى طه
المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية	بيتر لورى
وظائف الأعضاء من الألف الى الياء	بوريس فيدروفيتش سيرجيف
الهندسة الوراثية	ويليام بينر
تربية أسماك الزينة	ديفيد الدرتون
الفلسفة وقضايا العصر (٣ ج)	جمعها : جون ر. بورر وميلتون جولدينجر
الفكر التاريخى عند الاغريق	أرنولد توينبى
قضايا وملامح الفن التشكيلى	د. صالح رضا
التغذية فى البلدان النامية	م.هـ. كنج وآخرون
بداية بلا نهاية	جورج جاموف
الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية	د. السيد طه أبو سديره
حوار حول النظامين الرئيسيين للكون	جاليليو جاليليه
الارهاب	أريك موريس ، الان هو
اخناتون	سيريل الدريد
القبيلة الثالثة عشرة	آرثر كيستلر
التوافق النفسى	توماس أ . هاريس
الدليل الببليوجرافى	مجموعة من الباحثين
لغة الصورة	روى أرمز
الثورة الاصلاحية فى اليابان	ناجاى متشيو
العالم الثالث غدا	بول هاريسون
الانقراض الكبير	ميكائيل ألبى ، جيمس لفلوك
تاريخ النقود	فيكتور مورجان
التحليل والتوزيع الأوركسترالى	اعداد محمد كمال اسماعيل
الشاهنامة (٢ ج)	الفردوسى الطوسى
الحياة الكريمة (٢ ج)	بيرتون بورتر
كتابة التاريخ فى مصر ق ١٩	جاك كرابس جونيور
قيام الدولة العثمانية	محمد فؤاد ، كوبريلى

العثمانيون فى أوربا	بول كونر
مختارات من الآداب الآسيوية	اختيار واعداد صبرى الفضل
التمثيل للسينما والتليفزيون	تونى بار
سقوط المطر	نادين جورديمر وآخرون
صناع الخلود	موريس بيربراير
دليل تنظيم المتاحف	آدامز فيليب
كتب غيرت الفكر الانسانى (٣ جـ)	أحمد الشـنوانى
الحملة الصليبية الأولى	جوناثان ريلى سميث
رواد الفلسفة الحديثة	ريتشارد شاخت
جماليات فن الاخراج	زيجمونت هبنر
الكنائس القبطية (٢ جـ)	الفريد ٠ ج ٠ بتلر
ترانيم زرادشت	اعداد ٠ د٠ فيليب عطية
النقد السينمائى الأمريكى	ادوارد مرى
الاتصال والهيمنة الثقافية	هربرت شيلر
رحلات فارتيما	الحاج يونس المصرى
التاريخ من شتى جوانبه ٣ جـ	ستيفن أوزمنت
مصر الرومانية	نفتالى لويس
السينما الخيالية	بيتر نيكوللز
السينما العربية من الخليج الى المحيط	اعداد : مونى براح وآخرون
السلطة والفرد	برتراند راصل
انهم يصنعون البشر ٣ جـ	فانس بكارد
اتفاقية ماستريخت	جابر محمد الجرار
من هم التتار	ابرار كريم الله

تطلب كتب هذه السلسلة من :

- باعة الصحف .
- مكتبة الهيئة .
- المعرض الدائم للكتاب بمقر الهيئة .
- منافذ التوزيع فى أماكن وفروع الثقافة الجماهيرية وهى كما يلى :

— الوادى الجديد .. الداخلة والخارجة .

— البحيرة .

— المنيا .

— دمياط .

— فارسكور .

— القليوبية (بنها) .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٢٥٦ / ١٩٩٤

ISBN — 977 — 01 — 3773 — 1